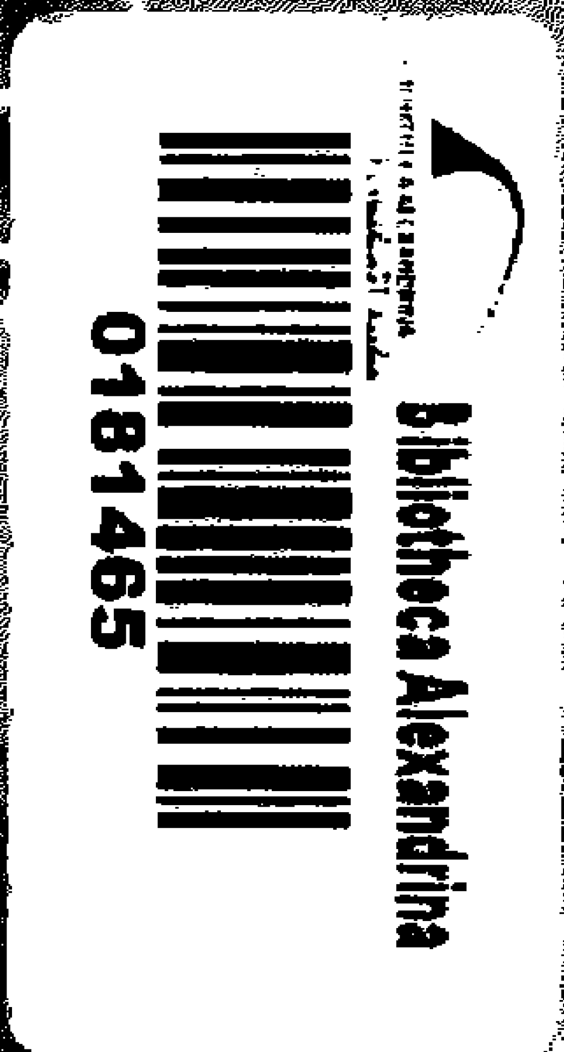
المرأة
في
عصر
المغول

تأليف



المرأة في عصر المغول

تأليف

د. ريخا ميسرا

ترجمة

الدكتور أحمد الجوارنه

يطلب من مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ـ اربد

دار الكندي للنشر والتوزيع - اربد

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٩٩٨/٢/٢٦٢)

رقم التصنيف	:	ر٨١١
المؤلف ومن هو في حكمه	:	د. احمد الجوارنه
عنوان الكتاب	:	المرأة في عصر المغول
الموضوع الرئيسي	:	١-العلوم الاجتماعية
		٢-المرأة في الهند - عصر المغول
رقم الاجازة المتسلسل	:	(١٩٩٨/٢/٢٠٧)
بيانات النشر	:	اربد: مؤسسة حماده و دار الكندي

*- تم اعداد بيانات الفهرسة الاولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.

قائمة المحتويات

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

مقدمة المترجم

المغول الذين يتحدث عنهم هذا الكتاب التاريخي، ليسوا المغوليين الذين اجتاحوا العالم الإسلامي وقوّضوا أركانه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، لكنهم من أتباعهم، إلاّ أنّ إسلامهم قد مرّ عليه ما يزيد على القرنين من الزمان، فهم المغول الذين جاءوا إلى جنوب آسيا فاتحين بقيادة الفاتح الكبير ظهير الدين محمد بابر وذلك سنة ١٥٢٦م، بعدما قضى على دولة الأفغان اللودية الإسلامية في الهند، لتستمر سيطرتهم على معظم أقاليم شبه القارة الهندية حتى سنة ١٨٥٧م. برز في هذه الدولة ملوك وأباطرة وقادة عظماء، مثل: بابر، وأكبر، وشاهجهان، واورانك زيب وغيرهم، والذين ساهموا بإثراء الحضارة الإسلامية في كثير من الحقول والميادين الحضارية، وكان نتيجة اهتمامهم بالعلوم والثقافة والفنون والإبداع وأنظمة الحكم جعلهم لدولتهم تظهر بمظهر الرقي والتقدم والأبهة والعظمة والثروة فاقت أطواراً كبيرة على ما قدمته في تلك المضامير الدولة العثمانية المعاصرة لدولتهم.

أمّا المرأة، فحظّها من الرعاية والعناية والتقدير كبير، وهو الجانب الذي ميّز العصر المغولي عن بقية العصور الإسلامية الأخرى، إذ نجد معظم أباطرة المغول المسلمين في الهند يمنحون المرأة حظوظاً وفيرة من الحرية والمساواة والعدالة، حتى دفعوا بها إلى الميدان: قائدة عسكرية وسياسية، مثقفة، مبدعة، مغمورة بالأعمال الأدبية والأعمال الخيرية التطوعية، بالإضافة إلى اهتماماتها التجارية، وكذلك المقتنيات الثمينة، سواء من المجوهرات أو المصورات والرسوم الفاخرة.

والكتاب الذي بين أيدينا، هو نتاج بحث علمي أكاديمي قامت به مؤرخة وباحثة هندية متخصصة في تاريخ المغول الذين ظهروا في الهند، هي الدكتورة ريخا ميسرا، أستاذة التاريخ في جامعة الله آباد في الهند، حيث نالت على بحثها هذا درجة الدكتوراه سنة ١٩٦٥م، ويُعد هذا الكتاب فريداً في بابه لأسباب، أولها: إنّ الكتاب تناول الحديث عن المرأة المغولية والهندية المسلمة والهندوسية في الهند، وثانيها: وفرة المصادر المعاصرة التي اعتمدت عليها الباحثة الهندية، حيث ساهمت تلك المصادر على تنوعها بإثراء البحث ومنحه قيمة علمية وتاريخية هامة.

وإذا كان الباحث العربي يجهل الكثير عن تاريخ الإسلام في الهند بعصوره المختلفة، بدءاً بالفتح العربي وانتهاءً بسقوط الامبراطورية المغولية الإسلامية سنة ١٨٥٧م، فإنه بدون شك أكثر جهلاً بحياة المرأة ووضعها في المجتمع، لا سيما في عهد امبراطورية المغول المسلمين في الهند، لذلك، جاء الكتاب، ليقدّم صورة مُضيئة عن أوضاع المرأة المغولية وغيرها من النساء المسلمات والهندوسيات، وكشف عن تفاعلات المرأة مع نظام الحكم وقراراته السياسية، إلى جانب تفاعلاتها مع الحياة الاجتماعية الخاصة والعامة.

وفي الختام، نأمل أن يسد هذا الكتاب بموضوعه فراغاً في المكتبة العربية، وأجدني في موقف الشاكر لدور الأستاذ ابراهيم جرادات على مراجعته لنصوص الكتاب،

والله من وراء القصد

أحمد الجوارنة

إربد

١/ آذار/ ١٩٩٨

مقدمة المؤلف

كتب الكثير حول مظاهر الحياة المختلفة في عهد الحكم المغولي للهند، سواء أكان ذلك مظهراً سياسياً أم اجتماعياً أم اقتصادياً، إلا أن المرأة في هذه الفترة لم تعطى الاهتمام الكافي الذي تستحق، وذلك من خلال الباحثين وطلبة التاريخ، فمكانة المرأةوموقعها في المجتمع يمثلان بحق روح الحياة الاجتماعية ومنبثق الاعراف والتقاليد والثقافة للعصر الذي تعيش.

ومن خلال هذا العمل، قمنا بمحاولة متواضعة لوصف وعرض لأحوال المرأة، خصوصاً المرأة الارستقراطية التي تنتمي للاسرة المغولية، في الوقت الذي عاشت فيه المرأة في مجتمع ساهم في عزلتها الاجتماعية كثيراً، ولقد تفادينا المصادر والمراجع العامة والشعبية قدر المستطاع، وهكذا، فان عرض لاحداث جاء وفقاً لتسلسلها الزمني، سواء أجاءت بالمصادر الفارسية أو الهندية، بحيث تحدثت عن موضوعات نادرة ومهمة حول اوضاع المرأة، وبعد قراءة العروض الجيدة، يستطيع احدنا الحصول على هذه المواد التي تعطي بعض الافكار حول مسألة المرأة.

والهدف الرئيسي لهذه الدراسة تحددت بوضوح تجاه المرأة الارستقراطية في عهد المغول، لا سيما في المناطق الهندية الشمالة، وقد أخذت هذه الدراسة بالحسبان مشاهير النساء من النبلاء واخريات كان لهن اتصال مع البلاط والقصر المغولي، فتم استعراض المظاهر المختلفة لحياتهن، السياسية، الاجتماعية والثقافية، وهناك محاولة اخرى اشتملت باختصار على حياة النساء العاديات سواء الهندوسيات ام المسلمات.

وفيما يتعلق بالمصادر، فقد أفدنا بشكل رئيسي من المصادر الفارسية (المترجمة) وروايات الرحالة الاجانب الذين زاروا الهند في عصر المغول، والى جانب هذه المصادر، استعنا بالمعلومات الواردة في الأدب الهندي المعاصر، وتم جمع الكثير من الشواهد والدلائل من خلال مجموعات الرسم والنقوش، والعديد من الاعمال الحديثة، والمقالات في مختلف المجلات العلمية، ورسائل الماجستير والدكتوراه غير المنشورة، هذه جميعاً رفدت الدراسة بمواد علمية غنية، ولمحة خاطفة لقائمة المصادر والمراجع ستظهر المصادر المعتمدة في هذه الدراسة.

ريخا ميسرا

الله آباد

اكتوبر ١٩٦٧م.

الفصل الأول

أحوال المرأة قبل حلول المغول جنوب آسيا (الهند)

الفصل الأول

أحوال المرأة قبل حلول المغول جنوب آسيا (الهند)

منذ غابر العصور والمرأة جنباً إلى جنب مع الرجل، ولقد استطاعا معاً صياغة دورٍ تكامليٍّ في البناء الاجتماعي، وإنّ تنوّع وظائف ونشاطات المرأة في مسيرة الحياة أسهم في تطور القيم الإنسانية وتحوّلاتها، ومما هو جدير بالذكر، ان تنوع وظائف ونشاطات المرأة كان محور ذلك التطور والتقدم الإنساني، فالمنزلة التي حازت عليها المرأة كانت مدعاة إلى تشكيل أو تكوين وحدة قياس تحدّد اهميّة الثقافة الإنسانية في كل العصور.

وللحصول على وضع سليم، ورسم صورة مضيئة للمرأة في عصر المغول، فلا بدَّ من معاينة مقتضبة لدور المرأة في سالف العصور الهندية، ففي العصور القديمة للهند احتلّت المرأة مراكز نفوذ هامة في المجتمع، ومارست أنشطة مؤثرة ومميزة في العديد من جوانب الحياة المختلفة، فساعدت زوجها وأسرتها بجلَدِها وصبرها وحكمتها في القضاء على الأزمات والملمّات وتجاوز المحن والصعاب، حتى أنّ المرأة لم تتردّد في حمل السلاح للدفاع عن قدسية الوطن وحماية الأسرة ومكتسباتها، وهناك بعض الشواهد التاريخية تؤكد على نجاح المرأة في الجانب السياسي، فهناك أميرات وفّقِن في الوصول إلى سدّة الحكم في بلادهن، وهذا ما حدث في بداية العصور الوسطى، حينما نجحت شقيقة الملك الهندي (هاراشا) (HARASHA) والتي تدعى (راجيا شري) (Rajyashri) وعقب وفاة زوجها، زجّت بنفسها إلى ميداني السّياسة والإدارة في الدولة، وأضحت محط المشورة والرأي لشقيقها[1]*،

أمّا في عصور مملكة الراجبوت (Rajputs) فقد مُنِحت المرأة فرصة التّدرب والتّعلم على إدارة العائلة والأسرة وضبط مسارهما[٢].

ولأن حياة المرأة في البلاط اكتسبت أهمية كبرى، فقد وظّفت المرأة في البلاط الملكي، وأصبحت من العناصر النشطة الفاعلة، إمّا كحارسات للأبواب أو حتى حارسات مسلحات، ففي عصر الزعيم الهندي (هاراشا) ظهرت إحدى النساء المسلحات تدعى (بارتهارس) (Partiharis) تقوم على ضبط حركة العبور والخروج من وإلى القصر الملكي، وقد حملت المرأة المصابيح المضيئة المذهّبة، والمظلات الملكية تلوح بها، وخدمن في البلاط كحاملات لورق التنبول وموزعات للزهور[٣]، كما أشرفت وأدارت المطابخ الملكية وأقبية الخمور تحت اشرافهن وادارتهن، وركبت الفيلة والعربات ذات العجلات التي تجرها الخيول، ورافقت الملوك في رحلات الصيد والاستجمام[٤]، وشاركت أيضاً في احتفالات الدولة الرسمية بكل نشاط، لا سيّما في الأعياد القومية، واقتصرت مشاركتها على الرقص، والغناء والعزف على أوتار الموسيقى، وكثيراً ما استُخدمت المرأة كوسيلة للتجسس على الأعداء، وأحياناً وظّفت المرأة في دس السم للاعداء والمناوئين[٥]، وفي العصور الهندية القديمة لم يكن التعامل مع الخمار -كعادة اجتماعية وسط النساء- أمراً مألوفاً ولا دارجاً، إلاّ أننا لا نستطيع مع ذلك تجاهله إطلاقاً[٦]، فقد أشارت المصادر إلى شيوعه وسط النساء الأرستقراطيات في المجتمع الهندي، أمّا فيما يتعلق بالمسألة الدينيّة فقد حازت المرأة على مساواة تامة مع الرجل[٧]، فشاركت بممارسة الطقوس والشعائر الدينيّة، كا لأضاحي، و بعض الشعائر الدينيّة التي فرضها الزوج على زوجته، وانضمّ العديد من النساء إلى الأديرة، والمعابد البوذيّة وأصبحن راهبات قديسات[٨].

---

* هاراشا (Harasha) هو ابن الراجا ڤاردان (Vardan) أحد ملوك الهند العظام، كان من نُسّاك الديانة البوذية وداعية إلى تعاليمها، تولّى عرش تهانسيار (Thanscar) وكانوج، ساهم في وضع نظم إدارية متطورة، وشجع الآداب والعلوم بأنواعها تولّى السلطة من سنة ٦٠٦م وحتى وفاته سنة ٦٤٧م.

(Charles Kincaid, King Harasha of Kanauj, last great Emperor of Ancient India, PP. 35-45.

أمّا في مجال التعليم فنلاحظ أنّ المرأة تمتعت بقسط عال من التقدير والاحترام[٩] فالعديدرمن النساء عملن في هذا القطاع وبرزن فيه، فأصبحن مدرّسات ومرشدات ومربيات[١٠]، واستمر اهتمامها بالتعليم حتى بداية العصور الوسطى للهند[١١]، ومن بين النساء اللواتي لمعن في حقل الشعر والأدب السنسكريتي ما بين سنة ٦٠٠-١٢٠٠م، نشير إلى السيدة (اندراليخا) (Inderalekha)[١٢]، أمّا الأخريات من النساء فانحصر اهتمامهن على دراسة وتعلم العلوم الرياضية فقط[١٣]، في حين كانت دراسات الفنون الجميلة من أبرز العلوم التي أخذت من المرأة الهندية كل اهتمام، فمعظم النساء، لا سيما الطبقة العليا، كرّسن اهتمامَهُن على الفنون الجميلة، كالرسم، والموسيقى والرقص والغناء والزخرفة وأعمال (الديكور)[١٤].

أضف إلى ذلك، أنّ المرأة قضت معظم أوقات راحتها وفراغها في ممارسة هوايات وتسلية مختلفة، كالرقص والموسيقى وهما الهوايتان المفضلتان والمرغوبتان، وكذلك الألعاب، كلعبة الغُميضة (Hide and Seek) (وهي لعبة أطفال يُغمض فيها أحدهم عينيه، وبعد أن يعطي الباقين وقتاً كافياً للاختباء، يمضي للبحث عنهم)، ولعبة الركض والمَسك (run and catch) والتي مورست في أفنية البيوت والحدائق، حيث الأمان والسلامة [١٥]، وأحياناً كانت الفتيات يمارسن رياضة السباحة.

يضاف إلى ذلك، أنّ المرأة متّعت نفسها بأعمال الحدائق، وصناعة الألعاب، وتزيين وترتيب البيوت[١٦] كل هذه الأعمال التي مارستها المرأة الهندية استمرت إلى عهد (الراجبوت)، وفي عهد (الراجبوت)، شاركت المرأة الهندية في العمل على توسعة البلاط الملكي، وبناء الحدائق، وميادين اللعب[١٧] واستمرت المرأة الراجبوتية تمارس كافة العادات القديمة كمشاركتها زوجها في الحملات العسكرية، ورحلات الصيد، والاحتفال بالمناسبات الدينيّة[١٨].

وفي مطلع العصور الوسطى، شرعت النساء بارتداء لباس الساري (Sari)، وغطين أجسادهن بالصدارة، لا سيما الجزء العلوي من صدر المرأة (bodic)، وكُنَّ

يستخدمن وشاحاً طويلاً يسمى (Dupatta) مصنوع من قماش متنوع، يلبسن ذلك عند خروجهن خارج المنازل[١٩]، أمّا في المنطقتين الشمالية والغربية من الهند، فقد ارتدت المرأة تنورة طويلة -في الغالب- وأشير في المصادر التاريخية إلى استخدام القمصان التي كانت عادة شائعة وسط النساء، بحيث كُنَّ يُغيّرن لباسهن تبعاً لتغيّر المناسبات والأعياد في بلادهن[٢٠] أمّا في فصل الصيف، فقد اتّخذت المرأة من القماش الابيض لباساً لها، بينما كانت تفضل الملابس الملونة والأقمشة المصبوغة.[٢١]

أمّا الزخرفة والزينة فكانت من الأعمال الاكثر شيوعاً وتفضيلاً في مجتمع المرأة الهندية، فزينّ أجسادهن بالورود والمجوهرات، ووضعن الحلي والمجوهرات في مقدمة الرأس والأذنيين، ووضعن الأساور والخلاخيل والأختام وأحزمة الخَصر وغيرها[٢٢] وتبين لنا ان لباس أختام الانف لم تكن من العادات الشائعة في العصر الهندي[٢٣] وعلى العموم، فقد صنعت هذه المجوهرات من معادن مختلفة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة المتنوعة[٢٤] حتى النساء الفقيرات اتّخذن من المجوهرات وسيلة من وسائل الزينة والجمال، وغالباً ما كانت مصنوعة من العاج والنحاس الأصفر والزجاج[٢٥] وإلى جانب اهتمام المرأة بالزخرفة فقد منحت أيضاً اهتماماً كبيراً للزينة، فاستخدمت مستحضرات التجميل (Cosmetics) والمراهم (Unguent) بانواعها المختلفة، كالسندل الممزوج بالزعفران[٢٦].

وكانت المرأة تطوي شعرهاعلى شكل ضفائر متعددة الأشكال، واتّخذت من الأزهار والورود وسيلة للحصول على الجمال والزينة[٢٧] وكان الشعر يجدل إمّا على شكل ضفائر عريضة وإمّا جدائل منثورة، أمّا أكثر تسريحات الشعر شيوعاً بين النساء هي كعكة الشعر، والتي يكون فيها الشعر معقوداً على شكل كعكة فوق قفا العنق، حيث توضع الحلي والمجوهرات[٢٨]، واستخدمت المرأة القطرات (Collyrium) لتحسين جمال العيون، ووضعت اللون القرمزي (Vermilion) في جبهة الرأس، وكذلك قمن بتزيين وجوههن[٢٩]، وعلى الشفتين، ورؤوس أصابع اليد

وأصابع القدم وراحة اليد وغير ذلك، استخدمت أنواعاً متعددة من الأصباغ والمراهم[٣٠].

وفي المجال الاقتصادي، اشترك الزوج والزوجة في ترتيب شؤون المنزل وادارته، وفي وقت الزواج، عادة يأخذ الزوج على نفسه عهداً (كالقسم مثلاً) يطعن زوجته أو يخونها، خاصة فيما يتعلق بالنفقة والرعاية الاقتصادية في حين كانت نظرية المُلكية المشتركة قد ساعدت المرأة في الحصول على بعض الحقوق، لذلك لم تكن تتمتع بالمساواة مع الرجل في هذا الجانب، وليس هناك ما يشير إلى أنّ القانون قد منح المرأة الهندية إرثاً ولاحقاً في الملكية واقتصرت مُلكيتها على ممتلكاتها الخاصة، كالمجوهرات والثياب والأواني وغير ذلك[٣١].

وفيما يتعلق بوضع المرأة في الطبقة الدنيا، فقد أدّت المرأة واجبها بمساعدة زوجها في تصريف شؤون الحياةالمختلفة، لذلك نشطت المرأة في حقل الزراعة[٣٢]، وقمن بصناعة الأسلحة الحربية، كصناعة السهام والرماح وما يتعلق بهما في ميادين القتال[٣٣]، وكانت للمرأة نشاطات أخرى في المجتمع، كالعمل بالحياكة والنسيج، والتطريز وصناعة السلال القشية، [٣٤] ومن نساء هذه الطبقة مَنْ عملت خادمة في القصور الملكية[٣٥].

وعموماً، ففي المجتمع الهندي الذي خضع لمؤثرات النفوذ التركي الإسلامي، لم يرقَ وضع المرأة قبل هذا النفوذ التركي إلى المستوى المطلوب، بل لم يكن وضعها مطمئناً، فحقوق المرأة في ممارسة الحرية والحصول على تقدير اجتماعي لم يمنح لها في الحياة الاجتماعية وإنّ الشيء الذي احتفظت به لم يكن بذات الأهمية، وعندما جاءت المرأة التركية إلى الهند، جلبت معها إرثاً ثقافياً وعقائدياً خاصاً بها، وهو الإرث المنبثق عن حياة العرب العباسيين، وفي هذا الوسط احتلت المرأة مكانة مرموقة في محيطها الاجتماعي، فطفقت تشارك في أعمال سياسية متعددة.

أمّا عزلة النساء في المجتمع فلم يكن معمولاً بها بشكل جادّ في بداية الأمر، لكنها بدأت تأخذ طابعاً صارماً بعد القرن العاشر الميلادي، على أنّ بعض النساء

حصلنَ على مكانة متقدمة في مجالات مختلفة، ويتبين أنّه لم يكن لهن أيّة نشاطات دينية، إلاّ أنّ اهتمامهن انصبّ باتّجاه العمل في الفنون الجميلة كهواية ووسيلة للحصول على المتعة والسعادة لذلك مارسن العزف على الموسيقى واحترفن الرقص، وهما من الهوايات الدارجة -على الأغلب- وبعضهم الآخر منهن انحصر اهتمامهن على صناعة الأزياء والملابس، على الرغم من الأزمات التي اعترضت البلاد في مناطق غرب آسيا خلال القرن الحادي عشر.

لقد جلبت المرأة التركية إلى بلاد الهند مفاهيم ربما تكون أكثر واقعية وممارسة على الأرض مما كانت عليه الحال في المجتمعات الهندية القديمة، كتقدير المرأة وتوقيرها وجعلها تتمتع بالمروؤة والشهامة، هذه المفاهيم أصبحت تمثل عادات وتقاليد وتراثاً، وقد عزّز الملوك والنبلاء والجنود الأتراك كلّ هذه السلوكيات الاجتماعية إزاء المرأة، واثناء ذلك بدأت تنتشر عن طريق تكيّف المرأة الاجتماعي، ومع ذلك ظلت تخضع لمؤثرات ومتغيرات اجتماعية وطبيعية.

وسلاطين دلهي الأتراك والافغان امتلكوا العديد من نساء الحريم في قصورهم، بحيث كانوا يقضون أغلب أوقاتهم برفقة زوجاتهم ومحضيّاتهم (عشيقاتهم)، والى جانب علاقاتهم الوطيدة بأمهاتهم وشقيقاتهم فهنالك علاقات خارجية وسط نساء الحريم وأن والدة السلطان كانت تتمتع باحترام وتقدير كبيرين، بحيث لم يكن يدانيها في هذه المكانة السامية إلاّ زوجات السلطان، ووفقاً لما كانت عليه المرأةالفارسية (والراجبوتية) من عادات وتقاليد، وأحرزت الوالدة (الأم) أثراً واسعاً من النفوذ والاستبداد أكثر من الزوجات، فبعض تلك النسوة الملكيات اللواتي عشن في قصر السلاطين، تمتعن بهيبة ووقار، ومنحن الألقاب التفخيمية كملكة جهان ومخدومة جهان وغير ذلك[٣٦].

وهناك بعض السيدات الطموحات داخل البلاط السلطاني جُذبن للانخراط في غمار العمل السياسي، ففي عهد سلطنة دلهي التي شهدت على ظهور ممارسات نسوية في إدارة الشؤون السياسية المعاصرة، والشاهدة الأولى على ذلك هي السيدة

(شاه تركان) زوجة السلطان المملوكي التركي، شمس الدين التتمش وهي والدة ركن الدين فيروزشاه، إذ كانت سيدة مليئة بالطموح والإرادة ولذلك عبّر السلطان التتمش عن رغباتها عندما عين ابنته رضية ولية للعهد في حكم السلطنة، في الوقت الذي لازالت فيه شاه تركان تمارس نشاطاتها السياسية والإدارية، وبعد وفاة زوجها مباشرة سنة ١٢٣٦م، طفقت تتلاعب في وضع محبوبها الكسول ولدها ركن الدين فيروز على العرش، واحتكرت كافة السلطات السياسية والإدارية في يدها[٣٧]* ولتحقيق طموحاتها عمدت إلى قتل العديد من حريم البلاط، حتى إنّها نسجت المؤامرات ضد الأميرة رضية، إلاّ أنّ نهايتها كانت عزلها عن السلطة وايداعها السجن بوساطة نبلاء البلاط لتفشل في تحقيق مخططاتها التي سعت إليها.

المثال الآخر الذي يُظهر دور المرأة في الحقل السياسي، تولي الأميرة رضية بنت السلطان المملوكي (التتمش) مقاليد الحكم في سلطنة دلهي الإسلامية، وهي الأميرة التي استطاعت ببراعتها وقدرتها الفكرية في التأثير على والدها (التتمش)، ذلك أنّ السلطان المذكور وبعد وفاة الابن الأكبر له ويدعى ناصر الدين محمد في عام ١٢٢٩م، راح يتدارس أمر خلافته ومَنْ المرشح البديل الذي سيعتلي عرش السلطنة، فوقع اختياره على ابنته رضية لتصبح ولية للعهد، مفضلاً إيّاها على سائر أبنائه كلّهم، وهم: ركن الدين فيروز، ومعز الدين بهرام وناصر الدين محمد، ولقد كان إعتلاء السلطانة رضية لعرش السلطنة على أساس ما تمتعت به من كفاية ودراية وخبرة في إدارة الشؤون السياسية والإدارية للسّلطنة، كل ذلك جاء بفضل الجهود التي بذلها (التتمش) في تعليم وتدريب ابنته على المسائل الإدارية، وهذا منحها فرصة ثمينة للحصول على معرفة وخبرة جيدتين حتى تقوم بمهام وأعباء السلطنة خير قيام[٣٨]*

---

* تولى السلطان شمس الدين التتمش السلطة في دلهي سنة ١٢١١م، وكان ينتمي إلى قبيلة الباري التي تسكن إقليم تركستان، ويعتبر المؤسس الفعلي للامبراطورية التركية في بلاد الهند، طور نظم الدولة الإدارية، كما طور المسكوكات العربية التي كانت تضرب في مدن الهند، وقد تمتع التتمش بعقلية سياسية فذة، بالإضافة إلى سياسة الإصلاحات الواسعة التي نهض الى تحقيقها، توفي سنة ١٢٣٦م.

Majumdaur, An Advanced history of india, PP. 274-276

ونستطيع أنْ نقف على بعض المواقف الهادفة من قبل السلطان (التتمش) تجاه تطوير خبرة ومعرفة الأميرة رضية، ففي سنة ١٢٣١م ويوم غادر السلطان (التتمش) العاصمة دلهي في حملة عسكرية ضد مقاطعة (كوايلور) (Gwalior) عيّن رضية قائمة بالأعمال الإدارية في دلهي نيابة عنه(٣٩) فأبلت بلاء حسناً وأبدت جدارتها وبراعتها في ذلك، ومع تعيين رضية وريثاً شرعياً لوالدها، بدأت تظهر بعض التساؤلات المستنكرة والغاضبة حول موقف الإسلام ونظريته في الحكم وما حدث على ساحة الهند باعتلاء رضية السلطة، كصاحبة القرار الأول في البلاد، على أنّ المرأة عند الفرس حصلت على حقّها في الوصول إلى السلطة، وأضحى ذلك شائعاً بينهم إلا أنّ ما حدث في الهند الإسلامية كان حدثاً غريباً وجديداً على فهم المجتمع الإسلامي، (٤٠) وفي الفترة التي تولّى الترك فيها سيادة العالم الإسلامي لم تظهر أيّة احتجاجات أو اعتراضات ضد حقوق المرأة في الحصول على مراكز عليا ومتقدمة في الدولة، وممارسة العمل السياسي بشكل طبيعي، ويبدو أنّ الترك استوعبوا تقاليد الفرس السياسية تماماً، وعليه أقرّ الترك حقّ المرأة في السلطة والحكم.

وأثناء عودة السلطان (التتمش) من (كوايلور)، وحين أمر رئيس وزرائه تاج الملك بان يكتب مرسوماً (فرماناً) سلطانياً يقضي بتعيين الأميرة رضية وريثة شرعية له في حكم السلطنة(٤١)، أعلن بعض رجالات الحاشية السلطانية، إنّه في حال وجود أولاد للسلطان على قيد الحياة، فلا ينبغي تعيين ابنة الخليفة على العرش، ورغم هذه الآراء، فلم تظهر أية اعتراضات أو احتجاجات دستورية وقانونية حول مسألة التعيين، ولم يظهر كذلك موقفاً مناوئاً من قبل القضاة الشرعيين إزاء شرعية القرار

---

* جاءت السلطانة رضية إلى عرش دلهي سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م بعدما اختارها والدها السلطان التمش ولية لعهده على عرش سلطنة دلهي، وقد برهنت على أنها قائدة عسكرية وسياسية وإدارية متفوقة، كما أرست قواعد العدل والرخاء ودعمت الحركة العلمية في بلاد الهند، ودل تولي السلطانة رضية السلطة على تطور الوعي السياسي والإداري لدى دولة المماليك المسلمين في الهند، قتلت سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م.

الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ١ ص ١١٩-١٢٠-١٢١ النسخة الانجليزية، Tripathi, Some Aspects of Muslim Administration PP). .(92-33.

ابن بطوطة، الرحلة، ص٤٤٦. المترجم.

الذي اتّخذ(٤٢).

ومن المحتمل أنّ موقف النبلاء من تنصيب الأميرة رضية ولاية العهد بعد والدها لم يكن معارضاً، بل اتّخذوا موقفاً حيادياً ولم يخوضوا بمسألة أنّ أولاد السلطان أحياء وهم أحق بالحكم الوراثي من ابنته(٤٣).

على أيّة حال، استثمرت الأميرة رضية فرصة عجز وعدم أهلية شقيقها ركن الدين فيروز، وظهرت على الناس في دلهي واجتمعت بالجيش(٤٤)، لمساعدتها في اعتلاء العرش السلطاني، وعندما تحققت رغباتها في اعتلاء عرش دلهي، أخذت شؤون الدولة تتجه نحو الاستقرار والوضع الطبيعي(٤٥) في حين ألقي القبض على جميع مَنْ أبدى معارضته تجاهها وأُدعو السجن، ونشطت السلطانة رضية تدير دفة الحكم بنجاح تام طيلة اربع سنوات هي مدة بقائها في السلطة، وذلك من عام ١٢٣٦م ولغاية ١٢٤٠م.

ان مسألة اعتلاء السلطانة رضية عرش دلهي مِنْ أعظم وأبرز سمات العصر المملوكي ودليل على تطور ونضوج المفاهيم السياسية في تاريخ سلاطين دلهي، إذ كان تقليد رضية للعرش سابقة أولى في الهند الإسلامية، بل وحتى سابقة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فبجدارتها وذكائها وخبرتها وقدرتها السياسية وصلت إلى ما وصلت اليه، ويعدّ هذا الحدث حدثاً مشرّفاً، وقد تبيّن إنّ اعتلاء رضية العرش يظهر أنّ أعلى المناصب السياسية في دولة سلاطين دلهي المملوكية أضحت مفتوحة أمام طموحات النساء، وهو ما يعكس ويعبّر في نفس الوقت عن حالة التطور والنضوج العقلي لدى أتراك القرن الثالث عشر(٤٦)، والأتراك هم الذين هيأوا الفرصة لفهم العدالة السياسية واستحقاقات الجميع في الوصول إلى السلطة بصرف النظر عن الاختلافات الطبقية والجنسية (الأنثى والذكر) في المجتمع، ومثال رضية، أصبح الانموذج ومصدر الالهام والشجاعة للمرأة (الملكية) لتأخذ دورها الفاعل في حقل السياسة.

وبعد غياب دام نصف قرن، بدا لنا مثل آخر، لسيدة أخرى نالت موقعاً مرموقاً

في الميدان السياسي، وهي ملكة جهان زوجة جلال الدين ووالدة ركن الدين إبراهيم، حيث كانت من أكثر النساء طموحاً، وكان لقوة شخصيتها دورٌ في تحويل حياة ابن أخيها الخاصة إلى جحيم لا يطاق، مما اضطرّه ذلك إلى اتّخاذ قرار لمغادرة العاصمة إلى مدينة (كارا) (Kara) كحاكم إداري لذلك الاقليم وذلك سنة ١٢٩١م.

وبعد وفاة جلال الدين في عام ١٢٩٦م بذلت مساع حثيثة لإحلال ولدها على العرش، وهي حينئذ تقبض على شؤون الدولة السياسية[٤٧]، متجاهلة تماما اعتلاء (اركالي خان) الشهير بـ (رستم الزمان)، واستطاعت بشكل تدريجي أن تسيطر على مقاليد الأمور، وأعقب ذلك تنظيمها لإدارة مؤسسات الدولة من خلال مساعدتها بوضع حد لحركة علاء الدين المتنامية، والذي كان حليفاً قوياً له، بينما راح يهاجم ركن الدين إبراهيم حليفها، وعلى العموم، جرّدت (ملكة جهان) وولدها من ملكيتهم تماماً، وأجبروا على طلب الحماية من (اركالي خان) الذي كان يسيطر على إقليم الملتان.

أمّا في عهد السلطان علاء الدين، فلم يكن ليمنح النساء فرصة ولو ضعيفة في ممارسة العمل السياسي، ولا حتى إعطاء نبلاء قصره مثل تلك الفرصة، لأن علاء الدين كان زعيماً ارستقراطياً قوياً بالإضافة إلى ما عرف عنه من تعصب شديد[٥٠]*، وبرغم عصبية علاء الدين، هناك بعض الأمثلة تشير إلى نفوذ الحريم عليه، وعلى كثير من القرارات التي كان يناقشها ويتداولها في بلاطه، على أنّ أسرة آل تغلق تعتبر من الأسر التي أبدت تقديراً كبيراً للمرأة، فالسلطان محمد بن تغلق حرص أشد الحرص على منح والدته كل احترام وتبجيل إلى درجة إنّه كان يتفانى

---

* اعتلى علاء الدين محمد بن تغلق عرش سلطنة دلهي الإسلامية سنة ١٣٢٥م واستمر حاكماً للسلطنة حتى سنة ١٣٥١م، امتاز علاء الدين بسعة معارفة وثقافتة الإسلامية، حتى عده بعض المؤرخين من علماء عصره، أولى الثقافة والآداب رعاية فائقة، كما وجه عنايته للاهتمام بالمنشآت الزراعية وعمل على تطويرها،

(K. Ali, Anew History of Indo - pakistan up to 1526 A.D Aziz Publishers, Lahore, 1980, PP. 95, 96, 97, 98). المترجم

بمحبتها وخدمتها[٥١]، بحيث أعطاها بعض الفرص لتتصرف بما يتعلق ويرتبط بشؤون الدولة من مسائل، حتى أنها سيطرت سيطرة تامة على زوجاته الملكات، وحينما مات محمد بن تغلق، كانت هناك محاولة من قبل شقيقته (خداوند زاده) لإحلال ولدها (دار بخش) في السلطة واعتلاء العرش[٥٢]، إلا أنّ نبلاء السلطنة راحوا يتدارسون الأوضاع التي آلت إليها البلاد ورجّحوا ولاية العهد للأمير فيروزشاه تغلق والذي كان يومها يعيش في مدينة تهتها (thatta)، في الوقت الذي سعت فيه (خداوند زادة) إلى إيصال ولدها لسدة الحكم، ورغم أنّها حاولت قتل فيروز [٥٣]، إلاّ أنّ كافة مساعيها باءت بالفشل الذريع.

حتى في عهد السلاطين اللوديين لم تظهر أية أمثلة على مشاركة المرأة في الأعمال السياسية الهامة في الدولة، إلا أنّنا نجد في الصراع الذي نشب بين السلطان (بهلول لودي) والحكام الشرقيين في إقليم جانبور (Janpur) العديد من النساء اللواتي ساهمن بقسط وافر في المسائل السياسية، وأنّ زوجة السلطان علاء الدين، كانت امرأة في غاية الطموح، دفع بها هذا الطموح إلى الثأر لهزيمة والدها على يد السلطان بهلول لودي، لإخراج الأخير من مدينة دلهي[٥٤]*، فقامت تحرّض زوجها ضد مخاطر السلطان بهلول لودي، ونزولاً عند رغبتها، فرض محمود شرقي حصاراً شديداً على مدينةدلهي، حيث سقطت مدينة دلهي على يد الأفغان، وذلك في غياب بهلول لودي عن المدينة، هذا النجاح، كان بفعل الدور الذي مارسته الزعيمة (بيبي ماتو) (Bibi Mattu) أرملة إسلام خان[٥٥].

أمّا والدة السلطان محمود شرقي المسماة (بيبي راضي) (Bibi Razi) فكانت هي الأخرى سيدة حصيفة حكيمة[٥٦]، فبعد وفاة السلطان محمود شرقي، أخذت تستعطف الأمراء والقادة وتطلب عونهم وولاءهم، وعينت الأمير (بي خان) على عرش السلطنة، وكان الفضل في استتباب واستقرار أحوال الدولة يعود إلى تدخلها

* جاء السلطان بهلول لودي عرش سلطنة دلهي سنة ١٤٥١م، وكان زعيماً ذكياً كفؤاً حكيماً، وهو الذي فتح إقليم جانبور (Jaunpur) وهو الفتح الذي جعل منه زعيماً مشهوراً، حكم قرابة ٣٨ عاماً، وتوفي سنة ١٤٨٩م، وجاء بعده ولده اسكندر لودي، (K. Ali, OP-Cit, P. 120). المترجم.

المباشر[٥٧]*، مبرهنة على براعة ومراس كبيرين في نفوذها السياسي على إقليم (جانيور)، وكانت أيضاً مسؤولة عن تنصيب الأمير حسين على عرش جانبور[٥٨].

وظهرت ملكة جهان، زوجة حسين شاه، آخر حكام أسرة الشرقيين إذ تمتعت بسلطة واسعة، وأدارت شؤون الدولة المختلفة، فكان من مواقفها السياسية الهامة، تحريضها لزوجها لكي يزحف ضد السلطان بهلول، رغم المعاهدات والمواثيق التي كانت بين الاثنين[٥٩]، كذلك، لم يكن نصيب المرأة بسيطاً في بلاط الأسرة اللودية لا سيما في قصر الحريم (harem) (فشمس خاتون)، الملكة الأولى لبهلول لودي، ألحت بإصرار على زوجها بالا يخلد إلى الراحة حتى يخرج شقيقها قطب خان من المعتقل الذي فرضه عليه السلطان محمود شرقي[٦٠]، أمّا السيدة الأميرة بيبي امباها (bibi Ambaha) زوجة بهلول لودي الهندوسية، ووالدة الأمير نظام خان، الذي عرف فيما بعد باسم اسكندر لودي، كانت سيدة متبصرة وطموحة، فبعد وفاة زوجها لاحظت أنّ الأمير عيسى خان ابن أخت بهلول لودي، هو المنافس القوي لتقلد عرش السلطنة في دلهي، بينما كشفت نشاطها لايصال ابنها نظام خان إلى السلطة، وفي حين أعلن الأمير عيسى خان موقفه المتشدد لمنع نظام خان من الوصول إلى السلطة، أعلن معارضته تلك بسبب انتساب والدة نظام خان للهندوسية ، وإنّها ليست من الأسرة وليست مسلمة، إلا أنّ بيبي امباها نجحت في حشد المؤيدين لسياستها من الجماعات الأفغانية، لا سيما النبلاء منهم، بزعامة الأفغاني الشهير (خان خانان نوباني)، وأبدت براعة ومهارة في تعاملها مع المؤيدين، الذين ناصروها على تقليد ولدها على العرش[٦١]، وترأست مجلساً رسمياً دعت إليه من أجل ولدها، وحققت نجاحاً كبيراً حينما انتزعت بيعة الناس لولدها نظام في توليه عرش الدولة[٦٢]، وهكذا، فان العهد اللودي الأفغاني الذي ساد فترة من فترات الهند، قدم نموذجاً

* الملك المؤيد محمود بن إبراهيم الشرقي الجونبوري أحد خيار السلاطين المسلمين في الهند وكان يعرف بسلطان الشرق، قام بالملك بعد والده في سنة ٨٤٢هـ، وعرف بالحكمة والشجاعة، وكان فاضلاً عادلاً باذلاً محباً لأهل العلم، له آثار مجيدة في مدينة جونبور، توفي سنة ٨٦٢هـ، (الندوي، نزهة الخواطر، جـ٣ ص١٥٨-١٥٩) المترجم.

طيباً في إعطاء المرأة حقاً في ممارسة الشؤون السياسية بكل حرية وقوة ونشاط.

إلا أنّ وضع الحريم في عهد الأتراك وعهد اللوديين الأفغان في دلهي لم يكن قد وصل إلى مرحلة متطورة من العمل المؤسسي، كالتطور الذي رافق مسيرة المرأة في عصر المغول، وفي عهدهما (الأتراك والأفغان) شمل قصر الحريم الملكي، على السيدات الملكات والأميرات، والحاشية، من خدم وحشم وطهاة وغيرهم، وجميع هؤلاء (أي الحاشية) كانت تقوم على خدمة الحريم داخل القصر، وكان من معتقدات السلطان في هذه المرحلة، إنّه الزعيم الأوحد، وان كافةمنتسبي قصر الحريم يخضعون لرعايته وقيادته، وحتى النزلاء، يوضعون على مقربة من الحريم السلطاني في نفس القصر[٦٣]، وحتى داخل قصر الحريم اعتادت النساء على ارتداء الحجاب[٦٤]، في حين خضعت شؤون قصر الحريم الداخلية لإشراف امرأة قوية عرفت بالحاكمة (governess) وغالباً ما تكون من أسرة النبلاء[٦٥]، أضف إلى ذلك، أنّ الخواجه سارة كانت من النساء الشغوفات بعملها كمشرفة وحارسة للحريم الوافدات من الخارج[٦٦]، وقد اكتسبت هذه الوظيفة أهمية كبيرة، لذلك منحت للنساء الثّقات والمقرّبات في الأغلب.

ونلاحظ أيضاً، أنّ المرأة الهندوسية قد انضمت إلى قصر الحريم السلطاني في عهد سلطنة دلهي، فتزوج علاء الدين من كاملا ديفي (Kamla Devi) وكانت زوجة (للراي كاران باكيلا) الكجراتي، ودخولها لقصر الحريم السلطاني يعد التجربة الأولى للمرأة الهندوسية[٦٧]، وتبع ذلك حالات عديدة بزواج سلاطين وأمراء أفغان وأتراك من نساء وفتيات هندوسيات، ويروى أيضاً أنّ السلطان علاء الدين تزوج من ابنةرام تشاندرا (Ram Chandra)[٦٨] وزوّج علاء الدين ولده خضر خان من سيدة هنديّة تدعى ديفال ديفي (Deval Devi) ابنة راي كاران (Rai Karan) [٦٩]، وأنّ السلطان فيروز تغلق هو ابن لسيدة هندوسية راجبوتيه[٧٠]، حتى أنّ والدة السطان اسكندر لودي هي من أصل هندوسي[٧١]، وعلى الرغم من دخول المرأة الهندوسية إلى قصر الحريم بصفة زوجات للسلاطين والأمراء، فلم يكن لهن أيّة نشاطات سياسية كبيرة،

ومن المحتمل إنّهن تعرضن إلى قمع كبير، ولم يسمح لهن بممارسة أيّة نشاط، وهذا يدل على أنّ السلطان لم يعِ بعد تقدير واحترام الثقافات المتنوعة في بلاطه.

بعض السيدات الملكيات اشتهرن بتحررهن وأعمالهن الخيرية والإنسانية، ومن بين أولئك النساء كانت (شاه تركان) التي اشتهرت بشغفها وولعها بالفنون والآداب[٧٢]، كما وعرف عن والدة السلطان محمد بن تغلق تحررها، لذلك حظيت بمنزلة اجتماعية رفيعة، اذ كانت تقيم الحفلات، وتدعوا السياح والرحالة الأجانب إلى موائدها، وتقدم لهم الهدايا والأعطيات الجزيلة[٧٣]، وعلى شرفها قدمت الهدايا والأموال بهدف تعليم وتربية الأطفال، وكانت مولعة أيضاً بالأعمال الخيرية، وبنت العديد من الخانقاه التي كانت توزع الطعام على السائحين والزوار بدون مقابل[٧٤].

وفيما يتعلق بالحياة الفكرية والثقافية، فقد احتلّت المرأة مكانة مرموقة، وفرضت نفسها بقوة على قطاع الثقافة والتعليم، فان مآثر السلطانة رضية تثبت بما لا يدع مجالاً للشّك أنّ الأسرة التركية والأفغانية التي حكمت الهند لم تتجاهل لتعليم البنات والنساء والاولاد الأهميّة العظمى، فكانت السلطانة رضية شاعرة موهوبة، تقرض الشعر، وفرضت على البنات لبس الخمار، وليس من شك أنّ الفتيات حضين بالتعليم في المدارس[٧٥].

وكان تعليم الفتيان والفتيات مختلطاً في المراحل الأساسية من التعليم، وبعد المرحلة الأساسية يتمّ نقل الفتيات إلى أماكن مستقلة لتلقّي تعليم خاص بهن، لا سيّما إرسالهن إلى مدارس متخصصة في تعليم الفتيات[٧٦]، وكثيراً ما كانت الفتاة تتلقى التعليم في بيوت خاصة[٧٧]، وفي بعض الأحيان كانت الأرامل من النساء المسلمات يقمن على تعليم القرآن للبنات، أمّا فتيات الطبقة العليا فكن يتلقين تعليمهن في بيوت آبائهن بإشراف امرأة متعلمة أو شيخ له معرفة تعليمية خاصة في البنات[٧٨].

وقد مورست قواعد سلوكية صارمة في أماكن الدراسة والتعليم تجاه الجنسين الإناث والذكور، وخصّصت لهم إدارة المدرسة أو الجهات المعنية منحاً وأعطيات، لا

سيّما العيديات أو صدقات العيد[٧٩]، ويُقال أنّ السبب وراء هجوم السلطان محمد بن تغلق ضد مرتفعات كارجال (Qarjal) رغبته في امتلاك نساء على درجة كبيرة من الثقافة والمعرفة، ولهن مآثر وإبداعات أدبيّة في ذلك الإقليم[٨٠].

وفي بلاط (سراي) السلطان غياث الدين خلجي في دولة مالوا (١٤٦٩-١٥٠٠م)، ظهر العديد من مديرات المدارس، والعارفات بالموسيقى، وقارئات القرآن والأدعية الإسلامية[٨١]، وذلك دليل على اهتمام السلطان ورعايته للنساء المتعلمات، فمآثر السيدة ديفال باني (Deval Bani) أوضحت أنّ الحاكمات الهنديات كن متحمسات لتعليم بناتهن[٨٢].

إلى جانب التعليم والثقافة، كانت المرأة مولعة بالموسيقى والرقص، فقد اشتهرت في عهد السلطان جلال الدين خلجي مطربتان من نساء القصر، عرفن باسم (فتوحة) و (نصرت خاتون)[٨٣]، اذ كن يمتلكن أصواتاً ناعمة، وعذبة شجية، وقد برعن في نفس الوقت بالأعمال الفنية والأدبية، أمّا السيدات التالية اسماؤهنّ فقد كن خبيرات بالرقص: كالسيدة (دختار خاصة) و (نصرت بيبي) و (مهرافروز)[٨٤] أمّا أشهر الآلات التي استخدمتها المرأة في الموسيقى فعرفت بـ «تال Tal»[٨٥] حيث يضعن هذه الآلات برباط محكم حول أصابعهن، وينشدن الوصلات الموسيقية التي تريح وتطرب الناس، أمّا الرقص فغالباً ما كان يؤدّي في الأعياد والمناسبات[٨٦] وهكذا نجحت المرأة في هذه الفترة من تنظيم حياتها الأدبية والموسيقية والرقص، مما ساهم ذلك في إثراء الحياة الثقافية في بلاط السلطان ووسط الحياة الاجتماعية في آن واحد.

وما يتعلق باللباس، فثمة تشكيلات متنوعة للملابس التي استخدمتها المرأة الهندية، من هذه التشكيلات ما احتوى على شال طويل على شكل الملاءة الفاخرة المصنوعة من النسيج القطني الرقيق، شبيه بالساري الذي يستخدم حديثاً في الهند، وهناك القميص الخارجي الفضفاض يسمى تشولي (Choli) بأردان قصيرة وألوان داكنة، وصدّارة توضع على صدر المرأة، والتي اقتصر استعمالها على البنات

البالغات والسيدات المتزوجات، أمّا النوع الآخر للألبسة فكانت تحتوي على ثوب طويل فضفاض يتدلى من الخصر إلى أخمص القدمين ويسمّى لاهانكا (Lahanga)، وقميص خارجي وصدّارة مع لفاع أو وشاح طويل[٨٧]، وهذه الألبسة كانت أكثر شيوعاً وانتشاراً في منطقة دؤاب (Doab)، بينما كانت النساء المسلمات يرتدين ملابس وسراويل داخلية (drawers)، وأثواب طويلة فضفاضة، ولفاعات طويلة كذلك[٨٨] أضف إلى هذا اللباس، فقد ارتدت النساء المسلمات الخمار، ونلاحظ من خلال الاستعمالات اليومية للألبسة فقد تفادت المرأة استخدام اللون الأزرق لأنّه يعبّر عن الحداد (mourn)، أمّا الأكثر استخداماً فكانت الألوان الفاتحة والمنقوشة والمزركشة، ويتّضح إنّه لم يطرأ أيّ تحول على ألبسة المرأة في هذا العصر.

والمرأة الهندية كانت مولعة دائماً بالزخرفة والنقوش، وهذا دفعها إلى وضع تقاليد هامة لتحديد وسائل زينتها، في حين عبرت المرأة الهندية المتزوجة عن طموحها ورغباتها من خلال الزخارف، بينما الأرامل من النساء كنّ ينبذن (Cast away) التعامل مع الزخرفة كوسيلة تفضي إلى الزينة، وهناك العديد من التشكيلات الزخرفية كانت تستخدم على نطاق واسع بين نساء الهند، من الرأس حتى أخمص القدمين، بعضها لمقدمة الرأس ك (ششبول) (Shishpul) " وبعضها الآخر للرأس ويسمى بـ «جوهمار» (Jhumar)، أو حلقات الأذان، وعقود وسلاسل الأعناق، والخلاخيل، وإسورة الأذرع، وإسورة الأيدي (bracelets) والأختام، وأحزمة الوسط (الخصر)، على أنّ أكثر وسائل الزينة شيوعاً واستخداماً بين نساء هذا العصر، هي أختام الأنف، والتي يعتقد بأنّها عادة جلبها الفاتحون المسلمون معهم للهند[٨٩]، أمّا هيئة وأشكال المزخرفات التي استخدمت من قبل النساء المسلمات والهندوسيات ربما تكون مختلفة عن بعضها بعضاً، لكنّها بقيت متشابهة من حيث الأصل والمكونات.

إلى جانب الزخرفة، فقد صرفت المرأة الهندية وقتاً كبيراً على الزينة والتجميل، فاستخدمت عجائن متنوعة، كعجينة الصندل (Sandal Paste) والمسك (musk) وهي

مادة نفّاذة العبير، والزيوت العطرية، وفي المناطق الجنوبية لإقليم الكجرات، كانت المرأة تدهن (تمرهم)جسدها بأنواع عديدة من المعجنات العطرية، واهتمام مماثل مُنِح لألبسة الرأس وأغطية الشعر، أمّا أصناف الزينة والتجميل فكانت من قطرات العيون (collyrium for eyes) ومساحيق سوداء متنوعة لاستخدامات الحواجب، والمسك لاستخدامات الصدر، والحناء لليدين والقدمين، وورق التنبول للشّفتين [٩٠] ويبدو أنّ الأصناف التجميلية التي استخدمتها المرأة في عصر سلاطين دلهي من الأتراك والأفغان بقيت على ما كانت عليه عند المرأة في العهود القديمة.

أمّا وضع النساء اللواتي ينتسبن إلى الطبقات الدنيا (stratum) من المجتمع إزاء ظاهرة الزينة والجمال والأناقة، فهي الأخرى أبدت اهتماماً خاصاً بها، إلا أنه لا تسعفنا المعلومات لعدم وفرتها حول هذه المسألة ويبدو أنّ نساء الطبقة الدنيا حذون حذو نساء الطبقات العليا في المجتمع [٩١]، وهذا دليل واضح على أنّ وضع المرأة العامة في المجتمع الهندي قد تراجع عند حلول المسلمين اليها، وذلك راجع إلى شيوع ظاهرة الشّك التي انتابت المرأة الهندوسية، أضف إلى ذلك انتشار الحجاب على نطاق واسع وبشكل صارم وسط النساء، وانتشار ظاهرة زواج الأطفال، حتى أنّ عادة الساتي (حرق النساء لأنفسهن وهنَّ أحياء)[٩٢] والتي كانت عقيدة دارجة عند الهندوس، غدت أكثر شيوعاً، حتى أنّ بعض النساء المسلمات لم يتورعنَ عن ممارسة هذه الشعيرة، واحرقن أنفسهن[٩٣]، كما نلمس تلك القيود الصارمة التي فرضها السلطان فيروز تغلق والسلطان اسكندر لودي على حرية المرأة، إذ أمر بمنعهن من زيارة المقابر وأضرحة القديسين والمشايخ، وهذه السياسة كانت محط تشاؤم واستياء عند كثير من النساء.

هوامش الفصل الأول

1. G.S. Chatterji, Harshavardhan, P. 87; A.L. Basham, The Wonder that was india, p.91.
2. A.S. Altekar, The position of women in Hindu Civillization, pp.21 and 187.
3. Journal of Indian History, vol. 17. (1938), p.24. Altekar, op-cit, p.182.
4. R.N. Saletore, Life in Gupta Age, p. 182.
5. C.V. Vaidya, History of Medieval India, Vol. I, p.6.
6. Ashraf, The life and condition of the people of Hindustan, p.245.
7. P.N. Prabhu, Hindu Social Organization, pp. 257-258.
8. R.K Mukherji, Shri Harasha, pp.193-194.
9. Madhavanand and Majumdar, Great Women of India, p.5.
10. P.N. Prabhu, op-cit, p.264.
11. Mukrji, op-cit, p.176.
12. Ojha, Madhyakaleen Bhartiya Sanskriti, p.53.
13. Ibid, p.53.
14. Basham, op-cit, p.179.
15. Altekar, op-cit, p.179.
16. Kalidasa, Abhigyan Shakuntalam, p.44.
17. Ojha, Rajputana Ka itihas, vol. i, p.77.
18. Ibid, p.88
19. Ojha, op-cit, p.43.
20. Ibid, pp. 158-159.
21. Ojha, op-cit, p.43.

22. Ibid, p.44
23. Altekar, p.302.
24. Ibid, p.298
25. Basham, op-cit, p.212
26. Altekar, p.300.
27. Ojha, op-cit, p.44.
28. Basham, The Wonder that was india, p.211.
29. Altekar, op-cit, p.300.
30. Basham, op-cit, p.212
31. Altekar, pp.214-217
32. Ibid, p. 179.
33. Ibid, p. 188 34, Ibid, p.182.
34. Ibid, p.182.
35. I.H. Qureshi, Administration of the Sultanate of Delhi, p. 65.
36. Al- Juzjani, Tabqa, Nasiri, Vol. I, p.632.
37. Ibid, vol. I, pp.637-638.
38. A.B.M. Habibullah, Foundation of Muslim Rule in India p.107.
39. Habibullah, Sultan Razia, Indian Historical Quarterly, Vol.II (1940), p.753.
40. AlJuzjani, op-cit, volI p.638.
41. Tripathi, Some Aspect of muslim Administration, p.29.
42. Ibid p.28.
43. Al-Juzjani, vol. I, p.636.
44. Ibid, val. I, p.639.
45. Tripathi p.29.
46. Barani, Tarikh-i- Firoz Shahi, p.39.
47. Ibid, p.39
48. Ibid, p.39

49. K.S. Lal, History of the Khalji, P.307
50. Ibn Batuta, vol-I, p.234.
51. Barani, op-cit, vol. II, p.56.
52. Ibid, II, p.66
53. Niammatullah, Makhzani- Afghana, p.36
54. Ibid, p.13
55. Al-Juzjani, op-cit, vol. I. p.342.
56. Ferishta, vol. I, p.555.
57. Niammatulla, op-cit, p.45.
58. Ibid, p.45
59. Al-Juzjani, op-cit, vol. I, 343
60. Forishta, vol. I, p.563.
61. Niammatullah, op-cit, p.24.
62. Ferishta, vol. I, p.563.
63. Qureshi, op-cit, p.150
64. Ibid, p.150
65. Barani, op-cit, p.218
66. Qureshi, p.150
67. Amir Khusru, Deval Rani Khizr Khan, p.172.
68. Isami, Futuah-us-Salatin, p.163.
69. Amir Khusru, p.173.
70. Barani, op-cit, vol. II, p.54.
71. Niammatullah, p.24.
72. Al-Juzjani, vol. I, p.631.
73. Ibn Batuta, vol. I, p.166.
74. Ibid, p.234
75. N.N. Law, Promotion of Learning in India, p.201.
76. Jafar Education in muslim India, p.85.

77. Ibid, p.192.

78. Ibid, p.85.

79. Ibid pp.190-191.

80. Dr. Prassad, History of Qaraunah Turks, in india, p.132.

81. Ferishta, vol. IV< p.236.

82. Ashraf, p.243.

83. Barani, p.16

84. Ibid, p.16

85. Amir Khusru, P.173.

86. Afif, Tarikh, i, Firoz Shahi, vol. II, p.144.

87. Ashraf, p.278.

88. Ashraf, P. 278.

89. Altekar, p.302.

90. Ashraf, p.280.

91. Ashraf p.243.

92. Ibid, pp. 256-261.

93. Tuzuk-i- Taimuri, Elliot and Dowson Vol. III, p.426.

الفصل الثاني

المرأة والحياة السياسية المعاصرة-١ ١٥٢٦م-١٦٢٧م

كانت ندرة المعلومات التاريخية الايجابيّة سبباً في خلق صعوبة تجاه تحديد الحقائق المتعلقة بمشاركة المرأة التركية- المغولية في الحقول السياسية، والشيء الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه، أنّ المغول- والأتراك قد منحوا المرأة بعض الامتيازات السياسية، ونشير هنا، إلى موضوع النساء الأرامل عند المغول اللواتي أشرفن ورعين الأولاد في مرحلة الطفولة والنشئ، فالأرملة تقوم مقام الرجل الغائب، ممتلكة حقوقه كافة، بما في ذلك زعامة القبيلة إذا اقتضى الأمر ذلك إلى حين نضوج الأبناء ليصبحوا قادرين على ممارسة أعمالهم بوعي وإدراك تامّين، وثمة أمثلة أخرى تبرهن على أنّ المرأة في المجتمع المغولي وصلت إلى مرحلة تكون فيها أو تمارس فيها مهمة الوصاية على العرش[(١)*].

---

* لعبت المرأة المغولية دوراً سياسياً هاماً في عهد أباطرة المغول، وشاركت في اتّخاذ قرارات سياسية عليا، فهي لم تكن وصية على العرش فحسب، بل باشرت أداء السلطة مباشرة، ومثال ذلك، في أوائل سنة ٦٤٩هـ/١٢٤١م عندما توفي خان المغول الأعظم "أوكتاي خان" استدعى حال المملكة إلى عقد مجلس الشورى الكبير "الكورلتاي" لاختيار خان، وكان قد تخلّف باتوخان وهو عميد أمراء المغول عن حضور المؤتمر، مما أدى إلى فراغ منصب الخان الأعظم مدة ثلاث

وفي وسط الأسرة التيمورية بالإضافة إلى أسرة جنكيزخان، كانت المرأة ترافق زوجها إلى ميادين القتال[٢]، ولم يكن من مسؤولياتها توفير الراحة والسلامة للمحاربين فقط، بل خاضت المعارك رابطة الجأش تقاتل بعنف وشجاعة، وظهر ذلك في جيش الأمير المغولي (تيمورلنك)، حيث شاركت النساء جنباً إلى جنب مع الرجال في الصدام مع الأعداء، يقاتلن بشجاعة المحاربين، وربما كان منهنَّ مَنْ قهرت الأبطال وفاقت الفرسان في الطعن بالحراب والرماح، والقذف بالسهام، والقطع بالسيوف[٣]*.

والأتراك في الهند هم الذين تمثّلوا السلوك السياسي الفارسي وفهموه فهماً جيداً، ومنحوا المرأة حقوقاً في السلطة، وكانوا قد اختاروا السلطانة رضية بنت التتمش سلطانة على مملكة دلهي، وهذه التجربة منحت المرأة حقاً جديداً في ممارسة العمل السياسي، الذي أوصلها إلى مراتب متقدمة جداً، فمثال رضية كان عامل حفز

سنوات، فسمحت هذه الظروف للملكة المغولية "تركانه خاتون" وهي كبرى زوجات "أوكتاي"، بأن تتولى وتشرف على مهام الحكم، (رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، ص١٢٢) كما خلفت (ارغنة خاتون) زوجها قُرا-هولاكو في حكم مملكة المغول في بلاد ما وراء النهر، وحظي في عهدها علماء المسلمين بالاحترام والتقدير، وحصلوا على امتيازات سياسية وإدارية كبيرة، وهي أول ملكة مغولية تعتنق الإسلام، وذلك بتأثير من وزيرها الشيخ قطب الدين حبش كما كانت سبباً في إسلام ولدها مبارك شاه، أول من أسلم من رجالات المغول في هذه المملكة.

(Ency. of Islam, Vol. II, P.3)

ويروي رشيد الدين الهمذاني أن هذه السيدة قتلت زوجها، وتولّت عرش الدولة مدة عشر سنوات (جامع التواريخ، ص١٤٤، ١٥٠) المترجم.

* شاركت المرأة المغولية في العديد من الحملات العسكرية التي نهض زعماء المغول لها، فالأميرة "قوتلون بيكم" ابنة قايدو بن أوكتاني بن جنكيزخان" كانت أثيرة لدى والدها على جميع أبنائه، وقد حاربت عدة مرات في القوات المسلحة المغولية، وأظهرت ضروباً رائعة من الشجاعة والاستبسال، ولما توفي والدها، أظهرت "قوتلون بيكم" رغبة شديدة في ترتيب الجيش وتدبير شؤونه (الهمذاني، جامع التواريخ، ص٢٥-٢٦)، كما تعهدت والدة جنكيز خان المشهورة باسم "أولون أيكة" بتربية ولدها جنكيز خان، ورعت جميع جنده،وقادت الجيش بنفسها عدة مرات، قائمة على تدبير شؤونهم، إلى أن صار ولدها مستقلاً ومستعداً (الهمذاني، ص١٧١) المترجم.

وتشجيع لسيدات البلاط السلطاني لاحتلال مواقع هامة في الدولة، في الوقت الذي آمن الأتراك المسلمين الهنود في شرعية المرأة بحكم الدولة، نجد الأفغان أيضاً أنّهم سمحوا للمرأة بحيازة مناصب عليا وأنّ تشارك في إدارة شؤون الدولة السياسية وغيرها.

وكذلك الحال لدى أسرة الامبراطور المغولي ظهير الدين محمد بابر التي ورثت تعاليم وتقاليد جنكيز خان وتيمورلنك في احترام المرأة ومنحها حقوقاً سياسية، فهم بدورهم أتاحوا لنسائهم فرصاً كافية للولوج في غمار السياسة، وخوّلوهن للعب ادوار كبيرة في الحكم، إلاّ أنّه لم يظهر أنّ نساء المغول في هذه المرحلة قد حصلن على حقوق توصلهن إلى ممارسة السلطة بشكل مباشر(٤)*، وفي العام ١٤٩٤م كانت وفاة الأمير عمر ميرزا والد بابر، وبابر حينئذ في سن الحادية عشرة من العمر، يقف أمام تحديات عسكرية قوية وكبيرة في نفس الوقت، هذه القوى كانت تهدّد حدود فرغانة، وفي هذه المرحلة العصيبة على الأمير بابر، نجده يحظى بمساعدة جدته «احسان دولت بيكم» التي كان لنصائحها الحكيمة أثر كبيرٌ في نجاح وانتصارات بابر، اذ أشرفت على شؤون الدولة، ونظرت في المسائل الإدارية المباشرة، ونظمت وضبطت الأوضاع بكل دقة ولباقة، بحيث لم يفقد بابر في ظل ما يحيط به من مؤامرات وأزمة حادة، لم يفقد من قوته شيئاً كثيراً(٥)، وليس ذلك فحسب، بل واجه بابر مؤامرة من أحد قادته العسكريين سعى إلى الإطاحة به عن العرش، فما كان من جدته «احسان دولت» إلا أنْ قبلت بهذا التحدي، فعملت على تنظيم الضباط والقادة

---

* الامبراطور ظهير الدين محمد بابر موسس امبراطورية المغول المسلمة في جنوب آسيا (شبه القارة الهندية) سنة ١٥٢٦م، بعدما نجح طرد الأفغان منها إثر انتصاره في معركة پاني پات الشهيرة، وهو من أبرز الزعامات المغولية قاطبة، عرف بالدهاء والحنكة وسعة الثقافة، ألف مذكراته المشهورة بـ "بابر نامة" وهي مليئة بالحكم والإبداع الأدبي والفني، حكم الهند حتى عام ١٥٣٠م وجاء بعده ولده (همايون).

Lane, Poole, Mediaeval India Under Mohammedan rule (A.D 712-1764), (Lahore, 1979), --. 189-195.

العسكريين الموالين المخلصين للعرش المغولي، حتى نجحت بجهدهم في القبض على المتمردين، لتخلّص الدولة من هذه الأزمة الخطيرة[٦]، هذه السيدة المغولية امتازت بالحكمة وبعد النظر والتحمل في أصعب الظروف، كل هذه الصفات ساعدت بابر على الاحتفاظ بعرش أبيه[٧].

هذه النشاطات التي قامت بها احسان دولت بيكم في سياسة المغول المعاصرة لم تكن حالة استثنائية ولا غريبة على طباع الأسرة المغولية، فزوجات الامبراطور بابر أسهمن كثيراً في إدارة شؤون الدولة وتصريف أمورها، ووضعن حداً للعديد من المشاكل والأزمات السياسية المعقدة، وكذلك الأمر عند والدته قوتلق نيجار خانوم (Qutlug Nigar) التي شاركت بابر في حملاته ومغامراته الحربية[٨] أمّا أكثر نسائه تأثيراً في الحكم هي زوجته الشيعية مهام بيكم قريبة السلطان حسين بيكارا، والتي تزوجت من بابر سنة ١٥٠٦م، فقد رافقت زوجها بابر إلى بدخشان وبلاد ما وراء النهر، ووقفت جنباً إلى جنب مع بابر في السّراء والضّراء[٩]، وعاشت مع زوجها حالة التصفية التي تعرض لها بابر، لذلك كانت السيدة الوحيدة التي جلست على عرش دلهي مع ملك المغول[١٠]، وحتى بعد وفاة زوجها بسنة ونصف السنة، ظلت تمارس نشاطها السياسي، واحتفظت لنفسها بمكانة مرموقة داخل الدولة المغولية[١١].

ومن زوجات الملك بابر الملكة (بيبي مباركة) التي تزوج بها في أفغانستان سنة ١٥١٩م، وبيبي مباركة ساعدت بابر في محنته، وكانت عامل توفير للراحة والثقة، وهي تنتمي إلى قبيلة أفغانية مشهورة، وهي قبيلة يوسفزي الأفغانية، إذ كانت من أكثر القبائل إظهاراً للعصيان والتمرد والثورة، وجاء دور بيبي مباركة لإزالة العوائق بين المغول والأفغان، فعملت على تخفيف حدة التوتر بينهما، وذلك باسترضاء واستعطاف زعيم القبيلة مالك شاه منصور بشكل خاص والأفغان بشكل عام، وكان لهذا التوافق سيطرة مغولية كاملة على أفغانستان[١٢]*.

وفي عهد الملك (همايون)، نجد الابنة الكبرى للملك (بابر) والتي تدعى (خازندا

بيكم) أول مَنْ يحتل مكانة مرموقة وهامة في قصر الحريم الامبراطوري، فبعد وفاة مهام بيكم زوجة بابر الشيعية سنة ١٥٣٢، برزت خازندا بيكم إلى الاضواء، كإحدى السيدات القياديات داخل القصر الملكي، وقد منحها الامبراطور لقباً خاصاً بها عرف بـ «بادشاه بيكم»[١٣]، في حين كان الملك (همايون) يثق بها ثقة مطلقة، فكانت محط مشورته، ويراجعها في حل المشاكل المستعصية على الأسرة المغولية، وكثيراً ما خوطبت لا سيّما عن طريق ابنة (همايون)، قلب الدين بيكم، بالسيدة العزيزة[١٤].

وفي عام ١٥٤١م وحينما غادر (همايون) باتجاه مدينة (تهتها Thatha على مقربة من مدينة كراتشي)، علم أنّ الأمير هندال قد احتل مدينة قندهار بمساعدة حاكم قندهار المدعو «قاراشا خان»، لذلك زحف كمران ابن همايون لاستعادة المدينة، في حين انتاب همايون قلقٌ عظيمٌ، فدعا عمته خانزادا بيكم للذهاب إلى قندهار لكي تقوم بالتدخل لوضع حدٍّ لهذا الصراع بين الأشقاء، واستجابت لطلبه، وغادرت إلى هناك، إلا إنّها لم توفق في أداء رسالتها[١٥].

أمّا في سنة ١٥٤٥م وحينما عاد الملك همايون من ايران، فرض حصاراً على قلعة قندهار، أدرك الامير كامران إنّه يقف موقفاً صعباً، ومن جانبه أرسل همايون خازندا بيكم إلى اسكاري... وهو يومئذ قائدٌ لقلعة قندهار، تحمل إليه تعليمات سرية من همايون لكي يسيطر على القلعة ويخرجها من سلطة كمران خان، ويوم هجم همايون لم يبدِ قائد القلعة أيّة مقاومة امام قوات المغول، وأصبح سقوط القلعة حتمياً، ويبدو أنّ خازندا بيكم اتفقت مع اسكاري لإنقاذ حياة الأمير كمران، فهي التي التمست من همايون العفو والصفح عن كمران، لكن همايون لم يتسرع بمنح العفو،

---

* همايون عُهد اليه بعرش الهند المغولي سنة ٩٣٧هـ/١٥٣٠م بعد وفاة والد بابر، وقد صاحب اعتلاء همايون العرش الكثير من المصاعب والأزمات السياسية الحادة، فقد استقل ميرزاسكاري بمقاطعة ميوات (Mewat)، كما استقل كمران خان بكابل وقندهار، واستقل ميرزا سكاري بولاية ساميول (Sampol)، وشير خان في إقليم البنغال، ونجح الزعيم الأفغاني شيرشاه في طرد همايون إلى إيران ٩٤٧هـ/١٥٤٠م ثم استعاد عرش الهند بعد وفاة شيرشاه سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م، توفي سنة ١٥٥٦م. المترجم

على أنّ الازمة لم تنته، وبسبب ذلك نّ خـ زندا بيكم توفيت بسبب مرض ألم بها في سبتمبر ١٥٤٥م.

وخلال الاثنتي عشرة سنة الأخيرة من حياة خازاندا بيكم قضتها مسؤولة عن قصر (سراي) الحريم، المغولي، أدّت دوراً نشطاً وكبيراً في إدارة الشؤون السياسية، خاصة ما يتعلق بالأسرة الحاكمة، ومارست نفوذها كذلك على الامبراطور همايون وإخوانه، وضمن حدود إمكاناتها فقد بذلت كل جهد مستطاع في مساعدة همايون لتجاوز محنته وشقائه.

وبعد (خازاندا بيكم) لم يظهر في بلاط المغول أيّ نشاط نسوي مغولي في مضمار العمل السياسي في عهد همايون، ومع ذلك كانت سيّدات خارج قصر الحريم المغولي مارسن نشاطات كبيرة في الشؤون السياسية للدولة، كان منهنّ السيدة حرم بيكم ابنة مير وايس بيك[١٦]، وزوجة خال همايون، سليمان ميرزا [١٧]، التي تمتعت بلقب ولي النعمة[١٨]، إذ كانت سيدة طموحة، امتلكت الأهلية في إدارة بعض شؤون الدولة، ومارست نفوذاً على زوجها وولدها ميرزا إبراهيم الذي كان يستشيرها في أمور الدولة[١٩].

ومن الأمثلة على نشاطها السياسي، مساعدتها همايون سنة ١٥٤٩م في حملته العسكرية من كابول تجاه مدينة بلخ، واستجابة لدعوة همايون، فقد حشدت – وبوقت قصير– جيشاً قوياً، رافق همايون في حملته نحو بلخ[٢٠]. وفي عام ١٥٥١م، أي عندما كان همايون ينوي غزو الهند، جاءت حرم بيكم إلى مدينة كابول[٢١]، وهي تزعم أنّ حضورها إلى كابول هو للمواساة والتعزية بوفاة ميرزا هندال، إلا إنّها في الحقيقة كانت هاربة لظروف داخلية[٢٢]، وحاول زوجها وولدها أن تلغي هذه الزيارة وتعود، فأصرّت على بقائها، وراحت تدرس بتمعن الوضع السياسي في مدينة كابول بعد وفاة ميرزا هندال، وتمكنت بطرق مختلفة أنْ تستأثر بالسلطة هناك، واقنعت ميرزا سليمان بالمجيء إلى كابول لغزوها، حيث كانت مدينة كابول تعيش في ظروف يسهل عليه احتلالها، لكنّ خطتها باءت بالفشل[٢٣] ومع ذلك طموحها لم يتوقف،

فبعد وفاة همايون، حرضت حرم بيكم زوجها ميرزا سليمان على احتلال كابول، لكنه لم يحقق نجاحاً بذلك[٢٤].

وبعد عشر سنوات وتحديداً في سنة ١٥٦٦م أقبلت حرم بيكم على تصريف شؤون كابول السياسية والإدارية، وفي غياب الحماية المغولية عن مدينة كابول كررت حرم بيكم دعوتها لزوجها ميرزا سليمان لينهض بأعباء كابول الداخلية، في الوقت الذي منح ميرزا حكم قلعة كابول للسيد معصوم ثم أعادها إلى غوربند، ورددت حرم بيكم تحريضاتها لزوجها لكي يحاصر مدينة كابول، بينما وصلت بنفسها إلى الأمير الشاب عن طريق رسلها وسعاتها وحاولت مداهنته بالكلام الطيب ودعته بعدما قدّمت إليه الضمانات للاجتماع بها في قراباغ البعيد عن كابول حوالي أربع وعشرين ميلاً، بينما كان لديها خطة سرية لإغراء الأمير لتوقعه في الشرك وتعتقله هناك، ولسوء حظها، انضم أحد مرافقيها إلى جبهة ميرزا حكيم، وتسربت خطتها وافتضح أمرها، فقرر ميرزا حكيم على أثرها العدول عن الزحف تجاه قراباغ[٢٥].

هذه الواقعة تعد من الوقائع الهامة التي تدل دلالة واضحة على دهاء وذكاء وبراعة ودبلوماسيّة فائقة لحرم بيكم.

فرغبة حرم بيكم الجامحة للحصول على موقع مؤثر في الشؤون السياسية كان عامل تحريض وتنشيط لها للاهتمام بأوضاع بدخشان الإدارية، والتنظيمية، وهو الإقليم الذي خضع لسيادة زوجها فقد أظهرت حذقاً ومهارة في إدارة المملكة وتدبير شؤون الجيش، ومارست نفوذاً واسعاً، مما دعى بميرزا سليمان إلى منحها كافة الصلاحيات في تطبيق قانون العقوبات حيث قامت بتنفيذه بكل قوة وصرامة[٢٦]، وتدخلت كذلك في أوضاع كابول الداخلية، ولكنها لم تحقق هناك نجاحات مثمرة[٢٧]، وفيما يتعلق بشخصية حرم بيكم، فهي من النساء اللواتي تمتّعن بهيبة رجولية وسلوك مستقيم، وقيادة مرهوبة، (Commanded awe).

لتحظى باحترام وتقدير النبلاء، بل وكسبت ودّ وتقدير أمراء العائلة الحاكمة.[٢٨].

إضافة إلى سيدات الأسرة المغولية، فهناك بعض السيدات الأخريات اللواتي اشتهرن وبرعن في ممارسة أعمال سياسية معاصرة لعهد الملك همايون، ومن بين أولئك النسوة كانت السيدة «لاد مليكة»، زوجة (تاج خان خاني) أحد النبلاء الأفغان في بلاط المغول، والذي سبق وعيّنه السلطان (اسكندر لودي) حاكماً على قلعة «كونار»، وهي من السيدات الطموحات، وامرأة قوية موهوبة، أظهرت براعتها كزوجة شريكة في صنع القرار، فقد وضعت مع زوجها العديد من الخطط، لكنّ وفاة زوجها أفشل عليها كل ذلك، ومع ذلك فقد قدمت نموذجاً ذكياً في إدارة بعض أمور الدولة، مما جعلها تستحوذ على ولاء وتأييد الجنود والنبلاء، لتوطد سيادتها على الدولة، ومع فطنتها السياسية وتحررها، وشغفها لعمل الخير، أدّى بها ذلك إلى نجاح كبير، وفيما بعد احتال الأمير شيرشاه للزواج منها للحصول على قلعة جونار وما تملكه "لاد" من دفائن ومجوهرات ثمينة[٢٩]*.

وهناك سيدة أخرى لعبت دوراً هاماً في العمل السياسي في عهد الامبراطور المغولي همايون، هي «راني كارما فاتي» (Rani Karmavati) زوجة الأمير الهندوسي رانا سنكا (Rana Sanga) وقد مارست نفوذاً كبيراً على زوجها، وتلاعبت بتأثيرها القوي في حشد الرأي العام من أجل عودة ولدها بكرام، ودفعت بهم إلى عرش ميوار، كما وقامت باتصالات سرية مع الملك بابر طالبة مساعدته في توطيد نفوذ ابنها، ولم يقف بابر إلى جانبها[٣٠] مباشرة وبعد عام ١٥٣١م، نجح ولدها فكرا ماديتا (Vikramaditya) في الوصول إلى عرش ميوار، ولم يحظ هذا القائد بثقة

* لما توفي السلطان بهلول لودي سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م أثناء عودته من فتح جانبور وهي من مملكة الشرقيين، ترك وراءه فراغاً سياسياً في إدارة المملكة، مما اضطر زوجته (أي بهلول) إلى مبايعة ولدها نظام خان المشهور باسكندر لودي ملكاً على عرش دلهي، ويوم توج اسكندر على العرش بدأ يبسط سلطاته على أقاليم الهند، حتى قضى أواخر أيامه في مواجهة العصاة من الأمراء الأفغان في معظم بلاد الهند، إلى أن توفي سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وبوفاته فقدت الهند ملكاً من أعدل الملوك وأقدرهم في فتح الهند، .(History of the lodi, p. 63-71) البدايوني، منتخب التواريخ، جـ١ ص ٤١٣، ٤١٦. المترجم

النبلاء الراجبوت، وذلك لفرط جهله في العمل الإداري وعدم أهليته في ضبط الأمور، في حين كانت تدار أوضاع البلاد العامة بوساطة والدته، التي تمتّعت بالخبرة والدّراية وبُعْد النظر في المجال السياسي، ورغم ذلك ظل الوضع السياسي قلقاً خصوصاً عندما غزا بهادرشاه حاكم الكجرات إقليم ميوار، من جانبها أرسلت ولدها حاملاً سواراً ذهبياً هدية لهمايون، وطلب منه المساعدة، لكنها لم تحصل على أيّ نوع من المساعدة من قبل ملك المغول[٣١] وفي النهاية غبت في الحصول على السلام مع بهادرشاه مقابل عرض مالوا (malwa) ومبالغ ضخمة من الأموال وعدد كبير من الخيول والفيلة عليه[٣٢]، وتمَّ تفادي الأزمة في الوقت المناسب، لكن فساد الاوضاع السياسية وتدهورها في إقليم ميوار في عهد «فيكرام ابن راني كارمافاتي» شجع بهادرشاه على شن حملة ثانية على «تشيتور» (Chitor) في عام ١٥٣٥م، وبذلت محاولاتها الأخيرة لحماية البلاد، وعقدت مجلساً دعت إليه كافة نبلاء الراجبوت، وطالبتهم بالمقاومة العنيفة وبذل كافة الجهود لإيقاف قوات بهادرشاه، وأحدث استخدام بهادر شاه لسلاح المدفعية التي قادها القائد «روحي خان» قد أوقعت دماراً وخراباً عظيماً، وكان ذلك سبباً في هزيمة قوات الراجبوت، وكانت ردّة فعل الزعيم الهندوسي «راني فيكرام» إزاء هذه الهزيمة المنكرة التي لحقت بقواته، أنْ اقدم على حرق نفسه، ليحتل بهادر شاه قلعة ميوار الحصينة في الثامن من شهر مارس سنة ١٥٣٥م[٣٣]، وصفوة القول، إنّ ما سعت إلى تحقيقه السيدة الأميرة «راني كارما فاتي» في إعزاز بلادها، ونهايتها البطولية، دليلٌ على قوة عزيمتها وبراعتها ونفاذ رأيها السياسي.

أمّا في عهد الامبراطور جلال الدين أكبر، فقد سادت البلاد فوضى سياسية وكثرت الثورات والتمرد على سيادة المغول، وقد ظهر في هذه الفترة نساء كان لهن دورٌ هامٌّ، ومن أبرزهن «ماه تشوتشاك بيكم»، وهي زوجة والده همايون، إذ تزوجت به سنة ١٥٤٦م، وبأمر من همايون، عيّن ولدها ميرزا محمد حكيم حاكماً على مدينة كابول، سنة ١٥٥٦م، في حين خضع حكيم لوصاية منعم خان الذي ساعده على تصريف شؤون كابول الإدارية، الا ان والدة حكيم لم ترغب بممارسة سلطات واسعة

شرسة واستبسال عظيم في الدفاع عن كابول على يد الأفغان، وقد أفشلت المقاومة الأفغانية الشديدة خطة وهدف منعم خان، والحقت به هزيمة نكراء أجبرته على النكوس إلى الهند(٣٦).

وظهر في هذه الفترة «شاه عبدالمولى»، أحد النبلاء الذين ثاروا وتمرّدوا على العرش المغولي، وهو ينتسب إلى عائلة الأسياد في ترمذ حيث اعتقله المغول في مدينة لاهور، ونجح في الهروب من المعتقل، ووصل مدينة كابول بحثاً عن أنصار ومؤيدين لسياسته المناوئة للمغول، وكانت «ماه بيكم» باستقباله حيث رّحبت به ترحيباً حاراً، وقدّمت له كل رعاية، فزوّجته من ابنتها فخر النساء بيكم وذلك من أجل تعزيز أواصر العلاقة معه، لكنّه شاه عبدالمولى أظهر امتعاضه وكراهيته لوصاية «ماه بيكم» عليه، وراح يدعو إلى أخصّيته بتصريف شؤون البلاد منها، ومن أجل تثبيت سلطته المطلقة على مدينة كابول، شرع بالتآمر عليها، ونجح أخيراً في القضاء على «ماه بيكم» سنة ١٥٦٤م(٣٧).

إنّ موقف «ماه تشوتشاك بيكم» القوي في المناطق الشمالية، ودعمها المطلق لزوجها، وولدها، واستقبالها لشاه عبدالمولى الهارب من حكم العدالة المغولية، كل ذلك أدّى بها إلى السقوط والموت.

ومن السيدات اللواتي لعبن دوراً حماسياً خلال الفترة الأولى من عهد الامبراطور جلال الدين أكبر هي «مهام انكا»، ممرضة أكبر ومربيته(٣٨)، كانت زوجة نديم كوكا ووالدة كل من باقي وأدهم كوكا، أحبّت أكبر كثيراً، ودفع حبّها له أنْ تعرّض حياتها للخطر في مدينة كابول سنة ١٥٤٧م، وذلك لحماية الملك أكبر، الذي لا زال صغيراً في السن، إذ تعرّض أكبر للقتل يوم نشبت حرب بين كمران وهمايون في أفغانستان(٣٩) الذين استخدموا المدافع ضد بعضهم بعضاً، وبناء على حماية مهام انكا لأكبر، فقد منحها ثقته المطلقة.

وبعد وفاة همايون سنة ١٥٥٦، أصبح بيرم خان وصيّاً على عرش أكبر، لكنّ أكبر وبشكل تدريجي بدأ يكره هذا النوع من الوصاية، ولم يشعر بالسعادة إزاء

حياته المليئة بالشباب[٤٠]، وأبدى امتعاضه من بيرم خان الذي حاول فرض شخصيته عليه، فكان إمام أكبر مثال جده ووالده اللذين وجدا صعوبة في تبعيتهما للنبلاء[٤١]، ولحسن حظ أكبر فقد وجد رعاية عظيمة من السيدة مهام أنكا [٤٢]، إذ أبدت هذه السيدة رغبة كبيرة لإعانة أكبر على شؤون الحكم، ولحسن حظها، قامت بتعيين أحد اقربائه الذي تقلد بأحد المناصب الهامة في الدولة، وذلك واحد من الأسباب التي ضاعفت نفوذ مهام أنكا وفرض قوتها في البلاد.

وفي عام ١٥٦٠م، انطلق الملك أكبر في رحلة صيد من مدينة اكرا (Agra)، فألحت عليه مهام أنكا بزيارة والدتها المريضة، التي كانت تذكّرها بحماية ورعاية أكبر وهي في مدينة دلهي[٤٣]، كما لعبت مهام انكا دوراً تفاوضياً مع شهاب الدين حاكم دلهي، والذي رحّب بأكبر أجمل ترحيب في دلهي[٤٤]، وتحدّثت حول الاتّفاق مع شهاب الدين في حضرة أكبر، وكان لحديثها وقعٌ كبيرٌ على الملك أكبر، وأوضحت لأكبر بأنّه طالما هناك نية لدى بيرم خان في العودة إلى دلهي، فلن يسمح للملك المغولي ان يمارس سلطاته بحرية تامّة، وكان هذا الحديث مدعاة لسخط وغضب الملك أكبر.

ولقد التمست مهام أنكا وشهاب الدين من الامبراطور موافقته بالسماح لهما بزيارة الديار المقدسة في مكة والمدينة، وذلك عندما أدركت الموقف الذي بدأ يعلنه بيرم خان، وقد كتب الامبراطور أكبر لبيرم خان لطالما غادر مدينة اكرا دون إذن منه، فقد أثار سخط وامتعاض رعاياه ورجالات دولته وبدأوا يتخوفون من تصرفة هذا[٤٦] ، وفي أثناء ذلك، راحت مهام أنكا ويؤيدها شهاب الدين تبث أخباراً عن تحولات كبيرة في فكر الملك أكبر[٤٧] وطفقوا يمنحون الزّوار القادمين إلى بلاط الدولة نعوتاً واسماءً والقاباً تشريفية[٤٨] ولكي يؤكد أكبر ثقته وموالاته للسيدة مهام انكا، بدأ ينفذ سياسة صارمة لإحراق بيرم خان، من خلال اعتقال رسله وموفديه إلى البلاط[٤٩] وقد خلقت هذه الاجراءات هوة كبيرة بين أكبر وبيرم خان، حتى سارع بيرم خان للتخلص من غضب الملك وتشاؤمه منه، طالباً الأذن بمغادرة الهند لإداء

مناسك الحج[٥٠]، في حين أبلغ رجالات أكبر أنّ بيرم خان أراد من تحركه احتلال إقليم البنجاب، ولذلك أرسل له ميرعبداللطيف يحثه على الذهاب إلى مكة[٥١]، وبذلك كان أكبر قد حسم الأمور مبكراً لصالحه، فقبض على مقاليد الدولة وأرغم بيرم خان على إعطاء الولاء والطاعة للعرش المغولي ولملكه أكبر، ثم قرر الذهاب إلى مكة سنة ١٥٦١م[٥٢].

وبعد فشل بيرم خان الذريع، وخضوعه تماماً لسيطرة الملك جلال الدين أكبر، بدأت اهتمامات ملك المغول تتحول نحو إخضاع إقليم مالوا المحكوم يومذاك من قبل بهادر، فأرسل لاحتلال هذا الإقليم أدهم خان ابن السيدة مهام أنكا[٥٣] ليوقع هزيمة بقوات بهادر سنة ١٥٦١م، ويقبض أدهم خان على مقاليد الإقليم، كالخزنة وبلاط السلطان وقصر الحريم وكل الحاشية[٥٤]، أمّا هذا النصر الذي حققه أدهم خان أوثه الغرور بنفسه، فرغم أنّه أرسل الغنائم والأموال الكثيرة للملك أكبر، فقد احتفظ لنفسه بالنساء ونهب معظم الغنائم الثمينة[٥٥]، فأثارت هذه التصرّفات حفيظة الملك وغضبه تجاه أدهم خان، وغادر الملك مدينة أكراسنة ١٥٦١، ليأخذ أدهم خان[٥٦] على حين غرة، بينما سعت مهام أنكا إلى إرسال رسل لابنها ليعدل عن ذلك، لكن قوات المغول وصلت قبل وصول رسولها وتم القبض عليه[٥٧]، وسارع بإعطاء البيعة والولاء للامبراطور، ومع ذلك لم يكسب رضى الملك واضطرت مهام أنكا أن تذهب بنفسها إلى مالوا، ولما وصلت عرضت على الملك كل شيء، فقدم بيرم خان كل ممتلكاته وغنائمه بين يدي الامبراطور، فقبل أكبر هذا العرض[٥٨].

أمّا ادهم خان فقد استمر على شرورة وعدوانيته، واحتفظ بطريقة غير مقبولة بفتاتين جميلتين من فتيات بازبهادرا ولما علم أكبر بذلك، أمر باحضاره فوراً[٥٩]، حينها أدركت مهام انكا أنّه اذا تمّ للملك التعرف عليهما سيعرّض ابنها للخطر، وأمرت بقتل الفتاتين[٦٠] وقابل أكبر ما قامت به مهام أنكا بكل تقدير، ولم يتعرض لها بشيء، مساهمة بذلك في وضع الملك بموضع مربك ومتعب.

لم يقف نفوذ مهام أنكا عند هذا الحد فحسب، بل استطاعت بحكمتها

وبراعتها أنْ تحتلَّ مكاناً مرموقاً في تصريف شؤون الدولة المغولية[٦١] لتصبح السيدة المؤتمنة على أسرار الملك أكبر الشخصية، وحازت على ثقة الخواجه جهان وشهاب الدين، وأثَّرت في تعيين بها درخان شقيق على كولي خان، لمنصب الوكيل، حيث باشر مهامه كوكيل للدولة المغولية، في الوقت الذي احتكرت فيه مهام أنكا إصدار الأوامر واتّخاذ القرارات الهامة[٦٢].

وإلى هذا التاريخ، احتفظت مهام أنكا بطموحات ورغبات كبيرة إزاء المشاركة في شؤون الدولة المغولية السياسية والإدارية، وبدأت تستشعر بالإثم تجاه ما وصلت إليه من أهمية، وحالها يقول كيف لم استثمر كافة نفوذي الذي فرضته على أكبر يوم كان صغيراً؟ وهي تتمنى بالطبع أنْ تحافظ على قوتها وتجعل الأمور قبض يدها، وبمساعدة أقربائها[٦٣] ولقد بدأ أكبر يلاحظ تلك التحولات في تغير نواياه ضدها، ففي سنة ١٥٦١م قام الملك بتعيين شهاب الدين أنكا خان رئيساً للوزراء[٦٤] ويوم باشر مهام عمله في إدارة شؤون الدولة السياسية والمالية والعسكرية من داخل البلاط المغولي، بادرت مهام أنكا من جانبها تثير مسألة الإخلاص والولاء والخدمة الكبيرة التي قدمتها للامبراطور أكبر ودولته والتي ساهمت في دعم منقطع النظير في إرساء دعائم العرش، وشعرت بأنّها أحقُّ في منصب رئيس الوزراء من غيرها، وقابلت قرار الملك بالشجب والاستنكار.[٦٥].

ومنعم خان من جانبه بدا مستاءً من تنامي نفوذ مهام أنكا داخل البلاط المغولي، وكان هذا النفوذ هو آخر الفصول بالنسبة لسيدة القصر المغولي الأولى، فقد تبدلّت الأحوال وتغيّرت المواقف بين الامبراطور ومربيته، فدلّت هذه الأحداث على عدم خضوع الملك أكبر لنفوذها بشكل مطلق، وتبيّن أنه استخدمها كاداة لتحقيق طموحاته وسياسته الرامية إلى الاستقرار بالدولة ومؤسساتها[٦٦]، لكنها خلال فترة وجيزة أخذ نفوذها يتلاشى شيئاً فشيئاً، فتحويل حكم ولاية مالوا للسيد بير محمد، ودعوة أدهم خان للعودة إلى مدينة أكرا، دليلٌ ناصع على فقدان مهام أنكا أيّة نفوذ كانت تمارسه على أكبر[٦٧].

وليست هناك دلائل تشير إلى أنّ هذه السيدة قد منحت أقربائها مناصب سياسية وإدارية رفيعة في الدولة[٦٨]، باستثناء تعيين أدهم خان حاكماً على إقليم مالوا، ولم يكن حكم إقليم مالوا بذات أهمية بالنسبة للقصر المغولي[٦٩]، وكثيراً ما اشيع حولها انها سعت إلى تحطيم بيرم خان بدعمها الواسع لولدها ولكن الحقائق تشير إلى عكس ذلك تماماً، بيرم خان لم يتعرض للاساءة والطرد والعقوبة، ولم يحصل أدهم خان على امتيازات عليا مناسبة، وليس هذا فحسب، فأدهم خان الذي دفعته غيرته وحسده إلى قتل رئيس الوزراء شهاب الدين أتكا خان، لم يلقَ من أكبر غفراناً ولا تقديراً، إذ أوقع به عقوبة قاسية، وأمر بالقائه من أعلى شرفات القصر، ويتضح أنْ أكبر مارس هذه التصرفات بدافع ذاتي، وبعدما انقضى أربعون يوماً على وفاة أدهم خان ابن مهام أنكا ماتت هي سنة ١٥٦٢م.

باختصار، فان نظرية الحكم في دولة الحريم (Petticot government) التي أدارتها مهام أنكا، لم يقدر لها العيش طويلاً، فيبدو للوهلة الأولى أنّ الملك أكبر استسلم لإرشادات ونصائح مهام أنكا لبراعتها ووضعها الاجتماعي النافذ، ومع ذلك لم يسمح لنفسه أنْ يكون العوبة بيد إحدى نساء الحريم في قصر المغول.

أمّا خارج قصر الحريم المغولي، فان المرأة الهندية التي لعبت دوراً هاماً في هذه المرحلة من مراحل الحكم المغولي، كانت السيدة «دورقا قاتي (Dorgavati) الشهيرة بـ«راني» (Rani)[٧٠]، وهي ابنة راجا ساليهان (Salbhan)، حاكم راتها (Ratha) ومهابا (Mahaba)، وكانت متزوجة من دال بت (Dalput) ابن مرداس[٧١] فبعد وفاة زوجها سنة ١٥٤٨م أصبحت وصيّة على عرش ولدها بيرنارين (BirNarain) وحكمت إقليم كارها (Garha) حيث مارست سلطاتها بشكل فعلي[٧٢]، ولقد تميّزت بشجاعتها وإدارتها الحازمة، مما أهلها السيطرة تماماً على مقاليد الأمور، ولم يظهر في عهدها أيّ تمرد أو ثورة أو قلاقل، وقد امتلكت حوالي (٢٣ الف) قرية، وعيّنت على كل (١٢ ألف) قرية من مجموع القرى حاكماً مقيماً عرف ب(«شقدار» (Shiqdas)، وأسندت لنفسها مهام تصريف شؤون الدولة، وأصبح

جميع القادة والزعماء تحت تبعيتها وطاعتها[٧٣] وأشار المؤرخ المغولي أبو الفضل، إنّها قامت بأعمال عظيمة لقوتها وشجاعتها وأهليّتها، وكان لها اتّصال وثيق مع بازبهادر وغيره، وكانت جميع أعمالها موفقة وناجحة[٧٤]، اهتمّت بالتنمية الاجتماعية لشعبها، وكسبت محبتهم بمشاركتها بالأعمال العامة[٧٥]، فكانت سيدة محبوبة، ونعمة لشعبها[٧٦].

ومع كل ما تقدم من أحوال، غدت «دورقاڤاتي» أمينة على أسرار الدولة، ولم تكن راغبة في تسليم سلطتها لامبراطور المغول جلال الدين أكبر، ورغم اجتياح عاصف خان بلادها وسيطر على مدينة پانا (Pana) لم تحرك أزاء ذلك ساكناً وقتئذٍ، وقد اتيح لعاصف خان فرصة التعرف على إمكانية هذه الدولة الاقتصادية، المال والثروة، ولذلك أمره الملك أكبر في عام ١٥٦٤م لغزو مدينة كارها (Garha)[٥٧]، وفوجئت الملكة بعدوانية المغول لبلادها، وسارعت إلى عقد جلسة طارئة لوزرائها ولقادة الجيش، وتمّ مناقشة مسألة التصدي للعدوان المغولي، وبعدها خرجت ممتطية ظهر فيل ضخم يدعى «سارمان» وبجانبها بعض القوات المسلحة، وواجهت صعوبة كبيرة في تجميع جيشها في ظرف كهذا[٥٨] وطفقت تحارب بشجاعة متناهية ضد القوات المغولية، وفي أثناء المعركة، اخترق جسدها سهمان، وأبى صبرها وهمّتها وشجاعتها إلا أنْ تنتزع السهمين من جسدها[٧٩] لتقع جريحة مخضبة بالدماء، وهي التي آمنت أنّ الموت بشرف خيرٌ من العيش بالعار والخزي، فطلبت من أحد أتباعها، وكان يركب مقدمة فيلها، أنّ يقوم بطعنها[٨٠]، وهو ما يفعله عادة الخاسرون نهاية المطاف، وطعنت نفسها وهي تقول: لقد هزمت في أرض المعركة، فليعفو الله عني ذلك، لأني نلت الشرف والشهرة [٨١] وماتت الأميرة الهندوسية.

ومن الشخصيات الشهيرة والمتميزة في هذا العصر، هي السيدة «بخت النساء بيكم»، فكانت الأخت غير الشقيقة لأكبر (Half-sister)، ومتزوجة من الأمير خواجه حسن زعيم إقليم بدخشان، وفي عام ١٥٨١م حُرِّض محمد حكيم حاكم مدينة كابول بوساطة الوزير شاه منصور، والذي عين وزيراً سنة ١٥٧٦م، وتآمر ضد الملك

أكبر سنة ١٥٨٠م، وأعلنا تمرداً في مدينة كابول، حرّضه على غزو إقليم البنجاب. وغزاه وتقدم تجاه مدينة لاهور عاصمة الإقليم، إلا أنّ زعيم السيك «مان سنك» أوقف زحفه، وقد عيّن مان سنك حاكماً لإقليم البنجاب، ثم أعلن أكبر حرباً على محمد حكيم، واضطره للهروب إلى المرتفعات الجبلية [٨٢]، لذلك، زحف الامبراطور بنفسه تجاه مدينة كابول، وطلب محمد حكيم العفو الملكي مبدياً اعتذاره الشديد عما بدر منه، وأراد أكبر إذلاله، فقام بتعيين شقيقة محمد حكيم، المعروفة ببخت النساء بيكم، حاكمة على كابول [٨٣] وأبلغت أكبر أنّ علاقته بشقيقها وصلت إلى حالة التدهور. ونتيجة للأحداث المزرية التي أعلن عنها محمد حكيم، فإنه لم يظهر تجاهه أي نوع من العطف والرحمة [٨٤]، وعندما غادر أكبر مدينة كابول، رجع محمد حكيم وراح يمارس نشاطه السياسي القديم، بينما كانت جميع الأوامر تصدر باسم شقيقته بخت النساء بيكم [٨٥].

حقق أكبر انتصاراً كبيراً عندما ألقى مسؤولية كابول على عاتق السيدة بخت النساء بيكم، ونجح عن طريقها في السيطرة على الأمور هناك. فالامبراطور أكبر من جانبه، كان يخشى نشاط عبدالله خان الأزبكي المتنامي، ويخشى كذلك، سلوك محمد حكيم المناوئة لسلطان المغول في المنطقة، وبهذه الخطة سعى للإيقاع بينهما، إلا أنّ بخت النساء بيكم أظهرت قدرة فائقة في سيطرتها وبإحكام على كابول، ورسّخت عوامل الاستقرار والولاء للعرش المغولي.

أمّا في عهد الامبرطور همايون، فإنّ السيدة خانزاده بيكم حظيت بنفوذ سياسي كبير داخل البلاط المغولي، فخلال عهد أكبر، لعبت كل من مريم مكاني وهي والدته، وسليمة سلطان بيكم وهي زوجته دوراً هاماً في مسائل الدولة السياسية، ففي عام ١٥٩٩م ويوم غادر أكبر إلى مقاطعة الدكن في الجنوب لم يكن الأمير سليم قد مُنح الحق في التعبير والعمل لبعض الوقت، بسبب انحراف سلوكه ومعاقرته للخمرة. إلا أنه وبتدخل من مريم مكاني التي رطبت قلب الملك عاد إلى نشاطه من جديد [٨٦]. ونلاحظ أنّ سليماً استاء كثيراً من حكم والده الذي استمر أكثر من أربعين سنة،

وطمع أن يعتلي العرش، فقرر الاستيلاء عليه بالقوة، وفي عام ١٦٠١م أعلن الأمير سليم على الملأ خطته للثورة على عرش أبيه، واتّخذ لنفسه لقباً ملكياً في مدينة الله أباد، ليصبح الوضع معقّداً، وشعر الامبراطور بالقلق، فلا أحد يجرؤ على أن يتوسل للملك في الأمير، إلا السيدة مريم مكاني وقلب الدين بيكم، حيث طالبته بالعفو عن سليم، ووافق على طلبهن، وسمح للأمير المثول بين يدي جلالته، وأمر سليمة سلطان بيكم بالإعلان عن نباء العفو الملكي تجاه الأمير المتمرد، ثم توجهت إلى الأمير سليم ومعها فيل وحصان، وخلعة ملوكية تشريفية [٨٧] وهكذا قدم الأمير اعتذاره من الملك سنة ١٦٠٣م.

وخلال السنوات الأولى من عهد الملك جهانكير، لعبت رابته (زوجة أبيه) سليمة سلطان بيكم ومعها العديد من سيدات حريم البلاط المغولي دوراً بارزاً في سياسة الدولة المغولية المعاصرة، ففي عام ١٦٠٦م ثار الأمير خسرو، الابن الأكبر لجهانكير، على سلطة والده [٨٨]*، بمساعدة ميرزا عزيز كوكا الشهير بخان أعظم ابن شمس الدين أتكا [٨٩] وروي أنّ خان أعظم اعتاد على زيارة البلاط الملكي متخفياً، لأنه يخشى القتل، وكان لا يعي ما يقول إذ لم يكن ممسكاً لسانه عن الكلام، ففي إحدى الليالي تبادل كلمات لاذعة مع أمير الأمراء شريف خان الوزير الجليل، وفي اجتماع خاص دعا إليه الملك جهانكير كافة النبلاء إلى القصر، ولقد تقرر في هذا الاجتماع قتل خان أعظم، وقد كان هذا القرار قد اتّخذ بضغط من أمير الأمراء ومحبت خان بينما عارضه خان جهان لودي، وفي هذه الأثناء دعت سليمة سلطان بيكم من وراء

* اعتلى جهانكير عرش المغول في ٨ جمادى الآخرة سنة ١٠١٤هـ الموافق (١٢ اكتوبر سنة ١٦٠٥م) وسمي بـ "نور الدين محمد جهانكير بادشاه"، عمل على ردع المظالم وأخلى السجون والمعتقلات والتي كانت قد مُلئت أيام والده (أكبر)، وباشر عهده بالعدل والإحسان، وأصدر مرسوماً (فرماناً) يحتوي على اثنتي عشر وصية جاءت جميعها لمصلحة المواطنين، وقد ساهم في تعزيز شأن الدولة من خلال حروبه ضد المتمردين والثائرين سواء في شمال الهند أو جنوبها، وتوفي سنة ١٠٣٧هـ/١٦٢٨م.
أحمد الجوارنة، حياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية في جنوب آسيا في عهد المغول، ص١٥٥-١٦٥، المترجم.

حجاب «يا جلالة الملك، إنّ جميع النساء اجتمعن بغية التشفع والتوسط لميرزا عزيز كوكا، وإنه من الأفضل إنّ تحضر هناك قبل حضورهم إليك، وكان الامبراطور متردّداً في الذهاب إلى حريم البلاط، إلا أنه أعلن عفواً عاماً تنفيذاً لرغبة سليمة سلطان بيكم[٩٠].

وفي موقع آخر، نلاحظ وبعد قمع ثورة الأمير خسرو سنة ١٦١٣م، إنّ والدته وشقيقاته دعون الامبراطور للتلطف بالأمير الثائر، وينبغي على الأمير الذي سلك سلوكاً ضد سيادة الدولة إنّ يسارع إلى تقديم الولاء والطاعة للملك، وتحت الحاصهن دعا جهانكير إلى عقد اجتماع رسمي حضر فيه الأمير خسرو، وسمح له بتقديم الاعتذار وتجديد الطاعة والولاء للامبراطور، كل يوم [٩١].

ومن الشخصيات النسائية التي أثرت على الواقع السياسي في عهد المغول، خصوصاً أيام حكم الملك جهانكير هي الملكة «نورجهان» ابنة اعتماد الدولة، وقد تزوج بها جهانكير سنة ١٦١١م، وهي التي رعت مصالح وحياة جهانكير رعايتة فائقة، كان لها أثرها المباشر على سياسة الدولة الرسمية، إذ امتازت بالوفاء والإخلاص للامبراطور، في نفس الوقت كانت تملك شخصية جريئة ومهوبة، قائمة على الدراية والمعرفة في فهم المسائل السياسية، والمبادرة إلى اتّخاذ القرارات المناسبة فيما يتعلق بشؤون الدولة الإدارية، ثم خدمت في بلاط زوجها كمستشارة له، لذلك منحها جهانكير ثقة مطلقة وحرية عامة، ومن البديهي إنّ تكون قد مارست نفوذاً مباشراً على زوجها.

ففي عام ١٦٢٣م ثار الأمير خُرم ضد والده جهانكير، ويهدف من هذا التمرد خلق أجواء مضللة، مما زاد ذلك أعباءً إضافية على جهود الملك وقواته المسلحة، للحد من تحركاته والقضاء عليه، في حين كان الأمير الثائر هو الذي حرّض جات سنك زعيم طائفة السيك، إذ عاد إلى المرتفعات الجبلية، وأعلن دعوته التمردية مما أذكى نار الفتنة والعصيان في إقليم البنجاب، إلا إنّ قوات المغول نجحت في وضع حد لطائفة السيك، وأعلنوا بيعتهم للدولة وأمر الملك بالعفو عن جات سنك[٩٢].

على أنّ النفوذ السياسي الواسع الذي مارسته نورجهان في أيام الملك جهانكير، هي من المسائل التي أثيرت حولها التساؤلات، وانقسمت إزائها وجهات النظر إلى من يرى أنها كانت سيدة طموحة غاية الطموح، وتتطلع نحو امتلاك نفوذ كامل بالقوة.

ووفقاً لذلك فقد سعت إلى بناء وحدة عصبية (قبلية) بين أبناء عمومتها المقربين بما فيهم والدها اعتماد الدولة، ووالدتها عصمت بيكم وشقيقها عاصف خان [٦٣] ولكي تعزز قواعد هذه الوحدة أو العصبة، دعت الأمير الثائر خُرم الابن الثاني لجهانكير سنة ١٦١٢م، إلى الانضمام إلى هذه الجبهة القوية، ومما قوّى هذا التوجه زواج الأمير من ابنة عاصف خان [٩٤] ومن خلال هذا التحالف، أصبحت هناك قوة مؤثرة داخل البلاط الملكي، لاسيّما عندما بدأت بتوفير المناصب العليا في الدولة لأقربائها وحلفائها [٩٥] وكانت هذه السياسية مدعاة لظهور الحاقدين والحاسدين من النبلاء وقادة الجيش المغولي، الذين أبدوا قلقهم وامتعاضهم من سيطرة هذا الاتّحاد بزعامة نورجهان على مقاليد الحكم[٩٦].

فيما بعد، وبعدما منح الأمير «خُرم» لقباً رسمياً جديداً عرف بـ «شاهجهان» ومع تدرجه في الظهور على حلبة المسرح السياسي، أحدث ذلك فجوة وهوة بين شاهجهان والملكة نورجهان، والذي أدى بالتالي إلى خروج شاهجهان من هذا التحالف [٩٧]*، وربما كان لتنامي روح الصراع بينهما، أن طفقت نور جهان تعد خطة لإرسال شاهجهان إلى أحد الأقاليم النائية عن العاصمة، وخاصة في إقليم قندهار (افغانستان)، ولم تقف جهود نورجهان عند هذا الحد، فقد سعت إلى تقليص دور شاهجهان وأضعاف شأنه السياسي، وطلبت منه بشكل مباشر أن يعلن ولاءه وطاعته لها ولزوجها، وكان ذلك سبباً وراء إعلان شاهجهان ثورته العارمة على عرش والده [٩٨]، إلا أنّ ثورته قمعت تماماً، مما زاد من هيبة ونفوذ نورجهان، وأدّى ذلك بالتالي، إلى امتعاض وكره النبلاء، ويقال أن نورجهان كانت وراء تمرد محبت خان على الدولة المغولية، وهو أحد نبلاء البلاط المغولي القدامى [٩٩]، إلا أن هذا الرأي

رغم شهرته، يصعب الجزم بثباته، لأن هذه الرواية لم تدعم من قبل المؤرخين المعاصرين ولا حتى من خلال الوثائق المتوفرة، وتحت كل الظروف لا يمكن الأخذ بهذه المعلومات على أنها حقيقة موثوق بها (١٠٠).

أمّا بالنسبة للرحالة الأجانب الذين زاروا الهند في هذه المرحلة، فقد ذكروا بوضوح إلى وجود تلك الوحدة العصبية القبلية في بلاط الملك جهانكير، والتي أسست بدعم كبير من نورجهان، وهناك العديد من النصوص تشير إلى تلك الحادثة التي جاءت عند الرحالة، توماس رو (Thomas roe) ١٦١٥م، والرحالة دي لايت (De laet)، والرحالة تري (Tery) ١٦٢٢م، والرحالة بيترا ديلا ڤالي (Pietra Della Valle) ١٦٢٣-١٦٢٤م والرحالة بيتر مندي (Peter Mundy) ١٦٢٨-١٦٣٤، (١٠١) إلا أن معظم روايات هؤلاء الرحالة الأجانب جانبت الصواب، وقامت على القيل والقال واعتماد الشائعات، ولذلك لم ترقَ إلي مستوى الحقائق الثابتة.

ومن بين المؤرخين الفارسيين المعاصرين للدولة المغولية، نجد منهم المؤرخ ولي السرهندي صاحب كتاب «تواريخ جهانكيري شاهي» والتي دونت مادته التاريخية في العام الرابع عشر من عهد جهانكير، التي لم تعتمد ولم تُشِر إلى أي مصدر يعلمنا عن مثل هذا الدور الذي لعبته نورجهان في سياسة المغول المعاصرة، بينما المؤرخ «كامي الشيرازي» صاحب مؤلف «فتح نامة نورجهاني بيكي» الذي دوّن في الفترة

---

* كان اعتلاء الامبراطور شاهجهان على عرش المغول في الهند في ١٨ جمادى الثاني لعام ١٠٣٧هـ/ الموافق ٤ فبراير سنة ١٦٢٨م، حيث أعلن عن لقبه باسم أبو المظفر شهاب الدين محد شاهجهان غازي، امتدح المؤرخون هذا الملك وعهده وأثنوا عليه، تصدى للثورات الداخلية، كثورة الزعيم الهندوسي تشهاجهار سنك، وثورة الزعيم الأفغاني خان جهان لودي، كما تصدى للبرتغاليين ومحاولاتهم السيطرة على موانئ الهند، ويعتبر من ملوك المغول العظام الذين أبدعوا في العمارة والمنشآت كما بنى الصرح الخالد والأثر العظيم "تاج محل" الذي يُعد من مفاخر الحضارة الإسلامية على الإطلاق، خلع عن العرش نتيجة لتنافس أوارنك زيب ودارا شيكوه (وهم أبناؤه) على ولاية العهد، قام بخلعه أورانك زيب سنة ١٠٢٨هـ/١٦١٩م.
أحمد الجوارنة، حياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية في جنوب آسيا في عهد المغول، رسالة دكتوراه، غير منشوره، سنة ١٩٨٨، ص١٦٦-١٧٨. المترجم.

الواقعة بين عام ١٦٢٥م وعام ١٦٢٦م، هو الآخر لم يتطرق إلى وجود مثل هذا التجمع القبلي في بلاط المغول، والغريب في الأمر أن مثل هذه الرواية لم تتوفر حتى في كتاب «تزك جهانكيري».

هناك عملان تاريخيّان أشارا إلى جود نفوذ سياسي قوي لنورجهان داخل البلاط الملكي المغولي، أحدهم المؤرخ معتمد خان، مؤلف كتاب «إقبال نامة جهانكيري»، الذي أورد وقوع الغيرة بين الملكة نورجهان والأمير خرم «شاهجهان) إلا أنّ معتمد خان دوّن معلوماته التاريخية في عهد شاهجهان، وربما يكون رأيه خارج دائرة الواقع، أمّا المؤرخ الآخر فهو «كامقار حسين» الذي ألّف «مآثر جهانكيري» سنة ١٦٣٠م، ويبدو أنه حذا حذو معتمد خان في كل حادثة ورأي.

وفي ظل هذه الظروف، فإن ما جاء به معتمد خان وكامقار حين لم تعتمد كمصادر ذات أهمية بالغة ولأنها جاءت بالحقائق والوقائع التاريخية الثابتة، وبتفحص عميق لكل المصادر وثيقة الصلة بهذا الموضوع، توصلنا إلى استخلاص، أنه مهما كان نفوذ نورجهان الفكري والنفسي والسياسي على الملك جهانكير، فهي طبيعة فردية محضة، قائمة أساساً على العواطف والحب والعشق والغرام [١٠٢]، فليس من الإنصاف بمكان نعت حقيقة وواقع طموحاتها السياسية إلى اعمالها المتداخلة والمشتركة في ممارسة الشؤون السياسية.

فالشاهد الوحيد على أن نورجهان اتّخذت اعمالاً وظهرت إلى النجوميّة السياسية المعاصرة، مشاركتها في قمع وتأديب التمرد الذي أثاره محبت خان، في الوقت الذي أرسل فه الأمير برويز ومحبت خان إلى إقليم الدكن في الجنوب للقضاء على ثورة شاهجهان، ومحبت خات على مقربة من سارنك بور (Sarargpur). صدر مرسوم ملكيٌّ يقضي بتحول محبت خان إلى إقليم البنغال شرقاً [١٠٣]. اقترنت هذه المراسيم الامبراطوريّة مع بقاء المعارضة من قبل محبت خان، الذي طالب القصر المغولي بإرسال الفيلة والأموال التي حصل عليها خلال قمع ثورة شاهجهان [١٠٤] علاوة على ذلك، كان مهتماً في خرق قواعد الآداب والتشريفات الملكيّة، بالإضافة إلى

ذلك، أنه خطّب شقيقته وزوجها بدون الحصول على موافقة الامبراطور(١٠٥).

وقابل محبت خان قرارات الامبراطور باستياء عميق، إذ شعر أن إصدار مثل هذه القرارات جاءت لصالح القائد عاصف خان الذي طالما شعر بالغيرة والحسد للدور الذي لعبه والمكانة التي وصل إليها محبت خان في بلاط المغول، والذي سعى للحصول على مراتب أرفع وأعلى في قصر الامبراطور(١٠٦)، من هنا سعى إلى فسخ العلاقة بين عاصف خان (الشيطان الأنيق) وبين الامبراطور، إذ توجّه إلى البلاط المغولي حاملاً في نواياه هذا الهدف، ومعه أربعة أو خمسة آلاف جندي من قبائل الراجبوت، وفي غضون ذلك كان الامبراطور جهانكير يخيم بقواته على ضفاف نهر جيلم في طريقه إلى كابول(١٠٧) فانتظر محبت خان ليغتنم فرصته، وعندما اجتاز الموكب الامبراطوري الضفة الأخرى للنهر، كان الامبراطور جهانكير في الضفة الأخرى، فاجأه محبت خان بهجوم مباغت، نجح في إلقاء القبض على الامبراطور(١٠٨).

ولقد تجاهل محبت خان تماماً رعاية نورجهان واحتضانها له، ولما أدرك خطيئته، عاد أدراجه إلى المعسكر الملكي، ليجد نورجهان قد هربت متنكرة إلى ضفة النهر المقابلة(١٠٩) ودعت على وجه السرعة شقيقها عاصف خان، وراحت توبّخه وتؤنّبه بشدة، ودعت إلى عقد اجتماع طارئ اشترك فيه كافة النبلاء والقادة العسكريين، وقالت في طريقها إلى المجلس:

«لقد حصل كل هذا من خلال جهلكم وسوء إدارتكم، والذي لا يدخل في عقل أحد تماماً، وأنتم الآن تقفون موقف العاجزين المرضاء، هذا الموقف المخجل أمام ربكم ورعيتكم، فالواجب يقتضي منكم التضحية والتفاني لإصلاح هذا الشر الذي ألم بنا»(١١٠)، وبناءً على أقوالها، وتحريضها لقوات المغول، قرّروا جميعاً الوقوف صفاً واحداً ضد قوات محبت خان (١١١)، ولما وصلت أنباء ذلك إلى جهانكير، أدرك حماقة هذه المخاطرة، ويعود سبب ذلك إلى أن جيش محبت يتمتع بقوة عسكرية ضاربة، ويصعب على عساكر الامبراطور إلحاق الهزيمة بهم(١١٢)، وعليه قام جهانكير

بإرسال رسالة سرية إلى الملكة نورجهان يقترح عليها عدم اللجوء إلى المواجهة، وأرسل لها خاتمه الرسمي لإقناعها بفحوى وصدق ما جاء برسالته(١١٣)، إلا أن اقتراحه قوبل بالرفض، وقرر النبلاء ومن معهم من قوات الجيش خوض المعركة، وحاول فدائي خان أحد المقربين من الامبراطور جهانكير في إحدى الليالي إنقاذ الامبراطور لكنّه فشل(١١٤). وقرّرت نورجهان أخيراً، أن تقود الجيش بنفسها لملاقاة محبت خان وجنده، فركبت أحد الفيلة بصحبة ابنه شهريار(١١٥) وبدت محاولات القوات الملكية للعبور إلى ضفة النهر التي يتواجد عليها محبت خان حيث يعتقل الملك، إلا أن المنطقة التي وقع الاختيار عليها في العبور كانت مليئة بالمستنقعات والبرك العميقة، حيث خلقت لهم مشاكل وصعوبات كبيرة، وقبل وصولهم إلى منتصف مجرى النهر، حدث اضطراب كلّي في الجيش(١١٦).

ورغم هذه الظروف الصعبة التي واجهت الجيش المغولي، استطاعوا اجتياز النهر بنجاح، ليتلاقوا وجهاً لوجه مع قوات عدوّهم محبت خان، حيث باشرت نورجهان قيادة المعركة بشكل سريع(١١٧) ولما دارت رحى الحرب، أصيبت ابنتها الكبرى بسهم في ذراعها، وتعرّض فيلها للطن والضرب فألجأته شدة الألم للهرب والتراجع حتى قطع النهر وعلى ظهره نورجهان، فأنقذها بإعجوبة(١١٨)، وانشغلت نورجهان في معالجة ابنتها من الجراح، في حين تابع القائد المغولي فدائي خان قتاله ضد محبت خان، إلا أنه فشل دون تحقيق أي انتصار(١١٩).

وعجزت القوات المغولية عن كسب المعركة، حتى وجد عاصف خان شقيق نورجهان نفسه في ورطة ومأزق صعب، ورغم دوره القيادي في هذه الأزمة الخطيرة، إلاّ أنّه أظهر جبناً شديداً دفع به إلى الهروب تجاه أتوك "ATTock"، أمّا فدائي خان، الذي أبدى اصراراً على مواجهة محبت خان، هرب إلى "رهتاس" (Rohtas) حيث يقيم ابنه هناك، واستسلم ما تبقى من القوات المغولية لمحبت خان (١٢٠).

لم تدم حالة الانفصال بين نورجهان وزوجها الملك جهانكير زمناً طويلاً، لكنّها فشلت من اطلاق سراح زوجها عسكرياً، لذلك قررت الاستسلام لمحبت خان لتنضم

إلى زوجـها في الأسـر [١٢١] وبذلك أصبح مـحبت خـان سيـد الموقف، في حـين شكّل الأسر لنورجهان مصدر قلق واضطراب دائمين، إلاّ أنّها بدأت تعمل بشكل خفي من أجل إنقاذ زوجها ونفسها من الأسر، ووضعت خطتين لتحقيق ذلك، لإزالة الشكوك من قبل مـحبت خـان وكسب موقف النبـلاء والجيش إلى جانبـها [١٢٢]، ففي الوقت الذي وضعت فيه الخطة الأولى تحت تصرف الملك، طفقت من جانبها تعمل على تحقيق الخطة الثانية [١٢٣]، فبدأت توظف مهارتها وحنكتها في إثارة سخط وغضب النبلاء ضد مـحبت خـان، وراحت تتملق وتداهن المعارضين، وتتوسل إلى الطامعين، وعززت موقف المترددين الخائفين، ووعدتهم جميعاً بالخيرات، واستخدمت لنصرتها تأييد ودعم الرجال البسطاء المقهورين، وضمّت الكثير من المتآمرين إلى صفها [١٢٤]. وبذلك تمكنت من بناء جبهة قوية من الأتباع والأنصار، وأعطت تعليماتها للخصي (eunuch) ومنهم هو "شيارخان"، إلى جمع ألفين رجل من مدينة لاهور نيتوجهوا إلى البلاط المغولي في اكرا (Agra) [١٢٥].

نجحت خطة نورجـهان، وتمكن الملك من استعراض تلك القوات التي أعدّتها زوجته، وأبلغ محبت خـان عنها، ولما سمع بها، لم يبدِ أيّ مقاومة تذكر، وراح يتظاهر بالولاء والطاعة للامبراطور والعرش المغولي، وأخيراً ولّى هاربا [١٢٦]، وحاولت القوات المغولية أنْ تقبض عليه إلا أنّه نجا [١٢٧].

بعدما تحرر جهانكير وانتصر على قوات عدوه مـحبت خـان، زحف إلى روهتاس حيث عُقِد هناك اجتماع شعبي حاشد أعد لاستقباله [١٢٨]، إلا أنْ المسألة الاهم بالنسبة للبلاط الامبراطوري، هي كيفية الوصول إلى استسلام محبت خان تماماً لتخليص بعض الأسرى النبلاء منه، فأرسلت الملكة نورجهان تفويضاً ملكياً (Imperios mandate) بوساطة عاصف خان (شقيقها) إلى محبت لإطلاق سراح عاصف خان، ليمنحه ضماناً بحمايته حتى يصل إلى لاهور، وعادت نورجهان تطلق تهديداتها ضد محبت خان لكي يطلق سراح عاصف خان، وفعلاً، خلّى سبيله وفكّ أسره بعدما أخذ منه قسماً على امانه، واحتفظ بأحد أبنائه كرهينة، ومن ثمّ أطلق

سراحه [١٢٩].

ويوم حطّ المعسكر الامبراطوري رحاله في مدينة لاهور، قام الملك بتعيين عاصف خان وكيلاً للدولة [١٣٠]، بينما عاد محبت خان واتّحد مع شاهجهان، وقد شكّل هذا التحالف إنذاراً وتهديداً لنورجهان، فأيقنت خطورة ذلك، وعيّنت خان جهان قائداً عاماً للجيش المغولي، وأمرته بقمع وتفتيت التحالف الذي أعلنه محبت خان مع شاهجهان [١٣١]، ولسوء الحظ، كانت صحة جهانكير متدهورة في هذه الأثناء، ومات في شهر أكتوبر سنة ١٦٢٧م، بالقرب من راجواري في طريق عودته من إقليم كشمير إلى مدينة لاهور.

وأعقبَ وفاة جهانكير، دعوة الملكة نورجهان إلى عقد مجلس عاجل لرجالات البلاط والنبلاء، في حين كان عاصف خان من أنصار شاهجهان، ومع ذلك حظر اجتماع المجلس [١٣٢] في هذه الأثناء كان وضع نورجهان سيّئاً وفي حالة مخاض، فقد طلب عاصف خان من شاهجهان وهو حينئذ في إقليم الدكن المثول عنده، وفي هذه الفترة، أعلن عاصف خان عن تولية دوار بخش (ابن خسرو) امبراطواراً للدولة المغولية [١٣٣] بينما رغبة نورجهان تتجه إلى تعيين شهريار امبراطوراً للدولة، لذلك، وضعت تحت الحراسة المشدّدة، الاّ أنها سعت بطرق مختلفة وبوساطة الرسائل التي بعثتها إلى شهريار تحثه على جمع الرجال حوله، والالتحاق بها على وجه السرعة[١٣٤] وأخيراً أعلن شهريار نفسه امبراطوراً وهو يومئذ في مدينة لاهور، الاّ أنّ عاصف خان ودوار بخش تحرّكا إلى هناك وقمعا حركة شهريار وأنزلا بقواته هزيمة منكرة، وقبضا عليه وأودعاه السجن، وسُمِلت عيناه[١٣٥]، بعد ذلك أعلنا عن شاهجهان كامبراطور لعرش الدولة المغولية وذلك في مدينة دلهي سنة ١٦٢٧م[١٣٦].

وبعد اعتلاء الملك شاهجهان العرش، اعتزلت نورجهان النشاطات السياسية نهائياً، ولم تعد تظهر على المسرح السياسي في دولة المغول، أمّا شاهجهان فقد فرض لها نفقة مالية تقدر بمائتي ألف روبية وقبلت بها، ولبست البياض، وعاشت في عزلة تامة، وامتنعت عن مناصرة أيّ حزب أو حركة سياسية[١٣٧]، واعتزالها للعمل

السياسي يعتبر بحد ذاته ظاهرة مميزة فطموحها الشخصي كان يخوّلها استئناف النشاط السياسي، ويبقيها على مقربة من صنع القرار داخل البلاط، لكنها غير راغبة بذلك في ظل الحكم الجديد، فقد برهنت على إبداعها وبراعتها في السابق، وأظهرت ذكاء ومقدرة على فهم المعضلات السياسية، وتنازلها الكامل عن المسرح السياسي، دليل على افتدائها نفسها وجهدها وكفاءتها من أجل محبوبها جهانكير ومن أجل عزّته ومنعته، ومع موت زوجها فالعزلة والابتعاد مفضلات لديها، لا سيّما مع فقدها كلّ مقومات نفوذها في عهد الملك الجديد، الذي قتل نشاطها بالكامل، إلاّ أنّ ما تتمتع به من نفوذ وسط نبلاء البلاط، وما تمتلكه من مواهب وثقافة واسعة في شؤون العمل السياسي، كفيل أنْ تستعيد مكانتها ونفوذها السابقين فالعزلة الكلية عن الأضواء السياسية تعود إلى رغبتها الخاصة في ذلك، بعدما فقدت الرجل الذي من أجله خاضت المعترك السياسي.

هوامش الفصل الثاني

1- Ralph fox, Chingiz khan, P. 44.

2- Ibid, P, 45

3- J. H. Sanders,Tamerlane, P. 324.

4- Tripathi, Some Aspects of muslim Administration, P. 109.

5- Rushbrook William, An Empire Builder of the Sixteenth century, P. 34

6- Ibid, PP-35-36.

7- Babernama (Bev.), Vol. I, P. 43.

حول جدته كتب الملك بابر يقول: إنّ جدتي من بين النساء القلائل التي تعادل القضاة بفهمها، لأنها كانت حكيمة وواسعة المعرفة، وإنّ أغلب شؤوني كانت تتحرك وتدور وفق نصائحها وإرشاداتها.

8- Babernama, Vol. 1, P. 21.

وعنها يقول بابركانت برفقتي في أكثر الحملات جنونا وغرابة.

9- Babernama, Vol. I. P. 358.

10- Banerji, Humayan Badshah, Vol. I, P. 60.

11- Ibid, P. 314, Vol. II.

12- Babernama, Vol. I, P. 375.

13- Humayan Badshah, PP. 314-315.

14- G. H. N (Bev.), P. 103.

15- I. Prassad, Life and time of Humayan, P. 22.

16- Akbar Nama, (Bev.), Vol. II, P. 40.

17- Ibid, II, P. 212.

18- Ibid, P. 40.

19- Ibid, P. 39

20- Prassad. Op-cit, P. 308.

21- Bayazid, Tazkirah-i-Humayun wa-Akbari, P. 223.

22- A. N. (Bev.), II, PP. 40-41.

23- Ibid, II, P. 41.

24- Ibid, II, P. 41.

25- Ibid, II, PP. 407-409.

26- A. N. (Bev.) Vol. III, PP. 212-213.

27- Ibid, P. 215.

28- Ibid, P. 212. Prassad, op-cit, PP. 289, 308.

29- Ferishta, Vol. II, P. 110; Abbas Kan, Tarikh -i- sher shahi, (Eand d.) Vol. IV, P. 344; Prassad, P. 59.

30- Babernama (Bev.) Vol. II, PP. 21-213.

G. N. Sharma, Mewar and the great Emperors, PP. 46-47.

31- R. P. Tripathi, Rise and Fail of the mughal Empire, P. 72.

32- G. N. Sharma, Op-cit, PP. 51-52.

33- Ibid, PP. 55-57.

34- Akbarnama (Bev.) Vol. II, PP. 288-289.

A-V. Smith, Akbar: The great mnghal, PP. 46-47 Cambridge history of India, Vol. Ív. 85.

35- A. N. (Bev.) II, PP. 288-289.

36- Ibid. ṖP. 289-293.

37- Ibid, PP, 317-319.

38- عرف العهد الذي مارست فيه مهام أنكا نفوذها السياسي بالحكومة النسائية، ووفقا لما جاء به الرحالة ڤون نوير (Von Noer) فقد استمر نفوذها من عام ١٥٦٠م-١٥٦٢م حتى وفاة أوم خان راجع (The Emperor Akbar, Vol, IP. 94) أمّا المؤرخ سمث (Smith) فقال: إنّ حكمها بدأ من عام ١٥٦٠ وحتى عام ١٥٦٤م (Akbar The great mughals, P. 36).

39- Tabgat-i- Akbari, Vol. II, P. 112.

40- Smith, Op-cit, P. 32.

41- Tripathi, Maham Anga and Akbar, (J. I. H. vol. I, No. 1) P. 344.
42- Ibid, P. 342.
43- Ibid, P, 342.
44- Fershta,Vol. II, P. 195.
45- T. Akbari, Vol. II, P. 237.
46- A. N. (Bev.) Vol. II, P. 141.
47- Tabgat Vol. II, P. 238.
48- Badauni, Vol. II, P. 31.
49- Cambridge History of India, Vol. IV, P. 77.
50- Von Noer, Op-cit, Vol. I, P. 84.
51- Tabgat, II, P. 241.
52- Smith, Op-cit, P. 34.
53- A. N. (Bev.), Vol II, P. 208.
54- V. Smith, P. 37.
55- A. N. (Bev.) Vol. II, P. 214.
56- Ibid, P. 218.
57- Ibid, P. 219.
58- Ibid, P. 221.
59- Ibid,
60- Ibid
61- Ibid, Vol. II, PP. 149-150.
62- Ibid, P. 151.
63- Maham Anga and Akbar, P. 343
64- A. N. (Bev.) II, P. 230.
65- Ibid, P. 230.
66- Maham Anga, P. 343.
67- A. N. (Bev.) II, P. 235.
68- Von Noer, Vol. I, P. 89.

69- Maham Anga, P. 338.
70- A. N. (Bev.) II, P. 324.
71- Ibid, P. 324.
72- Cambridge, Vol. Iv, P. 87.
73- A. N. (Bev.) II, P. 324.
74- Ibid, P. 327.
75- Smith, Op-cit, P. 50.
76- Badauni, Vol. II, P. 65.
77- A. N. (Bev.), II, P. 327.
78- Ibid, P. 329.
79- Badauni, II, P. 65.
80 -Tabgat Akbari, II, P. 281.
81- Ferishta, II, P. 218.
82- A. N. II. P. 536
83- Monserat, P. 153.
84- R. P. Tripathi, Op-cit, P-271.
85- V. Smith,Op-cit, P. 143.
86- A. N. III, P. 114.
87- Ibid, P. 123.
88- Tuzuk Jahangiri (R+B) I, P. 51.
89- Maasir Alamgiri, I, P. 328.
90- Ibid, P. 328.
91- Tuzuk, I, P. 252.
92- Ibid, I, P. 289.
93- Beni-Prassad, P. 160.
94- Ibid, PP. 163, 193.
95- Iqbal Nama, PP. 167-168
96- Beni-Prassad, PP. 167-168.

97- Ibid, P. 307.

98- Ibid, PP. 342-345.

99- Tripathi, Rise and Fall, P. 423.

100-The Embassy of Sir Thomas Roe to the Court of the great Mughals, Vol. I, P-118.

101-Tripathi, op-cit, p. 422.

102-Beni-Prassad, P-339.

103-Ibid, P. 340.

104-Ibid, P. 341.

105-Tripathi, P. 406.

106-Beni-Prasad, P. 345.

107-Igbal Nama (aud D.) Vol. VI, P. 424.

108-Beni-prasad, P.346

109-Igbal Nama, P. 424.

110-Ibid

111-Ibid

112-Beni-Prasad, P. 347

113-Shirazi, Fath Nama-i-Nurjahni Begam, P. 19.

114-Ibid, P. 19.

115-Igbal Nama, VI, P. 426.

116-Ibid, P. 426

117-Ibid, P. 427.

118-Ibid, PP. 427-428

119-Beni-Prasad, P. 350

120-Ibid

121-Ibid

122-Ibid, PP. 353-354

123-Ibid, PP. 354-355.

124-Ibid, P. 355.

125-Ibid, P. 356.

126-Ibid, P. 356.

127-Ibid.

128-Ibid,

129-Igbal Nama, VI, P. 431.

130-Ibid.

131-Beni-Prasad, P-365.

132-Ibid, P. 368.

133-Igbal Nama, VI, PP. 535-536.

134-Ibid,P. 436.

135-Ibid, PP. 436-437.

136-Beni-Prasad, P. 371.

137-Ibid, 373.

الفصل الثالث

المرأة والحياة السياسية المعاصرة -٢

١٦٢٧-١٧٤٨

الفصل الثالث

المرأة والحياة السياسية المعاصرة -٢

١٦٢٧-١٧٤٨

خلال السنوات الأولى من عهد الامبراطور شاهجهان، حظيت زوجته المحبوبة ممتاز بقدر كبير من النفوذ السياسي، فقد لعبت دوراً هاماً في شؤون الدولة المغولية السياسية، وحتى قبل أنْ يتولى شاهجهان عرش المغول في مدينة دلهي، رافقته في مغامراته ومنفاه، وتحملت معه مرارة والآم الحياة في حصون، تيلكانا (Telingana) والبنغال، وميوار والدكن[١].

احتلت ممتاز محل مكانة مرموقة ومميزة في قصر الحريم المغولي بعدما اعتلى شاهجهان عرش الامبراطورية سنة ١٦٢٨م، وكانت محط مشورة الملك، إذ اعتاد على الرجوع إليها فيما يتعلق بالشؤون الخاصة بالإضافة إلى شؤون الدولة العامة[٢]، وكانت مغرمة بالخاتم الملكي، وفي حالة الانتهاء من تدوين وإعداد الوثائق الرسمية ترسل جميعها إلى قصر الحريم وتقدّم إلى ممتاز محل لتقوم بتوشيح الوثائق بتوقيعها، ووضع الخاتم الملكي عليها[٣]، مما أعطاها فرصة الاطلاع على كافة الشؤون السياسية للدولة.

ويوم سافر شاهجهان سنة ١٦٢٧م من الدكن في جنوب البلاد متجهاً شمالاً

لاحتلال العرش المغولي، سمع نبأ تمرد حاكم إقليم الكجرات "سيف خان" فأمره بالامتثال أمامه في القصر، وكان سيف خان ابن اخت ممتاز محل، حيث اهتمت كثيراً في توفير الحماية له، وأرسلت وراءه القائد بارستارخان إلى احمد اباد ليتعرف على الأحوال التي وصل إليها، وبناءً على توصياتها قام الامبراطور بتخفيف الاجراءات الصارمة بحق سيف خان، وأمر باعتقاله، ليس بسبب مرضه العقلي ولا رغبة في تعذيبه[٤].

ووفقا لما رواه الرحالة الفرنسي مانوشي (manucci) فان ممتاز محل هي المسؤولة عن خلق مصادر القلق وسعت إلى تحطيم التواجد البرتغالي في ميناء هوكلي (Hugli)[٥]، وأظهرت عدواة سافرة إزاء البرتغاليين لأنهم تسببوا باعتقال فتاتين من فتيات الحريم المغولي[٦]، واتّخذت قراراً بايقاع عقوبات شديدة ضدهم، إلاّ أنّ وفاتها المبكرة حالت دون تحقيق هذا الأمر[٧] وبناء على موقفها تجاه البرتغاليين، فقد أظهر الامبراطور غضبه وانفعاله ضدهم وضد تواجدهم على السواحل الهندية.

كانت مسيرة الملكة ممتاز محل السياسية قصيرة نظراً لوفاتها عام ١٦٣١م، وبعد غيابها المفاجئ أخذت السلطة في قصر الحريم المغولي تؤول إلى السيدة (جهانارا بيكم) الابنة الكبرى لشاهجهان، وأصبحت من الشخصيات النسائية الهامة في الدولة، لما أبدته من رغبة وطموح كبيرين في ممارسة نشاطات سياسية، ولكونها من البنات المحظيات والمحببات للامبراطور فكانت تقرر ما تشاء[٨]، وتميّزت بأهمية بالغة وسط نساء القصر المغولي[٩] على أنّ هيمنتها في البلاط الملكي لم تتضح معالمها بعد[١٠] لكنّ دورها ظهر مع ظهور الرغبات القوية من قبل العديد من الشخصيات الذين رغبوا في الحصول على مقاعد متقدمة في الدولة أو البلاط، إذ كان على كل واحد منهم أنْ يكسب ثقتها وتأييدها، في الوقت الذي تعودت على استقبال الهدايا والأعطيات[١١]

اضطلعت جهانارابيكم في كثير من الأوقات دور هام في معالجة الخلافات

والأزمات داخل الأسرة المغولية الحاكمة، معتبرة ذلك أهم وسيلة للوصول إلى القرار السياسي في البلاط[١٢]، وفي سنة ١٦٤٤م وبعدما خضع اورانك زيب لسطوة وسيطرة مجلسة (الأحمق) الذي تكّون من مستشارية، راح يتصرف بالاساءة لوالده شاهجهان، الذي أمر بمصادرة جميع ممتلكاته[١٣] واستناداً إلى شفاعة الأميرة جهانارا بيكم للامبراطور، فقد أصدر عفواً عن ولده أورانك زيب وأعادة إلى منصبه[١٤] وفي عام ١٦٥٤م، وحينما شن شاهجهان حملة عسكرية ضد ملك سرينكار (Srinagar) راجا برث فيتشاند (Raja Prithvichand)، وساند القوات المغولية حاكم سيرمور (Sirmur) الراجا سوبهاكيا براكش (Raja Subhagya Prakash) استمرت الحرب عامين متواصلين. فيأس ملك سترينكار عام ١٦٥٦م من تحقيق النصر، وراح يراسل جهانارا بيكم، يطلب منها الحماية والأمان، معبراً عن رغبة حقيقية لديه بالخضوع والاستسلام، وشرط ذلك بشفاعة الأمير دارا شيكوه ولقد [illegible] جهانارا [illegible] في الوساطة، إذ بعث بأحد أبنائه إلى الأمير داراشيكوه والذي بدوره قاده إلى [illegible] ملتمساً الصفح والعفو عن والده[١٥].

[illegible] الملك في [illegible]
[illegible] من ساكم
[illegible] الله قطبي [illegible] لسببين عدم التزامه بدفع ما عليه من استحقاقات مالية [illegible] إساءة الوزير مير جملة[١٦]، كذلك كان اورانك زيب حريصاً

(*) [illegible] الأول [illegible] أعظم أباطرة المغول وأكثرهم نفوذاً في جنوب آسيا، ولد ليلة الأحد [illegible] عشرة ليلة خلون من ذي القعدة سنة ١٠٢٨هـ (٢٤ اكتوبر ١٦١٩م) من والدته أرجمند بانو بيكم (ممتاز محل) (نزهة الخواطر، ج٦ ص١٢٢) وقد احتفل به مرتان على العرش، الأولى سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م، والثانية سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م، إذ باشر خطباء المساجد بقراءة الخطبة باسمه وسكب العملات باسمه، وأخذ اسماً جديداً عرف بـ "بابو المظفر محي الدين محمد أورانك زيب عالمكير بادشاه غازي"، حكم حتى عام ١٧٠٧م، وهي من أطول الفترات التي يقضي فيها ملك مغولي فترة حكمه للهند، يُعد أحد المصلحين الكبار، وداعياً لترسيخ المفاهيم الإسلامية السنية في الهند، وقد نجح في بسط كامل سيطرة الدولة على كل الأراضي الهندية، وهو الذي تصدّى لطائفة السيك وقمعها، ووضع حداً لقبائل الراجبوت. (د. أحمد الجوارنة، حياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية في جنوب آسيا في عهد المغول، رسالة دكتوراه غير منشوره، جامعة كراتشي ١٩٨٨م، ص١٧٩-١٩٥). المترجم.

للاستيلاء على ثروة مملكة كولكنده ملحاً على شاهجهان بضمها للدولة[١٧].

ولم يكن راغباً أيضاً بتسوية خلافاته مع الأمير قطب شاه، بل كان عازماً على ضم مملكتـة إليـه[١٨] في هذه الأثناء كـتب قطب شـاه رسـالة إلى جـهـانارا بيكم ودارشيكوه فتدخل الاثنان في حل مشكلته مع الملك، ومن خلال شفاعتهم لقطب شاه أصدر الامبراطور عفواً بحقه، وحظي بحماية الدولة المغولية[١٩].

وفي كانون ثان عام ١٦٥٨م، وعندما قرر الاميراورانك زيب مغادرة مقاطعة الدكن الجنوبية للمشاركة في الصراع الناشب على العرش في دلهي، دعا قطب شاه لإبداء حسن نواياه ودعمه الأمني، وأبدى قطب شاه رغبته في تعويض اورانك عن الخسـائر التي لحقت به[٢٠] وطلب من اورانك زيب أنْ يلتـجئ إلى جـهـانارا بيكم ودارشيكوه[٢١] فألقت هذه التحركات الأضواء على نشاطات السيدة المغولية ونفاذ رأيها داخل البلاط الامبراطوري.

وحينما نشبت الحرب على ولاية العهد بين الأمراء المغول (وهم أشقاء جهانارا بيكم) للوصول إلى العرش في دلهي وذلك سنة ١٦٥٨م، انحازت السيدة الأميرة إلى جانب دارا شيكوه وراحت تدعو الناس لمبايعته ومنحه الولاء، ليكون خليفة لعرش أبيه[٢٢] وحاولت بكل طاقتها أنْ تقنع أشقائها في التوقف عن هذا الصراع الذي بدأت تفوح منه رائحة الخطورة ويهدد شرعية الحكم المغولي في الهند، وفي شهر أيار سنة ١٥٦٨م زحف اورانك زيب بقـواته حـتى وصل إلى "سـامكاره" (Samugarh)، وفشل دارا شيكوه في احتواء زعيم الهندوس تشامبال (Chambal) إلى جانبه، ليكون عـوناً له في مـواجـهـة قـوات اورانك الزاحـفـة والتي وصلت إلى دهاليـور (Dholpur)، وخلال ذلك، وقبيل بدء المعركة في ٢٧ أيار ١٦٥٨م، أرسلت جـهـانارا بيكم برسالة إلى اورانك زيب تطالبه بالعدول عن ممارسة هذه التحركات الشيطانية الشاذة، وعليه تقديم الطاعة والولاء لعرش والده شاهجهان الذي لا زال يدير دفة الحكم[٢٣]، وحـذّرت اورانك زيب من العـواقب الخطيـرة التي يقـتـرفـهـا بحق الدولة ويعمل على اشاعتها في البلاد[٢٤]، وهذا التحذير لم يلق أيّ قبول لدى الأمير الثائر

اورانك زيب.

وفي معركة ساموكاره التي نشبت بين الأمير اورانك زيب وشقيقه الأمير دارا شيكوه ولي عهد المغول، وذلك في ٢٩ آيار سنة ٥٨ ١٦م، حقق اورانك زيب انتصاراً عظيماً على شقيقه دارا شيكوه، وهزمه هزيمة منكرة، ليضطر دارا شيكوه للجوء إلى مدينة اكرا محاطاً بالإحباط والتوتر، وانعكس ذلك على الملك الذي بدت علامات اليأس عليه وعلى جهانارا بيكم، وبعد فترة وجيزة غادر دارا شيكوه إلى مدينة دلهي، وفي هذه الأثناء اجتاحت قوات اورانك زيب أرض مدينة اكرا في حزيران من عام ١٦٥٨م، لينضم اليه غالبية النبلاء في بلاط المغول، إضافة إلى انضمام القادة وزعماء الجيش الذين أظهروا تأييدهم الكامل له، وحينئذ تمكنت قوات اورانك زيب من إحكام سيطرتها على مدينة اكرا، وفرض حصاراً على والده شاهجهان داخل قلعة المدينة (Agra Fort)وقطع عنه الامدادات الغذائية لإجباره على الاستسلام، ودفع ذلك بالملك إلى مناشدة ولده اورانك زيب ليتعامل معه بلطف ومودة، في حين شدّد مطلبه باستسلام والده وتسليم قلعة اكرا، وأجبر شاهجهان على الاستسلام نزولاً عن رغبة ابنه، وأعلن في الثامن من شهر حزيران عام ١٦٥٨م خضوعه التام وفتح أبواب القلعة، وفوراً أمر اورانك زيب باعتقاله[٢٥] وفي العاشر من حزيران ١٦٥٨م، حاولت جهانارا بيكم بذل ما بوسعها مستثمرة نفوذها السياسي لتخفيف الأزمة الخطيرة، بإعلانها اقتراحاً يقضي بتقسيم الامبراطورية، تكون بلاد البنجاب والقريبة من نصيب "دارا شيكوه"، وبلاد الكجرات للامير مراد، وبلاد البنغال للأمير شجاع، بينما إقليم الدكن من نصيب الأمير محمود، في حين تكون بقية أقاليم الدولة للأمير اورانك زيب[٢٦] وتوسّلت لدى اورانك زيب لعقد اجتماع مع شاهجهان إلاّ أنّ اورانك زيب رفض اقتراحها، وكان هذا الرفض سبب في اكتئابها[٢٧] وحزنت على حال إخوتها وما وصلت إليه أوضاع الدولة ومالت إلى رعاية والدها في معتقله مفضلة ذلك على الاشتراك في هذه الأزمة الحادة بين الأشقاء، وأعلنت أخيراً اعتزالها السياسية وانكبّت على خدمة أبيها في سجنه حتى وفاته[٢٨]

هناك العديد من الرسائل التي كتبت للأميرة جهانارا بيكم، أظهرت سعة نفوذها فيما يتعلق بالتعيينات الرسمية، ودورها في ترسيخ الاستقرار ومحاربة النزاعات، كذلك أهمية دورها في كثير من شؤون البلاط المغولي[٢٩] علاوة على ذلك، فقد أشارت الرسائل إلى أنّ معظم الدعوات التي حصلت عليها تبرهن على سرعتها الكبيرة في الحصول على الأشياء وامتلاكها.

والمقربون من جهانارا بيكم من بعض الزعماء، أهل السلطة في دولة المغول، كانوا ينشدون دعمها في حل مشاكلهم السياسية والإدارية، ففي إحدى المناسبات بعث الراجا بودا براكاش (Budl Prakash) هدايا كثيرة[٣٠] للأميرة المغولية، يطلب منها الإلتماس له لدى الامبراطور شاهجهان لمساعدته في صراعه مع حاكم كارهوال (Garhwal)[٣١] ودعاها كذلك إلى إصدار فرمانات (مراسيم) ملكية لاعتقال الزامندار والتحويلدار في مقاطعة سونده (Sondha) بسبب اساءتهم في إداء الواجبات العسكرية والحكومية، إلاّ أنّ مثل هذه المسائل الخطيرة لم تكن من مهمات النساء في الدولة المغولية، ولذلك دعته إلى تقديم شكواه إلى الامبراطور مباشرة[٣٢].

حتى الرحالة الأجانب الذين زاروا الامبراطورية المغولية، لاحظوا نفوذاً كبيراً للأميرة جهانارا بيكم في البلاط المغولي، وعندما أحست السفارة الهولندية إلى البلاط الملكي بعدم نجاحها في الحصول على موافقة المغول لتسهيل أعمالهم التجارية في المنطقة، بذلوا جهودهم للحصول على موافقة وتأييد أعضاء الدولة البارزين في البلاط، خصوصاً الأميرة جهانارابيكم، التي تتمتع بنفوذ مطلق على والدها، على أنّ السبب وراء اهتماماتها تلك أنّ عوائد إقليم سورات كانت جزءاً من مخصصاتها الملكية، ولذلك اصطدم الهولنديون بمصالحها الخاصة مباشرة.

استمرت المباحثات الهولندية المغولية بشكل مكثف حتى توصلوا إلى ايجاد حلول مرضيّة تسمح للتجار الهولنديين بممارسة نشاطاتهم، وقد رفض الهولنديون بداية مطالب المغول التي تقتضي اقتطاع ضرائب في منطقة سورات وغيرها لصالح الخزينة المغولية، لكنهّم وافقوا على تحديد عوائد سنوية ثابتة، وقدرت قيمتها بـ (٥٥

الف) روبية، فصدر مرسوم يضمن حرية التجارة للهولنديين في إقليم البنغال، ثم صدر مرسوم آخر يسمح للهولنديين في بناء البيوت، وصناعة القوارب في مدينة سوارت[٣٣].

ولقد أدرك التجار الأجانب نفوذ جهانارابيكم في البلاط المغولي، وسعوا إلى مقابلتها والاتّصال معها شخصياً مقدمين ولاءهم وطاعتهم لها[٣٤]، إلاّ أنّ مثل هذه الأعمال لم تكن واضحة في المصادر التاريخية المتوفرة، وهل كان التجار الأجانب يُستَقبلون من قبل السيدة المغولية، ام ان مطالبهم كانت تناقش بسهولة دون اللجوء إلى مثل هذه التصرفات؟

كثيراً ما حاول الهولنديون التقرب من جهانارابيكم في ديوانها الخاص في البلاط، وذلك للحصول على توقيعها من أجل تغطية الديون بسهولة ويسر[٣٥].

لم تكن روشانارابيكم الشقيقة الثانية لشاهجهان على علاقة حميمة ووثيقة مع شقيقتها جهانارابيكم، لأنها كانت من أنصار شقيقها اورانك زيب ومع توجهه للإطاحة بعرش والده، وقد قدّمت له كل ما يمكنها تقديمه لدعم اورانك زيب في تحقيق طموحاته، وهي من السيدات اللواتي لهن صلة كبيرة في شؤون الحريم ببلاط المغول، ومن هناك كانت تقدم المعلومات تباعاً حول التطورات السياسية داخل القصر[٣٦]، ويوم سمعت عن تحركات اورانك زيب واستعداداته العسكرية لاحتلال العرش المغولي في مدينة دلهي، سارعت إلى ترتيب ممتلكاتها الذهبية والفضية[٣٧] ووعد اورانك زيب بمنحها لقباً سياسياً هاماً ألا وهو "شاه بيكم" بغية تخصيص منحة ملكية دائمة تقدر بخمسة آلاف روبية، ومنحت اللقب سنة ١٦٦٩م[٣٨].

أمّا في عهد الامبراطور محي الدين اورانك زيب فقد برز عدد من النساء النشيطات في مضمار السياسة، إلاّ أنّ اورانك زيب لم يبدِ أيّ اهتمام تجاه دور المرأه المغولية في مؤسسات الدولة، وطبّق تعليمات صارمة تجاههن، فلم يسمح لزوجاته بممارسة نشاطات سياسية هامة، علماً بأنّ زوجته "ديلراس بانوبيكم" كانت على درجة كبيرة من الذكاء والفطنة، ولهذا اتّخذ الامبراطور موقفاً متشدداً تجاهها

حتى لا يكون لها نفوذٌ في الدولة[٣٩]، وهناك زوجته "اودا ييوري محل" التي تزوجت به وهي في مقتبل العمر، استمر تأثيرها عليه حتى مماته، وتمشياً مع رغبتها أصدر الامبراطور عفواً عاماً عن ولده كام بخش[٤٠].

وبالنسبة لشقيقات الملك اورانك فقد قمن بادوار هامة في عهده، (فشقيقته روشانارابيكم) التي تحالفت معه ووقفت إلى جانبه في صراعه من أجل الوصول إلى العرش المغولي، ويوم وقع الملك تحت ضغط المرض في شهر آيّار سنة ١٦٦٢م، طفقت تمارس دوراً كبيراً في شؤون الدولة ومؤسساتها، كما فعلت السيدة دارا عندما مرض شاهجهان، إذ امتنعت عن إعلان حالة المرض التي أصابت شقيقها[٤١]، حيث أخذت الخاتم الملكي (Royal Seal) وكتبت الرسائل للعديد من راجوات الهند وحكامها وكافة القادة، موشحة باسم السلطان أعظم البالغ من العمر تسع سنوات[٤٢] وامتنعت عن السماح لأحد بمشاهدة الامبراطور حتى ذاع خبر وفاته، كما حثّت الأمراء الهنادكة على تأييد "أعظم"، وكان ذلك محل امتعاض الأمير "معظم"، الذي استخدم كل أساليب الحيلة والمكر والمراوغة للتغلب عليها، مما حدا بها إلى إعلان كراهيتها تجاهه، وأظهرت غطرستها نحوه، وعندما علم الامبراطور بسلوك شقيقته إستاء منها، وفقد ثقته بها[٤٣].

كذلك لعبت الأميرة جهانارابيكم شقيقة اورانك زيب دوراً بارزاً في شؤون الدولة، لاسيمّا عندما غزت قوات المارثا (Martha) شيفاجي حيث نزل المارثا عند رغبة جهانارابيكم، فتقدم بزيارة مدينة اكرا (Agra) في عام ١٦٦٦م. وبعد تسلّمه موافقة الامبراطور على زيارته، عمل على إقناع شيفاجي ليقوم بزيارة اكرا (Agra)، في الوقت الذي أبدى فيه شيفاجي معارضة لهذا الاقتراح، بينما حثّه وشجعه جاي سنك (Jisingh) وأمّله بهذه الزيارة، فوافق، وفي الثاني عشر من آيار سنة ١٦٦٦م، ثُبتّ هذا التاريخ لعقد اجتماع عام يجمع بين الامبراطور اورانك زيب وبين شيفاجي[٤٤]. وفي هذا اليوم باشر أعيان الدولة في الاحتفال والابتهاج العظيم في مدينة اكرا، على أنّ زيارة الامبراطور لمدينة اكرا كانت الأولى بعد وفاة والده

شاهجهان، وهي المناسبة الخمسون لميلاده الفضي، ونصح شيفاجي بالقدوم مبكراً إلى اكرا كي لا تفوته الاحتفالات، ولسؤ الحظ وصل متأخراً، واندفع باتجاه البلاط المغولي (الديوان الملكي) في هذه الاثناء لا يستقبل احداً، لأن الامبراطور يترأس جلسة في الديوان الخاص، وكان شيفاجي قد أحضر معه هدايا قيّمة لاورانك زيب، ألف مهر، والفا روبية كنذر كانت عليه، وخمس آلاف روبية لنصرة الملك. ولم يبدِ اورانك لارغبته ولارفضه لهذه الهدايا، وقد وضع شيفاجي خلف العرش وأمر أنْ يجلس في المكان المخصص لقادة الجيش المعروف بالمنصبدار (٥ آلاف) وهو الخط الثامن للنبلاء، واستمرت أعمال البلاط، في حين تم العفو والصفح عن شيفاجي[٤٥]

وشيفاجي من جانبه لم يوافق على مثل هذا السلوك الذي ظهر من قبل الامبراطور اورانك زيب، لانه لم يمنحه أيّة هدية أو لقباً أو تقليداً، وحتى ولم يستقبله بكلمة حسنة، كل ذلك كان مدعاة لغضب وامتعاض شيفاجي، ودفع به ذلك إلى الخروج بأسلوب فظ من البلاط[٤٦] وحاول رام سنك تهدئة خواطر شيفاجي، في حين كان يتربص به جماعة جاي سنك الذين هُزِموا على يد شيفاجي، إذ تجمعوا لأخذ ثأرهم منه، مردّدين مطالبهم للملك بالاقتصاص منه لسوء أعماله وتمرده[٤٧]، إلى جانب ذلك، ظهرت ضغوطات أخرى من قبل حريم البلاط المغولي، وعلى رأسهن جهانارابيك صاحبة عوائد وضرائب أرض سورات التي حكمها شيفاجي سنة ١٦٦٤م، فأظهرت الأميرة المغولية معارضة شديدة لفكرة سياسة اللين والصفح التي أظهرها البلاط تجاه شيفاجي، وصرخت بوجه الامبراطور قائلة:

مَنْ يكون شيفاجي هذا الذي حظي بتقدير البلاط وترحيبه، وهو المتمرد العاص على طاعة الدولة؟ ولماذا اغفلتم جلالتكم سلوكه وتصرفاته؟ فإذا ما حدث ذلك، فان العديد من قادة المناطق والأقاليم سيأتون إلى هنا ويمارسون أعمالاً وحشية، فكيف والحالة هذه، أنْ تقوم الدولة بمتابعتهم والسيطرة عليهم، ولسوف تشاع الأخبار بأنّ الهنود يمارسون أعمالاً تضر بمصالح الدولة المغولية[٤٨].

وثمة سيدة مغولية أخرى، وهي زوجة جعفر خان وشقيقة "شايستا خان"، هي

الأخرى حرّضت زوجها للثأر من شيفاجي الذي شنّ هجوماً قاتلاً ضد شقيقها في مدينة بونا (Poona)[٤٩] ولما سمع اورانك زيب بموقف الحريم المعارض، وما أبدياه من غضب وامتعاض، قرر باجتماع رسمي مناقشة حالة شيفاجي واتّخذ قراراً يقتله أو إيداعه السجن[٥٠].

يصعب علينا التحقق من نفوذ حريم البلاط المغولي على الامبراطور اورانك زيب وما يبدو واضحاً أنّ الملك كان صارماً إزاء الحريم وإزاء نفوذهن السياسي، ورغم ذلك، كثيراً ما يخبره برأيهنّ ومشورتهن في العديد من القضايا الهامة، وينبغي أنْ تكون هناك حقائق كثيرة جعلته يتبنى هذا الموقف المتصلب من الحريم، لذلك لا يمكن إنكار بعض ممارسات المرأه في الحقول السياسية ونفوذ بعضهنّ الآخر على ملك المغول.

أمّا بنات الامبراطور، فهن الأخريات مارسن أعمالاً هامة في شؤون الدولة، ولم يكُنّ مجرد دمى،[٥١] ففي عام ١٦٥٨م، وعندما اشتعلت الأزمة على ولاية العهد، لم يتلقَ اورانك زيب أيّة معونة من شاه "نوازاخان"، وبعدما هزم دارا شيكوه، قبض اورانك زيب على شاه نواز وأودعه السجن، إلا أنّ "زيب النساء بيكم" نجحت في إطلاق سراحه، لأنّها تدخلت مع الملك وتشفعت به عنده [٥٢]. وعندما عوقب الأمير أعظم سنة ١٧٠١م وسنة ١٧٠٥م بعث باعتذاره وتوبته للملك عبر شقيقته بادشاه بيكم[٥٣].

وبدت الأميرة زيب النساء صوتاً قوياً ومسموعاً في مسألة التعينات الرسمية، حتى أنّ (أورانك زيب) كتب لها مرة يوصيها ببعض الأسماء لتقليدهم مناصب عليا في الدولة، و كان قرارها حاسماً فإنْ وافقت تمّ تعيينهم وإنْ رفضت لا تعتمد مطالبهم[٥٤].

كانت زيب النساء عنصراً متقداً بالحماس والنشاط والهمة إزاء شقيقها الأكبر "محمد أكبر"، فقد كانت سنداً قوياً في ثورته عام ١٦٨١م، وفي عام ١٦٧٩م ذهب الأمير برفقة والده في حملته ضد قبائل الراجبوت، وذلك من أجل إكسابه خبرة

في مجال القيادة، وفي العام الذي تلا الحملة (١٦٨٠م)، أصبح تحت قيادته جيش قوي وكبير، وعندما شعر بهذه القوة، بدأت الشرور تلعب بأفكاره، فثار ضد والده، معلناً عن نفسه امبراطوراً لدولة المغول، وأصدر بياناً يعلن فيه عن انتهاك والده لحرمة القوانين والتشريعات الإسلامية، ولم يكتفِ بذلك، بل شنَّ حرباً على والده سنة ١٦٨١م، في غضون الثورة التي أشعلها الأمير، قام العديد من الأمراء بمراسلات سرية معه، وعندما قمعت ثورته، وأسقط التمرد، تمَّ القبض على جميع أنصاره، واكتشفت رسالة لزيب النساء، كانت قد بعثت بها للأمير محمد أكبر، مما جعلها في مواجهة غير لائقة مع والدها، فقرّر لها منحة ملكية مقدارها أربع آلاف روبية هندية في العام وأمر باعتقالها وإيداعها السجن، وذلك في منطقة سالمكاره، فمكثت هناك بقية حياتها إلى أن ماتت سنة ١٧٠٢م[٥٥].

ابنة أخرى لاورانك زيب، هي زينت النساء بيكم، حظيت الأخرى بمحبة ورعاية والدها، ومنحها مسؤووليات هامة في الدولة، كرعايتها لأسرى المارثا، وزواج شامبهاجي وولدها شاهو[٥٦] علماً بان الاميرة زينت النساء والأمير ولدى من أم واحدة، ولذلك كانت لهم مشاعرهم المشتركة إزاء قبائل المرثا الهندية، الذين كانوا يتمتعون بعلاقات وثيقة مع الأمير "محمد أكبر"، بينما استشعرت زينت النساء تعاطفها العميق مع قائد المرثا يوسوباي وولده[٥٧] وعملت على حمايتهم من بطش والدها، وفي عام ١٧٠٧م يوم رحيل شاهو إلى إقليم الدكن، قدمت زينت النساء كل أشكال العون والمساعدة لإنجاح رحلته[٥٨]. ويرجح أنّها ساعدت في إطلاق سراح شاهو ووالدته عندما شنّ (بالاجي فيشوانات) حملة عسكرية ضد المغول في العام ١٧١٨م[٥٩]، ويروى أنّ علاقة الأميرة مع بالاجي كانت وثيقة، وأنّ لهم اتّصالات سرية سابقة[٦٠].

لعبت زينت النساء في كثير من الأوقات دور الوسيط بين الامبراطور وبقية أمراء المغول، مع اهتمامها الثابت بالشؤون السياسية الاخرى، ففي العام ١٦٩١م، آلت مدينة جنجي (Jinji) إلى قيادة أسدخان وولده (نصرة جانك)، وفي سنة ١٦٩٣م

اعتقل (جام بخش) الابن الأصغر لاورانك زيب بسبب معارضته للقادة العسكريين، واتصالاته مع الأعداء، ويوم وصل إلى البلاط الملكي سنة ١٦٩٣م، سمح له بمقابلة الأمبراطور بتدخل مباشر ووساطة من الأميرة زينت النساء بيكم[٦١].

وهناك سيدة أخرى كان لها دور هام في بعض ما يتعلق بالشؤون السياسية للدولة والبلاط المغولي خلال عهد الامبراطور اورانك زيب، هي السيدة "صاحب جي" زوجة القائد العسكري المغولي "أمير خان"، الذي عيّن حاكماً على مدينة كابول سنة ١٦٧٨م[٦٢]، إذ كانت ضلعية على نحو ممتاز بادارة الشؤون السياسية في الدولة[٦٣] وقد تمتعت فعلياً بإدارة حكومة كابول[٦٤]، وبعد وفاة زوجها المفاجئ عام ١٦٩٨م، إذ مات في وادي كابول هو وقواته العسكرية، هذه الحادثة لم تؤثر في مسيرة كابول، ولم تتناسَ "صاحب جي" أنْ تتخذ البدائل لحماية ولاية زوجها، فعيّنت رجلاً قريب الشبه بأمير خان وأجلسته على الأوراق والأغصان المبعثرة واستأنفت الحملة العسكرية، وقامت بنفسها بحملة تفتيش على قطاعات الجيش، وحيّتهم التحية العسكرية، ولما وصلت إلى مدينة كابول، أذاعت نبأ مقتل زوجها، وأقامت احتفالاً جنائزياً، تشييعاً لزوجها[٦٥] علماً بأنه لا أحد من الأفغان علم بوفاة زوجها أمير خان قبل أنْ تعلن الأميرة المغولية بنفسها نبأ الوفاة، وعندما سمعوا بوفاة الأمير "أمير خان"، شعروا بأنّ تلك السيدة ينبغي أن توضع موضع التقدير والاحترام، ولما علم الامبراطور اورانك زيب ذلك، بدأ يستشعر مسؤوليته تجاه حماية الحدود الشمالية الغربية للدولة، وأنّ أحدَ النبلاء الذين يثق بهم الملك قال:

"سيدي جلالة الملك، ربما يكون أمير خان قد مات، إلاّ أنّ القائدة صاحب جي لا زالت على قيد الحياة، وإنّ إدارة الإقليم لفي مأمن بيدها، كما هي الحال أيام حكم زوجها"[٦٦].

ويقيناً، فإنّ هذه السيدة ظلت ممسكة بزمام الأمور، بشجاعة وتعقل وروية حتى عودة الأمير شاه عالم، الذي عيّنه والده سابدار (Subder) على مدينة كابول، ويوم وصلت المعسكر الامبراطوري، أنعم عليها اورانك زيب بهالة من التشريف

والتقدير، وأذن لها بالمغادرة لتأدية فريضة الحج في مكة.

هكذا وحتى في أكثر العهود المغولية قساوة وصرامة كعهد الامبراطور محي الدين محمد اورانك زيب، نجد المرأه تأخذ دورها بفاعلية ونشاط إزاء الأعمال السياسية، فيروى أنّ الملك (اورانك زيب) لم يكن يستسيغ فكرة أنْ يكون للحريم ايّ نشاط سياسي، إلاّ أنّه لم يمانع في كثير من الأوقات ما كان من شقيقاته وبناته اللواتي لعبن أدواراً سياسية غاية في الأهمية.

وفي عهد (جهاندار شاه)، فقد بدا واضحاً دور عشيقته "لال كونار" Lal (Kunwar في الشؤون السياسية للامبراطورية، في الوقت الذي كانت فيه (كونار) راقصة بارعة، حازت على شهرة عالية في بلاط المغول، وحظيت بتقدير ومحبة الامبراطور، فقد تمتعت بامتيازات الملك نفسه(٦٧)*، سامحاً لها أنْ تظهر بمظهر امبراطوري، وتسير مع قارعي الطبول، وكأنها الامبراطور ذاته، بحيث يتبعها خمسمائة رجل على هيئة الحاشية(٦٨)*، ومن الطبيعي، أنْ يكون ظهورها بهذا

---

* تولى عرش امبراطورية المغول من عام ١٧١٢م، وحتى عام ١٧١٣م وكان عمره ٥٢ عاماً، واسمه "عبد الفتح محمود معز الدين جهاندار شاه"، ورغم قصر مدة حكمه إلا أن نشاطاً كبيراً بدا على الأعمال الفنية، وأصبحت فرصة ثمينة للمطربين والمغنيين والراقصات، الحكومة المركزية في دلهي اعتراها الضعف والانحلال والفساد، وهو السبب الذي دفع بالأمير "فروخ سيار" لاحتلال العرش.

(Sharma, Muglal Empire in India, PP. 373-376). المترجم

* أحد أباطرة المغول الذين حكموا الهند من عام ١٧١٩ وحتى عام ١٧٢٤م، اعتلى العرش بعد وفاة والدة الامبراطور جهاندارشاه في ١٥ سبتمر عام ١٧١٩م، وضربت العملات باسمه على النحو التالي: "عبد المظفر ناصر الدين محمد شاه بادشاهي غازي، وقُرئ اسمه في الخطبة كامبراطور على الهندوستان، وتؤكد المصادر التاريخية أن الملك محمد شاه هو آخر ملوك الأسرة المغولية الذي جلس على عرش الطاووس الذي أسسه شاهجهان.

(Keene, The Turks in India, PP. 200, 201, 221; E and D, History of India as Told by its own historians, Vol. VIII, PP. 485 - 486, Sharma, Mughal Empire in India, PP. 383, 394, 395). المترجم .

الشكل مدعاة لانتشار العديد من الشائعات، وأنّ سلوكها داخل البلاط الملكي أصبح حكاية تلاك على ألسنة أهل المدينة، والحقيقة أنّ بعضهم بالغ كثيراً في هذه الشائعات[٦٩]. وقد قيل أنّ صحبة الامبراطور لهذه السيدة قضيت على السكر وسماع الموسيقى ورؤية المهرجين[٧٠] ولأنّ الملك وقع مسحوراً بفتنتها وجمالها، فقد تجاهل وتقاعس عن القيام بأعماله الرسمية، وامتنع عن ممارسة التشريعات الملكية، مما أظهره بمظهر لا يليق بمقامه كملك من ملوك المغول، وحطّم بذلك هيبة الامبراطور ومكانته[٧١] فالممارسات والاعمال التي حدثت في العهود السابقة، من جانب المرأة، حدثت في هذه الفترة أيضاً، إذ أنّ قريبات الأميرة حصلن على مناصب هامة وألقاباً رسمية رفيعة، وبعض من تلك النسوة اللواتي يرتبطن بعلاقات قرابة مع لال كونوار أصبحن من النبيلات والمعظمّات في القصر المغولي، وبدأن باستقبال الهدايا، كالفيلة والخيول والطبول والمجوهرات الثمينة[٧٢]. وأنّ ثلاثة من إخوانها حصلوا على ألقاب مميزة، كـ(نعمت خان)، و(نامدار خان)، و(خانزدار خان) [٣] وأنّ شقيقها خوشوال خان عُين قائداً على سبعة آلاف جندي، أمّا الأخوة (نعمت خان) ونامدارخان فَعُيّنا قائدين على خمسة آلاف لكل منهما، وأنّ نعمت خان تولى سوبدارية الملتان[٧٤] وأنعمت على العديد من الفنانين والموسيقيين بالألقاب والأعطيات الجزيلة [٧٥].

كان طبيعياً أنْ يشعر النبلاء والرسميون في الدولة ببعض المهانة والاذلال لما وصلت إليه حالهم، لاسيّما وقد أصبحوا يعطون ولاءهم وتقديرهم لأمراء وامرأة تنحدر أصلاً من طبقة اجتماعية متدنية، وخاصة قد أضحوا متساوين مع أقربائها وأشقائها في المناصب السياسية والإدارية الهامة، ووفقاً لذلك، فقد واجهت (لال كونوار) معارضة شديدة من قبل الوزير(ذو الفقار خان)، الذي لم يقتنع بفكرة الجلوس بمكان واحد مع أقرباء (لال كونوار) [٧٦] وعارض تعيين شقيقها على إقليم الملتان [٧٧] حتى اعتقل أحد اشقائها، وهو خوشوال خان لتحرشه ومضايقته إحدى الفتيات[٧٨]. إلى جانب ذلك، فهناك عدد من الأسباب التي عمّقت روح العداء بين الوزيروالسيدة لال كونوار إذ كان الأجيرون (العمال) في البلاط الملكي يشكّلون ثقلاً

للوزير، ومصدراً لمعرفة أسرار القصر، ورغم ذلك لم يكونوا خاضعين لسيطرة السيدة (لال كونوار) [٧٩].

وعند امعاننا بالتطورات القريبة من بلاط الامبراطور، يتضح أنّ نفوذ جهاندار شاه ولال كونوار كان نفوذاً شخصياً على شخص الامبراطور، ويبدو أنّ الجمال الذي تمتعن به (لال كونوار) كان سبباً من الأسباب التي أخضعت شخصية الملك وجعلته مستسلماً لا يقاوم ذلك التأثير، وفي ظل هذه المؤثرات الواضحة سعت وبسهولة إلى تحقيق مكاسب سياسية وإدرية هامة، لا سيّما وقد عيّنت أقربائها وجعلتهم على علاقة وثيقة بالديوان الملكي ، مما انعكس على واقع سياسة المغول المعاصرة، وإن هي تمنّت الوصول إلى ذلك، فقد نجحت بعض الشيء في الاستحواذ على سياسة الامبراطور، لكنها لم تستثمر هذا النفوذ بالوجه الذي يجعلها صاحبة القرار الأهم في الدولة، وأنّ نفوذها اقتصر فقط عنْ بعض الجوانب المالية، وليس أكثر من ذلك.

أمّا في الفترة ما بين ١٧٢٢-١٧١٣م، فقد لعبت والدة الأمير (فروخ سيار) دوراً هاماً في الشؤون السياسية الداخلية لدولة المغول، فبعد وفاة زوجها سنة ١٧١٢م، شاركت في مساعدة ولدها لإعادته إلى حكم العرش، لكنه أبدى رفضه للمساعدة من أيّة جهة كانت، بينما كان حسين علي خان، يمارس نفوذاً عظيماً خلال هذه الفترة، وكان أقوى المعارضين تجاه إعادة (فروخ سيار) للعرش، لكن معارضته توقّفت بفعل تدخلات والدة الأمير فروخ التي حاورت وتفاوضت مع حسين خان من أجل الوقوف إلى جانب ولدها [٨٠]، وأمّلته بالخيرات والفوائد الكبيرة إذا ما تحقق ذلك[٨١] وليس هذا فحسب، بل أنها ذهبت إلى والدة حسين علي خان، وتدخلت لصالح الأمير سيار، ونزل عند رغبة السيدتين، ووافق على مناصرة وتأييد الأمير[٨٢] وفيما بعد وبناءً على توصية والدته، قام فروخ سيار بتعيين محمد مراد كشميري مستشاراً له، ومنحه لقب "وكالة خان" وعيّن له ألفاً من الجند[٨٣].

وفي عهد الامبراطور محمد شاه لعبت والدته "نواب قدسية بيكم" دوراً هاماً

في بلاط الدولة، فهي التي ساعدت ابناءها على استعادة عرش الامبراطورية، واحتكرت كافة المسؤوليات في حكومة المغول، ومثال ذلك، فإنّ الأخوة الأسياد الذين مارسوا قوتهم وسيطرتهم في هذا الوقت، لم يجدوا بدّاً من منح طاعتهم وولائهم لسيدة البلاط الأولى[٨٤]، وفي نفس الوقت، منحت الأميرة "نواب قدسية" خلع الشرف لمعظم المسؤولين الذين أعلنوا عن مناصرة ولدها[٨٥] في حين حذّرت الآخرين، خصوصاً أولئك الذين احتفظوا بتأييدهم زوجها بعدم مقابلتها والاجتماع بها[٨٦]، وحاولت جاهدة تخليص ولدها من حالة الوصاية من قبل الأسياد [٨٧]، وأرسلت برسالة إلى نظام الملك، وهو من النبلاء العظام في الدولة، تدعوه إلى العمل على تحرير الأم والأبناء من خطر الأسياد ونفوذهم[٨٨].

أمّا ثاني السيدات اللواتي حضين بنصيب وافر في الشؤون السياسية والإدارية خلال النصف الأول من عهد شاه، كانت السيدة "كوكي جيو" (Koki Jiu) من أبرز الشخصيات النسائية في هذه الفترة بالذات، وهي ابنة خان محمد[٨٩] أمّا اسمها الطبيعي فكان "رحمة النساء" لكنها عُرِفت فيما بعد بكوكي جيو، لأنها والامبراطور رضعوا من أم واحدة[٩٠]، وانكبّت بشغف على تعلم القراءة والكتابة حتى غدت من أكثر نساء الحريم ثقافة ومعرفة، وأكثرهن نشاطاً في الوسط الاجتماعي، لا سيما بين نساء الحريم الامبراطوري[٩١]، وروي أنها امتلكت القدرة على التنبأ وقراءة المستقبل، إلا أنّ تأثير نواب قدسية والدة الامبراطور أكثر بكثير من تأثير السيدة كوكي جيو[٩٢] فكانت بدون ريب، سيدة فطنة ومتحدثة ماهرة.

وبعدما تولى محمد شاه عرش الامبراطورية المغولية، منحت تشريفاً حيث كان يثق بها ثقة مطلقة ويجعل خدماتها، وذلك لإرساء قواعد سليمة للاتصالات الخارجية للدولة[٩٣] ويبدو أنّ ثقة الامبراطور المطلقة بنواب قدسية، قد دفعت به إلى منحها صلاحيات غير محدودة باستخدام الخاتم الملكي والتوقيع على وثائق ومستندات الدولة[٩٤]. رغم أنّ العديد من الناس الذين سعوا للوصول إليها داخل البلاط أو خارجه، حصلوا على مكاسب ماليه وإدارية كثيرة بسبب تدخلاتها المباشرة[٩٥]

وكما يبدو -استغلت هذا النفوذ لجني الثمار وتحصيل الهداياوالرشاوى من المواطنين، وقد عرفت هذه الهدايا باسم بشكاش (Peshkash)[٩٦] ولضمان المحافظة على مكتسباتها المالية، استعانت بأحد أصدقائها ويدعى "روشان الدولة ظفر خان"، واقنعت الامبراطور بضرورة إضافة روشان الدولة إلى البيت الملكي، وكذلك على "منصب دار" وهو زعيم لسبعة آلاف[٩٧]، وبالتعاون معه، حصلت على كميات كبيرة من الهدايا والمنح، وهناك شخص آخر يدعى (خواجه خدمت كاركان) ناظر الحريم في البلاط الملكي، كان من المؤيدين لكوكي جيو[٩٨] ويقال كان يقبض الرشاوى من الناس ولذلك تمَّ طرده من القصر [٩٩] وقد أيّدها أحد رجالات الدين المتصوفة (درويش) يدعى شاه عبد الغفار، حيث غدا من مشاهير قصر الحريم لبراعته في ممارسة فنون السحر والشعوذة[١٠٠]، وبتعاونه معها، استطاع أنْ يجمع ثروة مالية كبيرة عن طريق جمع البخشيش، وأنّ هؤلاء جميعاً كانوا يتدخلون في شؤون الدولة بشكل سافر، بل وخلقوا مشاكل وأزمات داخل البلاط[١٠١]، حتى أنّ سلطات الامبراطور بدأت تتقلص وتضعف أمام نفوذهم وسلطانهم، وقيل أن نصيباً من المال الذي حصلوا عليه كان قد خصص للامبراطور[١٠٢] وبعد زمن قصير، نشبت صراعات محتدمة بين (كوكي جيو) والوزير نظام الملك، إذْ كان نظام الملك يطمح إلى اصلاحات إدارية جذرية لإثبات قوته في الدولة[١٠٣]، وسعى أيضاً إلى السيطرة على الشؤون المالية من أجل وضع حد للتلاعب وتعطيل الرشوة والعمل على قتلها[١٠٤]، لكن ما سعى للوصول اليه باء بالفشل الذريع، بسب معارضة السيدة (كوكي جيو) ومن معها له ولاصلاحاته[١٠٥]، ولاحظ نظام الملك سلبية الملك إزاء ظاهرة الرشوة وتفشيها في البلاط والمجتمع، وعجز في وضع حد لتصرفات السيدة (كوكي جيو)، لذلك طفق يرشد الامبراطور ويقدم له النصائح الكثيرة[١٠٦]، وفي نهاية سنة ١٧٣٢م، أخذ نفوذ (كوكي جيو) وسلطاتها بالتراجع، ومات العديد من أنصارها في ذات العام، وتمّ طرد البقية الباقية منهم، واتّهمت "روشان الدولة" بالاختلاس هي وأخوة كوكي جيو، لتفقد كافة صلاحياتها في بلاط الامبراطورية[١٠٧].

ونصادف في عصور الامبراطور اورانك زيب المتقدمة مكانة مختلفة للمرأة عن بقية العهود الأخرى، فعوضاً عن الملكات والأميرات وزوجات النبلاء وقادة الجيش الذين يتصلون بالمغول اتّصالاً وثيقاً، أو بقبائل الراجبوت، فقد ظهر إلى الوجود خليلات (عشيقات) يتمتعن بالشرعية القانونية، وقد امتلأن طموحاً وموهبة مما أكسبهن الأفضلية في ممارسة العمل السياسي، لا سيّما في مواطن الأزمات السياسية، والفساد الاجتماعي والأخلاقي، وبدا هناك بعض الطموح لسيدات حاولن دعم الامبراطور، إمّا بطرق علنية مباشرة، أو بطرق سرية.

هوا مش الفصل الثالث

1- Peter mundy, Vol. II, PP. 212-213.

2- Mumtas mahal, by J. N. Chaudhary (Islamic Culture Vol. XI, 1937), P. 373.

3- Sarkar, studies, P. 9.

4- Saksena, History of Shahjahan of Delhi, P. 61.

5- Manucci, Op-cit, Vol. I, P. 182.

6- Saksena, PP. 106-07.

7- Manucci, Vol. I, P. 182.

٨- قسر بعض الرحالة الأجانب ومنهم الرحالة بيرنير، علاقة الامبراطور شاهجهان بابنته على أنّها علاقة مخزية وغير أخلاقية (Bernier, PP, 11-12) إلاّ أن عرضه لهذه القضية ليست بالواقعية، فقال مانوشي: إنّ مثل هذه الأقوال لا تزيد عن كونها شائعات انتشرت وسط الشعب الذي كان منهمكاً بالقيل والقال (manueei, Vol. I, PP. 217).

9- Manucci, Vol. I, P.221

10- Bernier, Travels in the mughal Empire, P.11

11- Journal of Punjab Historical Society, Vol. II (912), P. 155.

12- Sarkar, Vol. I, P.73.

13- Ibid, P.76.

14- Ibid, P. 76.

15- K. R. Qanungo, Dara Shukoh, Vol. I, PP. 136-137.

16- Sarkar, Vol. I, PP. 212-213.

17- Ibid, PP. 235-236.

18- Dara Shukoh, Vol. I, PP. 136-138.

19- Ibid.

20- Sarkar, Vol. I, P. 364.

21- Ibid, P. 364.

22- Manucci, Vol. I, P. 288; Bernier, P. 12

23- Agil Khan, Wagiat-i- Alamgiri, PP. 16-17

24- Ibid.

25- Sarkar, II, PP. 66-82

26- Ibid, PP. 83-8 4

27- Ibid.

28- Indian Historical records Comission, Vol. III, 1921, P. 23.

29- وجدت العديد من الرسائل في رقعة عالمكيري وأدب عالمكيري والتي تشير إلى مثل تلك الأحداث، فنجد في إحدى الرسائل أنّ اورانك زيب يوصي جهانارابيكم بتعيين مرتضى كولي خان، وفي رسالة ثانية نشاهد طلب (اورانك زيب من جهانارابيكم لمساعدته في استعادة قلعة اسيركار (Asirghar) والتي استلبت منه ومنحت للأمير مراد، كما بعثت جهارنارابيكم برسالة إلى الامير اورانك زيب حول تعيين (ميرناصر) في الدولة.

30- اشتملت الهدايا على الاهلية (شجر هندي) وطيور ذهبية والمسك وشجر الرمان.

31- H. A.Rose (J. A. S. B.) Vol. 7, (1911), P. 453.

32- Ibid, P. 454.

33- Ibid, PP. 453-454.

34- English Factory records, (1651-1654), P. 1-2.

35- David went to Jahanara Begam to his respects, English Factory, P. 50.

36- Ibid, PP. 15, 73-74.

37- Sarkar, Vol. I, P. 314; Hamilton, Vol., P. 171.

38- Tavérnier, Vol. I, Pp. 376-377.

39- Alamgir nama, P. 368

40- Sarkar, Vol. I, P. 61

41- Ibid, P-64.

42- Bernier, P. 123.

43- Manucci, Vol. II, PP. 54-56.

44- Ibid, PP. 54-56.

45- Sarkar, Shivaji, PP. 131-133.

46- Ibid, PP. 138-139.

47- Ibid, P. 140

48- Ibid, P. 141.

49-C. B. Tripathi; Life and Times of mirza Raja Jai singh, (Ph. D. thesis) P. 234.

50- Ibid, P. 235.

51- Shivaji, P. 143.

52- Ibid, P,. 235.

53- لوحظ ان زيب النساء بيكم الابنة الكبرى لاورانك زيب كانت تظهر في البلاط الملكي وهي ترتدي خماراً، وتساعد والدها في مداولاته الرسمية.

magan lal, Dewan of Zebunisa, P. 13.

54- Ahkam-i- Alamgiri, PP. 71-72.

55- Ibid, P. 73.

56- Mathir Alamgiri, P. 126; Sarkar, Vol. III, PP. 52-54.

57- G. S.Sardesai; New history of the marthas, vol. I, P. 350.

58- Ibid, Vol. I, P. 350.

59- Ibid.

60- Ibid. Vol. I, P. 350.

61- Ibid. P. 355.

62- M. A, P.217; Ahkam-i- Alamgiri, P79.

63- Sarkar, Vol. III, P. 243.

64- Sarkar, Vol. III, P. 244.

65- Ibid, PP. 114-115.

66- Ibid, P. 155.

67- Sarkar, studis, PP. 114-117

68- Siyar, P. 385; Farugi, F. 379.

69- S. Chandra, PP. 70-71.

70- K. kan, P. 690. One night when the Emperor and his favourite went out in a cart, they got drunk and arriving at the door, lal knuwar without caring for the Emperor, in her drunkenness went to sleep. The Emperor was so drunk that he could not get up and remained in the cart. Later on when it was Known, people rushed up and found the Emperor in the cart. This story is repeated by many others.

71- Farugi, F. 376; Cambridge History of India, Vol. IV, P. 326.

72- S. Chandra, P. 71.

73- K. Khan (E and D.) Vol. VII, P. 432.

74- Farugi, F. 37; Irvine, Vol. I, P. 193

75- Vir Vinod, III, P. 1132.

76- Irvine, Vol. I, P. 194.

77- S. Chandra, P. 71.

78- K. Khan, P. 689.

79- Siyar, P. 386.

80- Ibid, P. 73.

81- Ibid, P. 91.

82- Ibid.

83- Irvine, Vol. I, P. 206

84- K. Khan, P. 791.

85- Urvubee, Vol. Ii, P3.

86- Ibid, P.4.

87- Ibid,PP. 3-4.

88- Ibid, P. 60.

89- S. Chandra, P. 157.

90- Ashub, Vol. I, P.45

91- Ibid, 46.

92- Ibid, 45.

93- Ibid.

94- K. Khan, P. 940.

95- Irvine, Vol. II, P264.

96- Ibid,II, P. 265.

97- K. Khan, Vol. VII, P. 523.

98- Irvine, II, P. 265.

99- Ibid.

100- Ashub, Vol. I, F. 486.

101- S. Chandra, P. 213.

102- AShub, I, F-656.

103- Ibid

104-Irvine, II, P. 265

105-K. Khan, Vol. VII< P. 523.

106- S. Chandra, P. 174.

107- Irvine, Vol. II, P. 270.

الفصل الرابع

الامتيازات التي تمتعت بها سيدات البلاط المغولي

الفصل الرابع

الامتيازات التي تمتعت بها سيدات البلاط المغولي

تمتعت المرأة في القصر المغولي بمكاسب ومراتب عالية ومتقدمة، وقد أخذنا بعين الاعتبار ان الكثيرين لم يحصلوا على امتيازاتهم وتقربهم من مقر الحكم بوساطتهن، فقد كُنَّ يوصين بأغلب الالتماسات التي كانت تعرض امام الملك، وكان لتدخلهن المباشر ثقلاً واضحاً على معظم قرارات البلاط المغولي.

١- **الألقاب** (Titles)

من الوسائل التي عُمِل بها من أجل رفع وإعلاء شأن سيدات البلاط الملكي، ومنحهن هيبة وأبهة لها وزنها في الدولة والمجتمع، هي قيام الامبراطور بإعطائهن ألقاباً تشريفية وتعظيمية كثيرة، وعادة ما كانت المرأة الملكية تشتهر بهذا اللقب في أغلب الأحيان، فنلاحظ أنّ الامبراطور جلال الدين أكبر قد منح والدته لقباً عرف بـ "مريم مكاني"، أي مريم الدنيا والآخرة[١]، والملك جهانكير منح والدته لقباً عرف بـ "مريم الزماني" أي مريم الدنيا[٢]، وبنفس الطريقة قام الامبراطور شاهجهان بمنح والدته لقباً اشتهرت به وهو "بلقيس مكاني"[٣].

على أنّ أكثر الألقاب شيوعاً واكثرها استعمالاً تلك التي منحت لمهر النساء، ففي عام ١٦١١م لقّبها جهانكير "بنورمحل" وحصلت فيما بعد على لقب آخر جديد عرف بـ "نورجهان"، أي نور الدنيا[٤] إلاّ أنّ لقبها "نور جهان" هو الأكثر شيوعاً ومعرفة لدى البلاط، والأكثر استخداماً في التوقيعات الملكية التي كانت تثبّتها على الوثائق الرسمية والأوامر الملكية، كما عرفت أيضاً بـ "شاه بيكم" أي السيدة الملكية[٥].

أمّا زوجة ومحبوبة الامبراطور شاهجهان، فقد بنى لها قصر تاج محل، عرفت في عصرها بـ "ممتاز محل" إلاّ أنّ اسمها الحقيقي كان "ارجمندبانوبيكم" واشتهرت أيضاً بلقب "ملكة جهان" أي ملكة الدنيا، وبعد وفاتها سنة ١٦٣١م، انتقل موضع التشريف والتعظيم إلى جهانارابيكم" والتي منحها القصر المغولي لقباً شهيراً هو "صاحبة الزمان[٦]، كما حازت على لقب آخر عرف بـ "بادشاه بيكم"[٧]، وكانت تعرف عموماً بـ "بيكم صاحب"[٨].

أمّا لقب "بادشاه بيكم" فقد منح أيضاً لـ "زينت النساء" الابنة الثانية للامبراطور اورانك زيب[٩]، أمّا زوجات اورانك زيب فقد اشتهرن –في الأغلب– من خلال أماكن ولادتهن، وهناك على سبيل المثال، "أورانك أبادي محل"، و"اودايبوري محل" وهكذا[١٠] والذي يبدو أنّ اورانك زيب لم يكن مهتماً كثيراً بمنح الألقاب لزوجاته، أمّا في العهود المتأخرة، فقد منحت زوجة الملك جهاندارشاه المعروفة بـ "لال كونوار" لقباً شهيراً وهو "امتياز محل"[١١] أمّا والدة الملك محمد شاه فحصلت على لقب "حضرت محل"[١٢] بينما اتّخذت زوجته اللقب الشهير بـ "ملكة الزمان"[١٣].

وبالإضافة إلى الألقاب التعظيمية التي منحت لملكات البلاط المغولي، فإنّ سيدات البلاط والحريم الأخريات حصلن على نعوت تشريفية عديدة، ومنذ عهد الامبراطور جلال الدين أكبر ولاحقاً، عرفت النساء في قصر الحريم عموماً بـ "بيكم"[١٤].

٢- مخصصات المرأة وما يقدم لها من هبات ومنح

كان نصيب المرأة في حريم المغول في الحصول على حقوقها من المخصصات المالية، والمنح والهدايا، كبيراً، إذ وضعت هذه المخصصات جميعها لتغطية النفقات (Expenditure) الخاصة بها، ونجدهن في مناسبات كثيرة ومختلفة يحصلن على الهدايا من الامبراطور لشراء العطور والثياب المتنوعة[١٥]، وعادة ما يصرف نصف المبلغ نقداً من قبل المصارف الملكية، أمّا بقية المبلغ فتعطى على شكل عوائد من الأرض، حيث تتضاعف الأموال الممنوحة لهن[١٦]. وفي بعض الأحيان تكون أعطيات الأراضي كبيرة ومردودها كبيرٌ أيضاً، ولقد عُرِفت الأراضي الممنوحة لسيدات البلاط الملكي باسم "بُرغ باه" (Burgbah)[١٧].

ونلاحظ أنّ بدايات منح الأراضي لسيدات الحريم المغولي ظهرت أول ما ظهرت في عهد الامبراطور ظهير الدين محمد بابر (مؤسس الدولة) الذي أعطى أرضاً نتاجها سبعون ألف روبية لوالدة السلطان إبراهيم لودي الأفغاني[١٨]، وكذلك خصّص أراضي مهداة لبنات أبي سعيد ميرزا في سهول البنجاب[١٩]، وبعدما اعتلى همايون العرش الامبراطوري، قام بزيارة والدته وشقيقاته ومنحهن اقطاعات خاصة[٢٠]، وأنّ الزعيم الأفغاني "شيرشاه" منح اقطاعيتين للسيدة "بيبي فاتح ملكة" وهي زوجة القائد مصطفى فرمولي، وذلك وفاءً لمؤازرته لشيرشاه[٢١]، ولم يظهر في عصر الامبراطور أكبر أي توجه نحو تخصيص أراضٍ مع عوائدها للنساء، كما كانت الحال أيام شيرشاه[٢٢].

أمّا في عهد الملك جهانكير، فقد طرأ تقدمٌ كبيرٌ إزاء منح المرأة إقطاعات أرضية ومنح متعددة، فبعدما اعتلى عرش الدولة سنة ١٦٠٥م أظهر دعمه لكافة سيدات القصر اوالحريم في البلاط المغولي، ومنحهن الأعطيات الجزلة والأرزاق الكبيرة، بنسبة تتروواح من ٢٠-١٠٠٪، وفقاً لظروفهن أو علاقتهن مع الامبراطور[٢٣]، أمّا بخصوص تطبيق قانون منح الأراضي كملكية خاصة بالنساء

فقد عمل بها على نطاق واسع منذ أيام جهانكير وما بعده من عهود[٢٤].

ولقد حازت الملكة نورجهان على مخصصات ملكية كبيرة انتشرت في أنحاء البلاد، فعلى سبيل المثال، وقعت إقطاعاتها في "رامسار (Ramsar) على بُعد عشرين ميلاً جنوب شرق أجمير (Ajmer)[٢٥] وفي عام ١٦١٧م ويوم استقبل جهانكير نبأ انتصار قواته في إقليم الدكن بقيادة ولده الأمير (خُرم)، جعل من هذه المناسبة العظيمة فرصة في منح زوجته نورجهان (The Pargana of Toda) إقطاعاً خاصاً، حيث بلغ عوائد هذه الإقطاعة حوالي مائتي ألف روبية[٢٦].

علاوة على مخصصات المرأة من الأرض والمنح التي تعطى لها بأمر من الملك المغولي، الاّ أنّنا نجد الملكة نورجهان تتمتع بامتيازات استثنائية، وذلك لمكانتها المميزة لدى الامبراطور جهانكير، ففي سنة ١٦٢٢م، وعندما مات والدها اعتماد الدولة، انتقلت جميع أملاكه المالية والعقارية إليها، بل وتمتعت بامتياز استثنائي آخر، حيث كانت تقرَع الطبول والموسيقى احتفاءً بها وتكون خلف الامبراطور[٢٧] وليس ذلك فحسب، فقد ورد في المصادر التاريخية إنّها امتلكت كافة الحقوق في جمع ضرائب الدخول لمدينة سكندر آباد، عندما تصلها قوافل التجارة من البنغال وبوتهان(Bhutan) [٢٨].

أمّا الامبراطور شاهجهان فقد أبدى رغبة كبيرة بالاستمرار في تقديم المنح والأعطيات من الأراضي لسيدات البلاط الملكي ونساء الحريم، فبعد اعتلائه عرش الامبراطورية المغولية، باشر بإعطاء الملكة نورجهان زوجة أبيه هبات ومنح بلغت قيمتها حوالي مائتي ألف روبية سنوياً، كما خصّص ما مقداره مليون روبية لزوجته "ممتاز محل" كل عام[٢٩]. أمّا أعظم المستفيدين من أعطيات ومنح الملك شاهجهان هي السيدة "جهانارا بيكم" الشهيرة بـ "بيكم صاحب"، منحت إقطاعات كبيرة من القرى، كقرية اتشول (Achchol)وقرية فرجهارا (Farjolara)[٣٠] وقرية باتشول (Bachchol)[٣١] وقرية صفا بور(Safpur) [٣٢] وقرية دوهارا (Doharah)[٣٣].

ويوم تدشين الاحتفالات بمناسبة تولية الامبراطور شاهجهان الثالثة

والعشرين للعرش منحها ايضاً إقطاعات أخرى عديدة كان منها (Pargana of panipat) حيث بلغت عوائدها السنوية عشرة ملايين روبية (One crore)(٣٤)، وعلاوة على ذلك، فقد حصلت على عوائد مدينة سورات، أكثر المدن التجارية ازدهاراً في امبراطورية المغول، وذلك لتغطية نفقاتها الخاصة(٣٥). إذ كانت بمثابة الطفلة المدلّلة بالنسبة للملك شاهجهان، أمّا بعد وفاة زوجته المحبوبة ممتاز محل، فقد تحوّلت كافة ممتلكاتها للسيدة جهانارابيكم، التي عملت على رعاية والدها من جانب، ورعاية مصالحها ومخصصاتها المالية من الجانب الآخر، حيث بلغ حجم الثروة ما قيمته ستمائة ألف روبية وأحياناً تزيد إلى نحو مليون روبية هندية(٣٦)، وعلاوة على ذلك، كانت تحصل على هدايا ثمينة جداً، كالأحجار الكريمة، ونفائس المعادن، لذلك أصبحت من أكثر نساء القصر المغولي ثراءً(٣٧)، وقد روى أيضاً، أنّ دخلها السنوي من الأموال والهدايا بلغ حوالي ثلاثة ملايين روبية(٣٨).

وعلى الرغم من تأييد جهانارابيكم ومناصرتها لشقيقها الأمير دارشيكوه، وهو العدو اللدود للأمير اورانك زيب، رغم ذلك، فقد أغدق عليها اورانك زيب بامتيازات ومخصصات مالية كثيرة، وأسبغ عليها وقاراً عظيماً، ونتيجة للأزمات والمتاعب التي واجهها الملك اورانك زيب بعد توليه عرش الامبراطورية، قاد حملة لتفعيل دور الاقتصاد وتطوره في سائر دوائر الدولة ومؤسساتها، وما يهم الأميرة جهانارابيكم من مخصصات وممتلكات ظل محاطاً بالحماية ولم ينتقص منه شيئاً، عوضاً على ذلك، ففي إحدى مناسبات العيد السعيد سنة ١٦٦٦م، أهدى الامبراطور لها حوالي مائة ألف قطعة ذهبية، وزاد في مخصصاتها ما يزيد على خمسمائة ألف روبية، وهكذا جعل منحتها السنوية حوالي مليون وسبعمائة ألف(٣٩).

وفي عهد جهاندارشاه، يروى أنّ السيدة "لال كونوار" زوجة الامبراطور المغولي، حصلت على مخصصات ماليه بلغت العشرين مليوناً (Two Crores)وذلك للإنفاق على بيتها، وكان جزء من تلك المخصصات مجوهرات وحلي وثياب جميلة(٤٠)، على أن مبلغ خمسة عشر ألفاً من الروبيات صرفت كنفقات خاصة

وشهرية للسيدة نواب قدسية والدة محمد شاه، وكذلك الأمر بالنسبة لبقية نساء الحريم الملكي[٤١].

لم تقف تلك المخصصات والنفقات المالية التي منحها أباطرة المغول في الهند عند حدود نساء الأسرة الحاكمة فحسب، بل حضيت نساء النبلاء على امتيازات لا تقل قيمة عما منحت للملكات والأميرات[٤٢]، وظلت هذه المنح والمخصصات تعطى من قبل أباطرة المغول في الهند.

٣- الموظفون لخدمة نساء الحريم الملكي.

تطلبت المخصصات والاقطاعات الكثيرة التي منحت للسيدة المغولية من يقوم على إدارتها والإشراف عليها وعلى عوائدها المالية، ومن أجل ذلك تم تعيين موظفين رسميين للقيام بهذه المهام، ووفقاً لما جاء به الرّحالة الفرنسي مانوشي (manucci) فإنه كان لكل ملكة أو أميره أو حتى نبيلة، ناظر خاص ينظر بمخصصاتهن، سواء أكانت أرضاً ام عوائد مالية[٤٣]، لذلك كان للملكة نورجهان وكيلٌ خاص[٤٤] لينظر في إقطاعاتها، وأنّ حكيم حمام وابن حكيم كاشي خدما بالديوان الخاص لاقطاعات الملكة ممتاز محل بيكم[٤٥]، وأمّا اسحق بيك فكان أمير سامان للملكة ممتاز محل، وقد عيّن فيما بعد أمير سامان لبيكم صاحب الشهيرة بجهانارابيكم[٤٦]، وتقلّد كذلك منصباً هاماً في إقطاعات الأميرة جهانرابيكم، إذ صرفت له مخصصات مالية تقدر بسبعمائة روبية[٤٧]، وفيما بعد أعطته منصباً أعلى، فحاز على رئاسة الديوان، ومنحته لقب حقيقت خان[٤٨]، وفي سنة ١٦٨١م، عين السيد أشرف أمير سامان لبيكم صاحب ومنح لقب خان[٤٩]، وكذلك كان سعد الله خان قهرماناً للمكلة زينت النساء بيكم[٥٠]، جميع هؤلاء الموظفين عند سيدات قصر الحريم المغولي، ومَنْ معهم مِنْ بقية أفراد الحاشية التي تقوم على خدمة القصر، وضعوا في أماكن خاصة قريبة من أماكن سكنى الحريم المغولي لكي يسهل الاتّصال بهم.

٤- هبات الملابس والهدايا المقدمة من نساء القصر

إذا كانت النساء في قصر الحريم المغولي مغرمات بجمع الهدايا واستقبالها من جهات مختلفة، وحصولهن على ملابس التشريفات لتمييزهن كملكات ونبيلات عن عامة النساء في المجتمع، فانّهن أيضاً قدّمن الهدايا والمنح للشخصيات الكبرى في الدولة وعلى رأسهم أباطرة الدولة، ففي اليوم الذي احتفلت الدولة. فيه بمناسبة اعتلاء همايون العرش المغولي سنة ١٥٣٠م، قدمت والدته مهام بيكم وليمة عظيمة (great feast) ولما انتهت من ذلك، راحت توزع الهدايا والأموال وثياب التشريفات على أكثر من سبعة الاف شخص[٥١]، وليس هذا فحسب بل أعطت الهدايا الثمينة، كالجمال والبغال والخيول .. الخ، لبعض أولئك الحضور الذين آثروا المشاركة بتلك المناسبة المباركة[٥٢]، ومثل هذه التصرفات نجدها عند الملكة نورجهان، إذ كانت أ كثر حرصاً من غيرها على إغداق الهدايا والأعطيات بسبب ما تمتعت به من نفوذ سياسي كبير منحها هيبة عظيمة في الدولة والمجتمع، وحينما انتهت أزمة مقاطعة ميوار (Mewar) سنة ١٦١٤م، واستسلم حاكمها رانا آمارسنك (Rana Amar Singh) للقوات المغولية، جاء ولده الأمير كاران إلى البلاط الامبراطوري. فبالإضافة إلى الهدايا الثمينة التي حصل عليها الأمير من الامبراطور، فقد منح لباساً تشريفياً، ومجوهرات، وسيوف، وخيل مع سرجها، كما منحته الملكة نورجان فيلاً كبيراً[٥٣]، وبعد ثلاث سنوات، أي في سنة ١٦١٧م ويوم تمّ منح الأمير (خُرم) لقب شاهجهان تقديراً لجهوده وانتصاراته التي حققها في حروب مقاطعة الدكن الجنوبية، أظهرت الملكة نورجهان فرحها الغامر وذلك عبر الاحتفال بهذا الحدث السعيد، واغدقت عليه بملابس التشريف الباهضة الثمن، بالإضافة إلى العديد من الهدايا الأخرى، وأعطت أولاده هدايا قيّمة، وكذلك نساءه وحريمه ورئيس خدمة، حيث بلغت كلفة الاحتفال حوالي ثلاثون ألف روبية[٥٤].

لم تكن مثل هذه التصرفات حكراً على سيدات البلاط من ملكات وأميرات المغول فحسب، بل شاركت بقية النساء النبيلات وحتى الخدم المحترمين في تقديم التبرعات والهبات في العديد من المناسبات[٥٥].

كما أنّ الهدايا التي منحتها الملكة المغولية لم تقتصر على الملوك والأمراء بل نجد الأميرة جهانارا بيكم تقدم الهدايا الكثيرة إلى سفراء بلاط المغول من الأجانب[٥٦] وللنبلاء وأعيان البلاط، وغالباً ما كانت تعطى لهم الهدايا في المناسبات الرسمية والأعياد[٥٧] ومثل هذه الممارسات ظل معمولاً بها حتى العصور المتأخرة، ففي الوقت الذي اعتلى فيه الأمير محمد شاه عرش الامبراطورية المغولية سنة ١٧١٩م، وعندما جاء قادة وزعماء الدولة لبيعته، قامت والدته نواب قدسية بتوزيع الملابس التشريفية عليهم[٥٨].

٥- المراسيم الملكية والنياشين.

يعتبر حق إصدار المرسوم الملكي (Royal Farman) من أهم الامتيازات التي يتمتع بها الامبراطور في دولة المغول في الهند وغيرها إلاّ أنّ هناك خروجاً عن هذه القاعدة، وهي وحيدة ظهرت في عهد الامبراطور المغولي جهانكير، إذ شاركته زوجته الملكة نورجهان بحق إصدار المراسيم الملكية، فأصدرت باسمها العديد من المراسيم (الفارمانات) وذلك ببراعة نادرة[٥٩]، وبالإضافة إلى إصدار المراسيم الملكية، كان هناك إصدار الوثائق الرسمية الهامة، كوثائق "حسب الحكم" والتي تصدر عن ديوان رئاسة الوزراء، وهناك النياشين التي يصدرها الأمراء في البلاط المغولي، والسند (الصكوك) التي تصدر عن كبار الموظفين في البلاط المغولي، على أنّ إصدار تلك الوثائق الرسمية والنياشين والأحكام والصكوك كانت من الحالات الاستثنائية[٦٠] وذلك بوساطة الملكات والأميرات، هذا الامتياز الاستثنائي مُنح لؤلئك الذين تمتعوا بمراتب عاليه داخل البلاط المغولي، لا سيّما قصر الحريم الملكي، ومثال ذلك، حميده بانوبيكم[٦١] ومريم الزمان[٦٢] ونورجهان، وجهانارابيكم.

ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أنّ المراسيم والنياشين الملكية الصادرة لم تكن ملائمة لمخصصاتهم وامتيازاتهم فحسب، لأنّ أهدافها كانت في أغلب الأحيان محدودة، ومهما كان لمراسيم الملكات من ظهور وممارسة، فانها لم تحظ بالأهمية السياسية الكبيرة، وإنّ المسائل الهامة، كالتعيينات والنقل والترميج ... الخ لم تكن من

مسؤولياتهن، لنصل إلى واقع يؤكد أنّ مهام المراسيم التي أصدرتها بعض سيدات البلاط كانت متعلقة بالمسائل المالية، أو المخصصات من الأراضي.

٦- الخاتم الملكي (Royal Seal)

من الامتيازات التي حصلت عليها الملكة المغولية وبعض الأميرات المغوليات حق استخدام الخاتم الملكي على المراسيم الامبراطورية، إذ كان الخاتم يأخذ شكلاً دائرياً، صغير الحجم، عرف عند المغول الجفطائية بـ أزك (Uzuk)، وبقي حتى في عصر المغول المسلمين في الهند، قانوناً ثابتاً داخل القصر الملكي وقصر الحريم في البلاط[٦٣]، وقد استخدم الخاتم الملكي في الكثير من المهام، لاسيّما فيما يتعلق بالتعيينات العليا في الدولة، وللاقطاعات ذات الناتج المالي الكبير، وفي عهد الامبراطور شاهجهان، وعقب وفاة زوجته الملكه ممتاز محل، أعطى الخاتم للأميرة جهانارابيكم[٦٤]، وإلى جانب الخاتم الملكي الذي استخدم في القرارات وثيقة الصلة بالامبراطور، فثمة خاتم آخر منفصل كان معمولاً به في الاستخدامات الأخرى، وخاصة ما يتعلق بشؤون جناح النساء[٦٥].

٧- النشاطات التجارية لسيدات البلاط الملكي

كانت الأعمال والنشاطات التجارية في عهد المغول تدار من قبل التجمعات الماليه في الهند، إلاّ أنّ هناك بعض الأمثلة من واقع حياة الملكات والأميرات المغوليات، وحياة الأمراء والنبلاء، تعكس اهتمامهم الواسع في مضمار التجارة[٦٦]،وعموماً، فان التجارة والاقتصاد لم تكن عملاً مرغوباً فيه لدى المرأة، وهي قليلة عند النساء ذوات المكانة السياسية المرموقة، إلاّ أنّ فترة الحكم المغولي أظهرت اهتمامات لبعض النساء تجاه التجارة، وذلك يعود لسبب واحد، هو توافد التجارة الأجنبية الراقية والمتطورة إلى بلاد الهند في تلك الفترة.

في الوقت الذي كانت حركة نقل السفن التجارية الهندية تبحر بحرية في بحر العرب، حاملة معها البضائع الهندية المختلفة، كالنسيج، والفلفل، والبهارات،

والأفيون، والزنجبيل، والأصباغ، إلى غير ذلك، متحركة باتجاه غرب آسيا إلى الجزيرة العربية وأفريقيا وايران[٦٧]، فإنها تعيد معها بضائع جديدة، كالخمور والعطور والأقمشة المطرزة (brocade) والبضائع الصينية، والذهب والفضة والعاج والعصفر واللؤلؤ والخيول وغيرها[٦٨].

لقد قاد اهتمام المرأة المغولية في أعمال التجارة إلى امتلاك العديد من السفن التي كانت تقدر حمولتها بـ ١٢٠٠ طن، وقد امتلكت والدة جهانكير إحدى هذه السفن المسماة بـ جنك (الحرب)[٦٩]، كما عرف عن هذه السيدة مغامراتها في حقل التجارة، ولقد نشطت تجارتها عندما اتّخذت من طريق سورات وموانئ البحر الاحمر معبراً للبضائع التجارية، ويروي الرحالة الاوروبي وليم فنتش (William Finch)، أنّ والدة الامبراطور ومن يعمل معها، واصلوا عملياتهم التجارية الكبيرة، وفي هذه الأثناء، هناك أحد القوارب العائد للملكة محمّلٌ بالنيلة الزرقاء (Indigo) في رحلة إلى مدينة مكة[٧٠]، وأنّ إحدى السفن المملوكة لوالدة جهانيكر كانت تعرف باسم "رحيمي"[٧١] وكثيراً ما حملت بضاعتها إلى مدينة مكة[٧٢] ففي إحدى المرات، وذلك سنة ١٦١٤م، وقعت هذه السفينة رهينة القرصنة البرتغالية، والتي كان من نتائجها نشوب حرب بين المغول والبرتغاليين[٧٣].

كذلك أبدت الملكة نورجهان اهتمامات واسعة تجاه الأعمال التجارية، فامتلكت العديد من السفن التجارية، واهتمت بمعاملاتها التجارية الأجنبية[٧٤]، واشتغلت بتجارة النيلة الزرقاء والأقمشة المطرزة (embroidered)[٧٥]، وكان مدير أعمالها التجارية يدعى عاصف خان، وقد آثرت نورجهان التعامل مع التجار الانجليز واستخدام سفنهم في نقل البضائع، وذلك بسبب تدهور العلاقات المغولية البرتغالية[٧٦] حتى وصل الأمر لديها أنْ تكون المرافق عن البضائع الانجليزية والمروجة لها [٧٧] وأحيانا كانت تستخدم سفناً لُملاك آخرين، بينما تكون البضاعة ورجال السفينة لها[٧٨]، وهي أيضاً السيدة التي أقامت علاقات تجارية مع البرتغاليين في مينائي دامان (Daman) وديو (Due)، الذين نشطوا حركة التجارة

بين الهند والاقطار الغربية[٧٩] وأحيانا كانت تعترض مسيرة التجارة وتطورها بعض العقبات بسب تدخلات الامبراطور، فوالدته وزوجته كانتا تتاجران لحسابيهما الخاص[٨٠].

هذا الاهتمام والنشاط في حقل التجارة بدا واضحاً عند الأميرة المغولية جهانارابيكم، الابنة المفضلة للامبراطور شاهجهان، الذي عمل على دفع نشاطها التجاري لحسابها الخاص[٨١]، حتى امتلكت العديد من السفن والبواخر التجارية، ودخلت في علاقات صداقة مع التجار الهولنديين والانجليز، وبمساعدتهم توسّعت قاعدتها التجارية وكوّنت ثروة مالية عظيمة[٨٢].

٨- الاتّصالات الخارجية

المراسلات والوفود والرسل خضعت لسلطة الامبراطور المغولي، لكونها من أهم الوسائل للاتّصال مع الدول الخارجية وينطوي عليها مهام غاية في الخطورة والأهمية، لذلك أشرف عليها الامبراطور ورؤساء البلاط الملكي، إلاّ أنّ ثمة أمثلة تشير إلى بعض الحالات التي بدت فيها بعض سيدات البلاط المغولي يتمتعن بحق الاتّصال مع العالم الخارجي، وقد كُنَّ يستقبلن، بالإضافة للرسائل من بعض الأمراء من الدول الاجنبية، الهدايا الخاصة الثمينة.

في عصر الامبرطور أكبر، بعث الامبراطور مير محمد معصوم بهكاري سفيراً للمغول لدى الشاه عباس الصفوي ملك فارس ، وعند عودته إلى الهند أحضر معه رسالة من إحدى قريبات ملك ايران بعثت بها لمريم مكاني [٨٣]، كما واستقبلت الملكة نورجهان رسالة من والدة السلطان امام كولي خان، حاكم مملكة توران، تتضمن معاني المودة والتقدير، علماً بأن علاقتهن معاً قديمة[٨٤]، وقد أرفق بالرسالة بعض نوادر الأشياء من مواطن الأتراك، ورداً على ذلك قامت نورجهان بإرسال سفارة أخرى برئاسة خواجه ناصر إلى سمرقند محملة بالهدايا المختارة من الهند لوالدة سلطان توران[٨٥].

وهكذا، فقد حصلت المرأة في بلاط المغول على حقوق ومكتسبات خولتها بالاتّصال مع الدول الخارجية، مع ملكات وأميرات تربطها بدولة المغول علاقات جيدة، علماً بأن هذه الاتّصالات كان لها دورٌ في توثيق وتطوير علاقات الهند المغولية مع العديد من دول آسيا الوسطى وآسيا الغربية.

٩- التشريف والتعظيم الذي تمتعت به سيدة البلاط المغولي.

من أكثر سلوكيات العهد المغولي رقياً وتطوراً نظرته للمرأة نظرة تقدير وتعظيم كبيرين، وقد وصفوا بأنّهم: نبلاء معتدلون، رقيقو المشاعر، مضيافون محترمون، ولم يسمع عن أحدهم، لاسيّما الأباطرة منهم، إساءة المعاملة لزوجته أو بناته أو قريباته، وإنّهم من أكثر الشعوب تكريساً لحياتهم مع أسرهم، وإنّ كبارهم في السن حازوا على قدر كبير من الاحترام والتبجيل. وحافظوا على اعتباراتهم الاجتماعية، ولذلك ظلّوا محط المشورة والنصح والإرشاد في أغلب الأوقات(٨٦).

ويوم حلّ المغول بلاد الهند، استمروا على نهجهم القديم وتقاليدهم الموروثة في تقديرهم واحترامهم للمرأة، واتسمت معاملتهم لهن باللطف والمودة، وبذلوا قصارى جهدهم في المحافظة على راحتهن واستقرارهن، وفي هذا الاتّجاه، قاد الامبراطور ظهيرالدين بابر، مؤسس امبراطورية المغول في الهند، هذا التّوجه في منح المرأة كل احترام وتقدير، وهو الزعيم الكبير الذي تملكه مشاعر المحبة والعطف تجاه عمّاته وخالاته وكبار النساء في قصر الحريم، فأكثَرَ من زيارتهن بنفسه (٨٧)، وقد خصّص مناطق سكنية مريحة وبنى عليها البيوت للنساء، وأمر المهندس المعماري خواجا قاسم في بناء بيوت وقصور وفقاً لرغباتهن الخاصة (٨٨)، وليس هذا فحسب، بل كان بابر لطيفاً رقيقاً مع نساء القصر، وجرت العادة عنده أنْ يخرج خارج العاصمة لاستقبالهن ومقابلتهن، وفي إحدى المرات، وعندما وصلت عمّاته، "فخر جهان بيكم" و"خديجة سلطان بيكم" ذهب إلى سكندر آباد لاستقبالهن(٨٩)، حتى إنّه كان يفضل السّير على الأقدام للاجتماع بهن(٩٠).

أمّا الملك همايون، فكان عاطفيا بطبعه، فقد أسبغ على المرأة هالة عظيمة من التقدير، وغالباً ما كان مغرماً بشقيقاته [٩١]، وبعدما تولّى العرش سنة ١٥٣٠م، ذهب ليقدم التقدير والاحترام لوالدته وشقيقاته ويستفسر عن أحوالهن، ويقدم لهن إقطاعات كثيرة[٩٢]، وجرت العادة لدى همايون أنْ يقوم بزيارة محل إقامة "قلب الدين بيكم" حيث تجتمع كافة سيدات قصر الحريم[٩٣].

ويبدو أنّ عواطف الامبراطور اللامتناهية والاهتمام الخاص في توفير كافة سبل الراحة والاطمئنان لوالدته وشقيقاته، انعكس بوضوح أكثر تجاه زوجته، حتى أنّ السيدة بيكا بيكم كانت تعترض على تجاهله لزوجاته الأخريات، وحاول توضيح ذلك، ونجح في إزالة هذا اللبس، وحصل منها ومن والدته على إقرار خطي بأنّه لم يعد يتجاهل أحداً منهن[٩٤]، وعندما فتح مدينة كابول ١٥٤٥م، جاءت والدته "دلدار بيكم (Dildar) وشقيقاته "كولتشهرابيكم" و"قلب الدين بيكم" لتقديم التهنئة له بهذا الانجاز العظيم، فأثار حضورهن سعادة وسرور وإعجاب الامبراطور، واحتفل بهن احتفالاً كبيراً[٩٥].

وعندما اعتلى جلال الدين أكبر عرش الامبراطورية عمل على إرساء تقاليد الدولة في احترام المرأة في قصر الحريم المغولي، وقد عامل الأميرة مريم مكاناي "معاملة مليئة بالتبجيل والتقدير[٩٦]، واعتاد في أكثر من مرة الخروج خارج العاصمة لاستقبالها[٩٧]، وكان يمنح عمّته نفس التقدير والتعظيم والمعاملة الإنسانية اللطيفة[٩٨].

والملك جهانكير كان يدرك أهمية معاملة المرأة في قصر الحريم، فقد منحها تقديراً رفيعاً لا سيّما ما ابداه تجاه والدته التي يخرج لاستقبالها خارج القصر[٩٩] ولا يعني أنه انفرد بتقديم الاحترام والتبجيل لوالدته، بل سعى إلى تنمية هذه المشاعر عند أولاده أيضاً، ومثال على ذلك أنه بعدما استسلم (الراي كاران) في الوقت الذي تم فيه تشريف الامير (خُرم)، حثّه الملك جهانكير على استقبال والدته[١٠٠] كذلك، كان الملك جهانكير يتمتع بمشاعر عاطفية عميقة ورفيعة تجاه شقيقته "شكر النساء"

التي أحبّها حبّاً جمّاً، وعاملها كما عامل والدته[١٠١]، أمّا حبّه وعشقه لنورجهان فهو امرٌ معروف إذ كان يبادلها حبّاً عظيماً ويحترم مشاعرها، لدرجة أنّه كان ينقطع عن الشراب في حضرتها[١٠٢]، وهي التي تمتعت بثقة الامبراطور المطلقة ، فيوم مرض الملك سنة ١٦١٤م، ولم يكشف النقاب عن هذا الأمر، خشية أنْ يؤدي شيوعه إلى انتشار الذعر المفاجئ، وتُعرّض كافة مؤسسات الدولة إلى حالة من الارتباك، إلاّ أنّ نورجهان كانت تشرف عليه وترعاه دون أنْ تخبر أحداً[١٠٣].

ثم جاء خلفاً لجهانكير شاهجهان والذي اعتلى عرش الامبراطورية المغولية سنة ١٦٢٨م، وكان قد فقد والدته في شهر مارس سنة ١٦١٩م، ومن قبيل الصدف أنّ معظم النساء المسنّات من أقارب شاهجهان توفين الواحدة تلو الأخرى، ولذلك تمحورت تقديراته وعواطفه حول زوجته ممتاز محل بيكم، وقد برهنت هذه السيدة المغولية على عمق محبّتها وعواطفها الصادقة تجاه زوجها، وذلك في كل الوقائع السيئة التي تعرض لها الامبراطور، ومشاركته له في السراء والضراء أثناء إعلانه العصيان والتمرد على والده في سبيل الوصول إلى السلطة[١٠٤]، كما نلاحظ أنّ شاهجهان بادلها نفس المشاعر، إلاّ أنّها ولسوء الحظ ماتت مبكراً سنة ١٦٣١م فقط ثلاث سنوات بعد اعتلائه العرش مما أحدث صدمة عنيفة للملك وحزن حزناً شديداً، وقيل، حتى شعره أضحى أشيب في تلك الليلة[١٠٥]، ومع مرور الوقت، تحوّلت كل عواطفه ومشاعره نحو شقيقته جهانارابيكم، وهي الكبرى من بين بقية الشقيقات، ففي إحدى المرات التي تعرضت فيها السيدة المغولية للحروق الخطيرة سنة ١٦٤٤م، غدا شاهجهان قلقاً عليها وعلى صحتها، وبذل قصارى جهده من أجل شفائها، وحين تعافت وتماثلت للشفاء، نظّم شاهجهان احتفالات عظيمة، وأغدق الأموال على الفقراء والمحتاجين[١٠٦].

أمّا أكثر السيدات حضوة لدى بلاط الملك اورانك زيب، وأكثرهن تقديراً واحتراماً من قبل الملك، هي جهانارابيكم، إذ أخلص لها أيّما إخلاص، وكان دائم الاستعداد لتقبل أوامرها[١٠٧] ولطالما بقي شاهجهان على قيد الحياة، فقد آثرت

البقاء عنده والإشراف عليه، وبعد وفاته سنة ١٦٦٦م تحوّلت إلى مدينة دلهي، حيث عاشت براحة تامة، وفي سنة ١٦٦٩م أمر اورانك زيب دانش ماندخان، أحد أبرز رجالات النبلاء في البلاط المغولي، للإشراف عليها وعلى حوائجها[١٠٨].

لم يكن احترام المرأة وتقديرها من سلوكيات أباطرة المغول في الهند فحسب، بل حتى النبلاء والقادة في البلاط منحوا المرأة إجلالاً وتعظيماً، فكانوا يترجّلون عن خيولهم وينحنون أمام المرأه، أمّا النبلاء فكانوا لا يرون الأميرات وجهاً لوجه، أمّا رسائلهن فترسل إليهن بوساطة الخصيان الذين عُيّنوا لهذا الغرض، وعند قبولهن وموافقتهن، كان ينبغي على النبلاء التقدم نحوهن، في حين ترسل الأميرة التنبول مع الخصيان فيستقبل النبلاء هذه الهدية مع الانحناء، إجلالاً وتعظيماً لهن[١٠٩].

هوامش الفصل الرابع

1- Akbar nama (Bev.), Vol. III, P. 815.

2- Tuzuk (Rand B), Vol. I, P. 66.

3- Qazwini, FF. 13a, 49a.

4- Tuzuk, (R and B.), Vol. I, P. 319

5- Iqbal Nama, P. 56; The Rajput wife of mughal Emperor Jahangir (mother of Prince Khusru) named, man Bai, was also given the title of "shah Begam", by the Emperor, see Tuzuk, Vol, I. PP. 55-56.

6- Mather Alamgiri, P. 213.

7- Manucci, Vol. II, P. 127.

8- Sarkar, Vol. III, P. 58.

9- Ahkam -i- Alamgiri, P. 72.

10- Sarkar, Vol. I, P. 63.

11- Faruqi, F. 37a.

12- Ashub, I, 27.

13- Vir Vinod, III, P. 1142.

14- Manucci, II, P. 333.

15- Ibid, P. 373.

16- Ibid, P. 375.

17- Mirat-ul-Istila, by Anond Ram, F. 15. a.

18- Babernama (Bev.), Vol. II, P. 478.

19- G. H. N. (Bev.), P. 89.

20- Ibid, P. III.

21- Tarikh-i- sher shahi, by Abbas khan (E and D.) Vol. IV, P. 355; Qanugo, sher shah, P. III.

22- monserrate, PP. 166-167; Informs that Gulbadan Begam had given Butzaries to Portuguese during her stay in Surat when she was

Leaving for meccca. She then aimed at securing Heir Friend ship, After her return she did not want to remain on good terms with them and demanded it back, Portuguese felt annoyed at this and committed outrage.

23- Tuzuk (R and B.) Vol. I. 10.

24- Ibid, P. 46.

25- Ibid, P. 342.

26- Ibid, P. 380.

27- Ibid, Vol . II, P. 228.

28- De Leat, P. 41; Pelsaert, P. 4.

29- Lahori, Vol. I, Part, I, PP. 96-97.

30- Qazwini, Vol. III, P. 626.

31- Qazwini, Vol. III, P. 626.

32- Lahori, II, P. 426.

33- Doharah was given to her for the expenses of her gardens, Ruqqat-i-Alamgiri, P. 77.

34- Amal-i- Saleh, Vol. II, P. 109.

35- manucci, Vol. I. P. 65.

36- Qazwini, Vol. II, P. 240.

37- Manucci, Vol. I, P. 216; Bernier, P. 11.

38- Manucci, Vol. I, P. 216.

39- M. A, P. 36.

40- Irvine, Vol. I, P. 194.

41- Ibid, II, P. 4.

42- M. A, P. 23

43- Manucci, Vol. II, PP. 350-351.

44- Tuzuk (R. andB.), Vol. II, P. 192.

45- Qazwini, Vol. III, P. 458; B.P. Saksena, History of shah Jahan of Delhi, P. VI.

46- Qazwiui, III, P. 449.

47- Lahori, Vol. II, Part, I, P. 104.

48- Ibid,P. 142.

49- M. A-, P. 127

50- Irvine, Vol (I, P. 227.

51- G. H.N. (Bev.), P.114, Evidence lacks to disprove.
The figures quoted, but all the Same the figures appear fantastic.

52- Iqbal nama, P. 105.

53- Tuzuk (R. and B.) Vol. IPP. 277-278.

54- Ibid, P. 397.

55- Ibid, Vol. II, P. 221.

56- Amal-i- Saleh, Vol. III, P. 188

57- Qazwini, Vol. III, P. 500.

58- Irvine, Vol. II, P.4

69- Iqbal Nama (E. and D.) Vol. VI, P. 435.

60- A Decriptive list of Farmans, manshurs, and Nishans Addressed by Imperial mughals to the princes of Rejasthan, PP. 32-35.

61- Imperial farmans, by K. m. dhaveri.

62- I. H.R. C, Vol. VIII, 1925, PP. 167-169.

63- Monserrate, P. 209.

64- Central Structure of the mughal Empire, by Ibn Hasan, P. 100.

65- Commercial Activities of the mughal emperor during the Seventeenth Century, by satish chaudra (Proceediugs of Indian History Congress, 22nd Session, 1959), PP. 262-269.

66- D. pant, P. 106.

67- D. Pant, P. 106

68- Moreland, from Akbar to Aurangzed, P. 209.

69- Letters recived by the East indian Company, Vol. II, (1613-1615) P. 213.

70- Early Travels, P. 123.

71- Journal of John Jourdian, PP. 186 191, 209.

72- Ibid, PP. 155-5, 209.

73- Letters Recived by the East Indian. Company, vol. II, P. 213.

74- R. K. Mukerji, The Economic History of India, P. 83.

75- D. Pant, P. 165.

76-Roe and Fryer, Travels in India in Seventeenth Century, P144.

77- D. Pant, P. 164

78- Embassy of Sir Thomas Roe to the court of the great Mnghal, Vol. II, PP. 436-444.

79- mukerji, Op-cit, P. 83, English factory records (1622-23) P. 204.

80- English factory Records (1622-23) P. 81.

81- D. Pant, P. 164.

82- Ibid, P. 211.

83- English factory, P. 148.

84- Akbar nama (Bev.) vol. III,P. 1251.

85- Tuzuk, Vol. II, P. 205.

86- Ibid.

87- H. H. Howorth, History of the mughals, Part IV, PP-38-39.

88- G. H. N. (Bev.), PP. 97-98.

89- Ibid.

90- Baber nama (Bev.) Vol. II, P. 558.

91- G. H. N. (Bev.), PP. 100-101.

92- Ibid, P. 104

93- Ibid, P. 110

94- Ibid, P. 111.

95- Ibid, P. 130-131.

96- Ibid, P. 178.

97- A. N. (Bev.) Vol. III, PP. 541-901.

98 - A. N. (Bev.) vol. III, P. 881.

99- Tuzuk (R. B), Vol. II, P. 91.

100- Ibid, Vol. I, PP. 76-131.

101- Ibid, P. 277.

102- Ibid, P. 36.

103- Ibid, Vol. II, PP. 213-214.

104- Ibid, P. 266.

105- Lahori, Vol. I, PP. 387-390

106- Ibid, PP. 386-388.

107- Ibid, PP. 363-369.

108- - Ruqqat, F. 194a.

109- Sarkar, Vol. III,P. 56. Manucci, Vol. II, P. 354.

الفصل الخامس

حريم المغول والسيدات النبيلات

الفصل الخامس

حريم المغول والسيدات النبيلات

أطلق في عهد أباطرة المغول على الأماكن المخصّصة لنساء الامبراطور اسم محل (Mahal)، وسمّاه المؤرخ الشهير ابو الفضل بـ "شابستان اقبال" أو "شابستان خاص"، ولتعذّر الوصول إلى قصر الحريم الملكي، يصعب علينا إعطاء توصيفات واضحة وموضوعية عن قصر الحريم.

وعلى الرغم من ذلك، نجد جناحاً كبيراً لأحد القصور المغولية مليئاً بالنساء والسيدات العاملات داخل القصر، وفي عصر الملك جلال الدين أكبر عاش أكثر من خمسة آلاف امرأة في قصر الحريم، وخصّص لهن أماكن منفصلة ومميّزة[١]، وتضاعف هذا العدد أيام الامبراطور محي الدين اورانك زيب[٢]، ومع ذلك، فإنّ أجنحة تلك النسوة تتميز بروعتها وفخامتها، أمّا عن قصور السيدات الملكات، كـ "رقية سلطان بيكم" والسيدة (شهزادي خانوم) والسيدة كلزار بيكم" والسيدة "مريم مكاني"، فكانت تقع جميعها في مدينة اكرا (Agra)[٣]، وهناك ثلاثة قصور فخمة لايواء خليلات (عشيقات) أباطرة المغول، وقد عرفت هذه الأماكن باسماء عديدة، كمحل الأحد، ومحل الثلاثاء، ومحل السبت[٤]، وهي الأيام التي اعتاد فيها الأباطرة على التردّد وزيارة هذه الأماكن، إلى جانب ذلك، كان هناك قصرٌ خاصٌ للنساء اللواتي يأتين من دول خارجية، وكان يسمّى هذا القصر بـ "بنغالي محل"[٥]، وقد

شيّد الامبراطور أكبر محال خاصة بالنساء، بحيث يقع محل على كل مسافة ستة عشر ميلاً عن مدينة اكرا، إضافة إلى أنّ الواحد منها كان يحتوي على ست عشرة سيدة مع خدمهن وحاشيتهن(٦).

وهناك وصف آخر لثلاثة محال نسوية جميعها شيّدت في عهد الامبراطور جهانكير، في قلعة لاهور (Red Fort)، وجاء هذا الوصف على لسان الرحالة الأجانب الذين زاروا الامبراطورية في عهد هذا الامبراطور، إذ كان المحل (القصر) الأول يحتوي على أبنية عنابر مزدوجة، و كل عنبر يحتوي على ثماني غرف للعديد من النساء، والثاني، عبارة عن صرح مربع ضخم مع كافة تجهيزاته، وخصص لحوالي مائتي امرأة، أمّا الثالث، فكان أفخمها وأشهرها، احتوى على ست عشرة غرفة كبيرة، وساحة مرصوفة بالبلاط والرخام، وبركة ماء، زادت في جماليات القصر، وخلقت أجواء لطيفة وممتعة، بالإضافة إلى ذلك، فإنّها زُينت بالمرايا والصور الفنية ذات النقوش والمطرزات الجميلة، وكانت أبواب جميع الغرف تفتح من الخارج فقط، ولا يمكن فتحها من الداخل(٧)، وهناك وصفٌ جميلٌ لاجنحة السيدة جهارنارا بيكم الابنة المفضلة للملك شاهجهان، إذ تقع غرفتها بين (الشاه برغ) وبين غرفة نوم الامبراطور، وغرفتها مليئة بالزينة والزخارف والمزركشات والصور الرائعة الجذابة(٨)، في حين شيّد قصر بيكم صاحب بالرخام الأبيض الساحر، وصمّم له قنوات مائية غاية في الروعة والجمال، بالإضافة إلى النوافير والحدائق، ويوجد في ذات المكان منازل أخرى للسيدات، وكانت كلفة بناء هذا القصر وما جاوره من ابنية ومساكن تزيد على سبع مائة ألف روبية(٩).

ويبدو، ممّا سبق. إنّ المرأة في عصر المغول عاشت حياة مغمورة بالترف والبذخ والرفاهية؛ وإنّ معظم قصور الحريم احتوت على أجنحة رائعة تتوافق وتتلائم مع أذواقهن ومشاعرهن، وإنّ كل عنبر من العنابر مخصّص له مستودعات وصهاريج وحدائق وطرق داخل الحدائق وملاجئ مظلّلة بالأشجار(١٠).

١- مؤسسة الحريم

بخلاف عهد سلاطين دلهي الأتراك، كان الحريم في عهد المغول منظماً تنظيماً متقناً وبإشراف الامبراطور، ووظفت النساء البسيطات كمرشدات ومشرفات في قصر الحريم، بحيث تتوزع أعمالهن على العديد من غرف القصر، -وأكثر وضوحاً- فقد كان دور القيّمات على قصر الحريم، تبليغ الأوامر والتعليمات، والتأديب، ومنهنّ من عيّنت كاتبة لحفظ وضبط التفاصيل المتصلة بشؤون قصر الحريم[١١]، وقد منحت تلك السيدات مرتبات مالية مفتوحة، وكُنَّ يأخذن هذه الأموال على شكل حوالات مالية[١٢].

وكذلك، عرفت أكبرالنساء الخادمات التي قامت على ضبط قصر الحريم وتنظيمه "بمحل دار"، كما وعملت المرأه داخل هذه الأماكن الملكية كعين للامبراطور؛ على سائر النساء[١٣] وأحيانا كان ينتج عن تدخلات "المحل دار" صراعات بين الأمراء وبينهن، لأنّهم كانوا يمقتون مراقبتهن لهم[١٤]، ونلاحظ أيضاً أنّ قصر الحريم احيط بحراسة أمنية مشددة مع حرص الدولة على توظيف أكثر النساء قوة وشجاعة للعمل على توفير الأمن وضبط مهام الحراسة[١٥]، وأغلب هؤلاء النسوة من التتاريات والحبشيات، بينما حظيت أقواهن بموقع قريب من إقامة الامبراطور، أمّا في خارج القصر فكانت تقيم حاشية الخصيان، ويقف الحراس الراجبوت في مواقع خاصة تمَّ تحديديها بدقة، وعلى المداخل الرئيسية كالبوابات والبوّابين، إلى جانب ذلك،نجد على مداخل القصر الأربعة حرّاس النبلاء، ويسمّون بالآحاد و،معهم مجموعات أخرى[١٦].

كانت طبيعة الحراسة وقوة تنظيمها وضبطها لا تسمح لأحد في الدخول إلى قصر الحريم، على أنّ الأبواب التابعة لهذه الأماكن يتمّ إغلاقها عند غروب الشمس، في الوقت الذي تشعل المصابيح، وكان على كل حارسة من الحارسات تقديم تقرير دوريّ للناظر[١٧] هذه التقارير تتعلق بظروف وأحوال وحوادث القصر[١٨]، وحينما ترغب أيّة زوجة من زوجات النبلاء أو أيّة سيدة أخرى بزيارة القصر، يتعين عليها

إبلاغ خدم سراي القصر، الذين يبعثون بمطالبهم إلى الرؤوساء وبعد أنّ تتم الموافقة، يسمح لهم بالدخول إلى القصر، وحدث أنْ سمح لنساء ذوات مراتب عالية في الإقامة داخل قصر الحريم والمكوث شهراً كاملاً[١٩].

ومن الأمور الهامة ذات الصلة بمنظمة الحريم المغولي، ان الامبراطور يوظّف العديد من الضباط الأكفاء من أجناس مختلفة، كما كان يفعل ذلك خارج القصر[٢٠] وبعض النساء تقلدن مناصب عالية كنّ متساويات مع بقية نزلاء البلاط[٢١] وأنّ التقارير التي يتم كتابتها ترسل جميعها إلى الامبراطور، وقراءة رسائل الأخبار تقرأ بحضرة الملك وعلى لسان إحدى سيدات القصر، وذلك حوالي الساعة التاسعة مساءً من كل يوم[٢٢]، وفي الليل كان يحيط بالملك الحراسات النسائية، لا سيّما الماهرات بالفنون وحمل السلاح[٢٣].

٢- نساء النبلاء

آغلب نساء وزوجات النبلاء في هذا العصر، كنّ مقلدات في كل سلوكهن وتصرفاتهن للملكات، وجرت العادة أنْ يتزوج النبيل بأكثر من ثلاث أو اربع زوجات[٢٤] والسبب وراء ذلك، أنّ معظم الأعمال المتعلقة بإدارة شؤون قصر الحريم كانت من مهامّهن الرئيسية، ولهذا، لم يكن يظهر منهن أيّة بوادر بالرفض، وقد اعتاد كل نبيل من نبلاء البلاط على زيارة زوجته في أوقات محددة، ويوم يؤم القصر، كان يحظى باستقبال بهيج، وعند خروجهم، كانت الزوجات المفضلات ترافقه لوداعه، في الوقت الذي أعد لهن أماكن خاصة للراحة والاستجمام وبرفقتهن الخصيان، والمرأة النبيلة كانت تلبس أغلى الألبسة، وتأكل أطيب المطاعم، بالإضافة إلى ما تمتعن به من حسن الضيافة والتقدير[٢٥]، وكثيراً ما كانت الغيرة تنتشر بينهن في حالة استقبالهن لأزواجهن، الا أنّهن كن يخفين ذلك حتى لا يغضب سيّدهن.

ولقد عيّن الخصيان والخدم البنغاليين حرّاساً لكل امرأة نبيلة، وذلك لتوفير الحماية والراحة لها، ولضمان عدم اختلاطها بالرجال إلا مع زوجها[٢٦] وإذا ما فشل الخصي بمهمته الموكله إليه، فإنّه يعاقب عقاباً شديداً[٢٧].

أمّا طبيعة الحياة التي كانت تعيشها المرأة النبيلة في قصر الحريم المغولي فكانت مترفة باذخة، ويظهر ذلك جلياً من خلال أماكن إقامتهن، وكانت زوجة جعفر خان من أكثر النساء النبيلات عظمة وأبّهة وتحرراً[٢٨]، وهي التي دعت بعد الانتهاء من عمارة أحد قصورها، إلى مأدبة كبيرة، ودعت الامبراطور إليها[٢٩]، وهناك زوجة خليل خان، الابنة الكبرى لعاصف خان، عاشت حياة منعمة ومترفة[٣٠] وأنّ أيّة زوجة من زوجات النبلاء كان لها منزل خاصٌ مستقلٌ، ومنحت مخصصات مالية شهرية لأغراض الإنفاق الخاص، كالمجوهرات والأثاث والملابس، وغير ذلك، على أنّ جميع هذه المخصصات كانت تصرف لهن من أزواجهن[٣١]، وأنّ معظم هؤلاء النساء كن يمتلكن عربات من الذهب والفضة، ويمتلكن أيضاً الخدم والحشم ليقوموا على خدمتهن[٣٢]. وقد أُحيطت أماكن سكنى النسوة النبيلات بأسوار عالية، وخصص لها الصهاريج في داخلها[٣٣]، وهنا يضع الرحالة الاوروبي بلسرت (Pelsaert) وصفاً لحال القصور النسائية، فيقول:

"كانت المحال الخاصة بقصر الحريم، مليئة بالفجور والفسوق والانغماس المطلق بالشهوات، وإنّ احتفالاتهن طائشة ومفرطة في الترف، ويعشن بأبّهة وخيلاء زائدة، بالإضافة إلى الكبرياء والغرور"[٣٤].

٣- السرايا (الخليلات) (Concubines)

كانت ظاهرة الاحتفاظ بالعشيقات والسرايا والخليلات من الظواهر المنتشرة وسط العائلة المغولية الحاكمة وكذلك بين النبلاء[٣٥]، هؤلاء الخليلات بذلن قصارى جهودهن في جذب الملوك والأمراء والنبلاء إليهن[٣٦] واتّخذن وسائل إغرائية عديدة من أجل إغواء السادة الملوك والأمراء، من ذلك، استخدام العطور، ومراهم يشتم فيها الحلاوة والطيبة لإثارتهم وتهييجهم جنسياً، كما كن يشجعن الملوك والأمراء على تعاطي الأفيون والمخدرات بانواعها. وإنّ غالبيتهن خدمن الملوك والنبلاء، بالرقص والتصفيق بأيديهن وأرجلهن، كما ومارسن العزف على الآلات الموسيقية[٣٧]، وفي بعض الأحيان كانت السرايا تعيش في منازل الزوجات.

كان لكل خليلة منزلٌ خاصٌ بها[٣٨]، ويحاط بهن حراسات مشددة، ولا يسمح لأحد بالدخول عليهن إلاّ للخصيان والخدم فقط[٣٩]، وإذا فشل أحد الحراس في حراسته لهن، فإنه يخضع لعقوبات صارمة، في حين بدا رغبة بعض أزواجهن في زيارتهن، وهو ما يندر حصوله[٤٠]، وفي هذه الأجواء، شاعت الغيرة وسط الملكات والنبيلات من الخليلات، للحصول على القربى والمحبة من أزواجهن[٤١].

٤- العرّافات (الكاهنات) (Female Sooth Sayers)

من المظاهر الأخرى التي اعتاد قصر الحريم المغولي على التعامل معها وجود نساء عرّافات لهن المقدرة على قراءة أحداث المستقبل، ففي عهد الامبراطور جهانكير، فقدت لؤلؤة ثمينة تقدّر قيمتها بخمسة عشر ألف روبية، أعلنت إحدى العرّافات عن قدرتها في العثور على هذه اللؤلؤة المفقودة، وفعلاً نجحت في العثور عليها، وأصبح خبرها مشهوراً، وحصلت على هدية ملكية قيمة[٤٢]، وإنّ إحدى قارئات الكف قالت للملك جهانكير: إنّ امرأة فاتنة تلبس ثياباً بيضاً سوف تأتي لتبارك لك، وفي اليوم الثالث جاءت إحدى الخليلات التركيات إلى حضرة الملك، وهي ضاحكة مستبشرة، وقالت: إنّ الأمير الذي أرسل إلى دلپور (Dholpur) سيحقق نصراً مؤزراً[٤٣]، وهكذا، أصبحت العرّافة وقرّاءة الكف من الأمور الاعتيادية داخل قصر الحريم المغولي، وكذلك ظهر عرّافون، ليصبح أمرهم اعتيادياً في المجتمع الهندي.

٥- الجاسوسية

استخدمت المرأة في البلاط المغولي جاسوسة وعيناً للوصول إلى معرفة الأشياء التي تدور داخل القصر، وهناك رواية عن سيدة تدعى آكاي سارفكاد (Aga-i-sarvkad)، عاشت أيام الملك همايون وعهد الملك جلال الدين أكبر، وكانت في السابق من حريم الامبراطور بابر، خدمت جاسوسة لجمع المعلومات عن خان خانان وبعض كبار النبلاء والقادة المغول[٤٤]، وهم الذين طفقوا يظهرون توجّهاً ضد مصالح امبراطورية المغول في الهند.

هوامش الفصل الخامس

1- Ain-i-akbari, Vol. I, P. 44.

2- Manucci, vol. II, P. 330.

3- De Laet, PP. 37-39.

4- De Laet, PP. 39-40.

5- Ibid

6- Ibid-P. 44.

7- Finch, PP. 162-165.

8- Finch, P. 149.

9- Hawkins, Early Travels, P. 118.

10- Lahori, Vol , I, Part, II, P. 241.

11- Waris, vol. I, FF. 53-54.

12- Bernier, P. 267.

13- manucci, Vol. II, PP. 330-331.

14- manucci, Vol. II, PP. 330-331.

15- Ahkam-i-Alamgiri, PP. 71-72.

16- manucci, Vol, II, P. 352.

17- Ibid, II, P. 350.

18- Ibid, II, P. 353.

19- Ibid, II, P. 350; Nazir was atearm used for the Eunuches who guarded the harem, each princess had anazir in whom she reposed great Confidence.

20- Ibid , II, P. 352.

21- Ain, Vol. I, P. 45.

22- Manucci, Vol. II, PP. 330-331.

23- Ibid.

24-Ibid.

25- Pelsaert, P. 64; De Laet, PP. 90-91.

26- Ibid, PP. 64-65.

27- Pelsaert, P. 65.

28- Ibid

29- Ibid, P. 68

30- Tavernier, Vol. I, P. 389.

31- Ibid.

32- Manucci, Vol. I, PP. 193-194

33- De Laet, PP. 90-90; Pelsaert, PP. 64-65.

34- Plesaert, PP. 65-66.

35- Ovington, P. 234

36- Careri, P. 247.

37- Ibid.

38- Pelsaert, P. 65.

39- Delaet, P. 99.

40- Peter mundy, vol. II, P. 201

41- Pelsaert, p. 65.

42- Tuzuk (R.and B.) Vol. II, P. 235.

43- Iqbal Nama, P. 193.

44- Bayazid, Tazkirah-i-Humayun-wa-Akbar, P. 290.

الفصل السادس

بعض مظاهر النشاط الاجتماعي والثقافي لسيدات البلاط الملكي-١

الفصل السادس

بعض مظاهر النشاط الاجتماعي والثقافي لسيدات البلاط الملكي-١

احتلّت المرأة في قصر الحريم المغولي مكانة مرموقة، ولعبت في الحياة أدواراً عديدة، منها ما يتعلق بحياة اللهو والترف، ومنها ما هو متعلق بالحفلات والأطعمة والأشربة والمنامات، إلاّ أنّ التشدد الكبير الذي مارسه أباطرة المغول في فرضهم الحجاب، ساهم كثيراً في خلق أجواء مقلقة للمرأة التي قضت معظم وقتها في الحدائق أو على شرفات القصور والأبنية الخاصة، أمّا بخصوص فنون الرسم والزخرفة، فقد كُنّ يجلسن ويتحدثن بها في ظل أجواء ساحرة تحيط بهن، وأحيانا تعمل الخادمات على توفير الهواء لهن من خلال استخدام المراوح، وكذلك يحضرن لهن الرسائل[١]، أمّا نساء القصر فقد عشن في أماكن مشبعة بمظاهر الأبّهة والعظمة والخيلاء، حيث تشاهد ذرات الماء تتساقط من أعلى لتختلط بالزهور والورود[٢]، وكانت النساء تستخدم النوافذ والشبابيك لتراقب العالم الخارجي من حولها، وبعضهن الآخر انهمك في العبادة والتقرب إلى الله، ومنهنّ من آثرت العزف على الآلات الموسيقية، وأخريات شغفن بالرقص والغناء، وبعضهن مارس هواية الرسم والزخرفة، ومنهن مَنْ فضلت الرحلات الترفيهية المترفة، أمّا الغالبية العظمى

فقد ظهرت عندهن رغبة جامحة تجاه الألبسة والمجوهرات.

١- الاستجمام (Recreation)

من العادات التي جذبت اهتمام المرأة في قصر الحريم المغولي ما يحقق لها السعادة والرفاه والاطمئنان، فاستخدمت الغليون، وشربت الخمرة، ودخنت التبغ، وفي أواخر النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، انتشرت عادة التدخين بوساطة النيرجيلة (الحقة) (hubble-bubble) بين معظم النساء[٣]، كما وضعت للضيوف، وشاع الشراب[٤]. وفي هذا يروي الرّحالة الفرنسي الشهير مانوشي (manucci): إنّ النساء كانت تشرب الخمور في الليل، وذلك مع إيقاعات الموسيقى، وهن يرقصن ويتحركن، بينما مظاهر الزينة تحف بهن من كل جانب[٥]، وإنّ بعض مصادر الآداب الهندية المعاصرة تشير إلى أنّ المرأة استخدمت الخمور السائلة المقطرة[٦].

أمّا في أوقات اللهو والتسلية، فقد مارست المرأة عدداً من الألعاب، كالشطرنج، والتشوپر (Chauper)، والتشاندل ماندل (Chandal-mandal)[٧] في حين برعت الأميرة المغولية زيب النساء بيكم في لعبة التشوپر[٨] وكذلك تسلت النساء بطيران الطاووس والشوحة، والتي كانت من الوسائل الترفيهية الهامة[٩]، ويبدو أنّ المرأة مارست في بعض الأوقات لعبة البولو (Polo)، وقد يستبعد ذلك، كون اللعبة قوية وعنيفة، وهذا يتنافي مع طبيعة المرأة، لا سيّما الملكات والأميرات اللواتي عشن حياة منعمة[١٠].

وهناك حقول أخرى للتسلية عند سيدات البلاط المغولي، كاللعب بالنار، ويروي مانوشي: إنّ من وجوه التسلية عند النساء في فترة الليل، إشعال المصابيح طويلاً، مما تطلب إنفاق أكثر من خمسة آلاف روبية[١١]، وقد شوهدت بعض الملكات وهي تطلق النيران، مما يدلّل على أنّ ذلك من نشاطهن الاعتيادي[١٢].

٢- الاهتمامات الدينية

أنصب اهتمام بعض نساء القصر المغولي على جوانب الدين التعبدية، وقضين معظم أوقاتهن في خدمة الله والصلاة وقراءة القرآن، فالملكة جهانارابيكم أكثر أوقاتها في الانهماك بالعبادات والتضرع إلى الله[١٣]، وقد كتبت في إحدى رسائلها المشهورة بـ "رسالة الصحابية"، إنّ الله حشد في داخلها رغبة متوقدة للبحث عن الحقيقة[١٤]، وقد حثّها أخوها دارا شيكوه أنْ تنذر نفسها للطريقة القادرية، إلاّ أنّ الأميرة آثرت الانضمام إلى تعاليم المدرسة التشتيه Chishtia)[١٥] واتّخذت من الشيخ مولاشاه شيخاً ومرشداً روحيّاً لها[١٦] ولقد كتبت: إلى جميع المنحدرين من السلالة التيمورية، نحن الاثنين –تقصد نفسها ودارا شيكوه –على الحق في الحصول على هذه السعادة العظيمة ولا يوجد واحد من سلالة أجدادنا قد نهج هذا النهج في البحث عن الله والوصول إلى الحقيقة[١٧].

ويعتبر الامبراطور اورانك زيب من أكثر ملوك الأسرة المغولية تديناً، حتى أنّ معظم نساء الحريم في بلاطه بما فيهن بناته الخاضعات لطاعته، تعلّمن جميعاً القواعد الأساسية للدين الإسلامي، والجميع مارسوا الشعائر الدينية وأعطوا طاعتهم لله، وقرأوا القرآن ويفسرونه، وتعلموا الآيات والأحاديث التي تحض على الفلاح في الآخرة[١٨] في الوقت الذي أخضع ابنته الثانية زينت النساء لتعلم الأصول الدينية الضرورية[١٩] وإنّ زيب النساء وبدر النساء شقيقات اورانك زيب حفظنا القرآن وتعلمنا الأحاديث والفقه والاصول[٢٠].

٣- الثقافة والتعليم

من أهم النشاطات التي مارستها سيدة البلاط المغولي الاهتمام بالثقافة والآداب، بكل ما تحمله من معانٍ، فقد انكبت المرأة على تعلم القرآن، والقراءة والكتابة والتفسير لآيات القرآن، والأحاديث النبوية، وقد استندت في تعلمها لسائر العلوم على

رغبة أكيدة من قبل أباطرة الدولة الهندية، في حين كانت الفتاة داخل القصر المغولي ملزمة بتحصيل العلوم الأساسية[٢١] ونلاحظ أنّ مهمة المرأة ومسؤولية المدرسة تجمّعتا بامرأة واحدة. هي المربية التي مُنحت لقباً رسمياً عرف بـ "آتون ماما"[٢٢] ومثل هذه المربية قد ورد اسمها كمربية للأميرة قلب الدين بيكم[٢٣] وفي عصر الامبراطور جلال الدين أكبر ظهرت توجهات محدودة من قبل الدولة في منح نساء قصر الحريم المغولي تعليماً يومياً واعتيادياً[٢٤] ونجد رغبة الملك أكبر في تعلم المرأة في رواية الرّحالة مونسرات (monserrate) الذي زار الهند سنة ١٥٨٠م إذ قال: إنّ الملك منح المرأة اهتماماً عظيماً ورعاية فائقة من أجل تعليمها فتعلمت القراءة والكتابة، وخضعت نساء القصر لإشراف المربيات وإرشاداتهن[٢٥] فالملك أكبر أسس مدرسة خاصة للبنات في مدينة فاتحبور سكري (fatehpur sikri)[٢٦].

كما اهتم أباطرة المغول في توظيف النساء الكفوءات من الناحية العلمية لاسيّما المتمرسات للغة الفارسية، وذلك لتوفير الأجواء السليمة في تعليم البنات والنساء[٢٧]، فالملوك، كشاهجهان واورانك زيب كان لديهم مثل تلك السيدات المرشدات والمعلمات لبناتهم، في حين كان منهاج الدراسة والتعليم يحتوي على موضوعات متنوعة، كاللغة الفارسية، واللغة العربية، وعلوم اللاهوت (الدين) والتاريخ وغير ذلك من موضوعات، وإنّ بعض نساء المغول حفظن القرآن عن ظهر قلب، وبعضهن الآخر اهتم بدراسة القصص والروايات الأدبية، كرواية "كلستان" ورواية بوستان" التي ألفهما الأديب الشاعر الشيخ سعدي الشيرازي[٢٨] وكذلك تلقت نساء النبلاء تعليماً خاصاً بهن من خلال مدرّسات ومرشدات ومربيات[٢٩].

وفي قصر الحريم المغولي، كانت الأميرة قلب الدين بيكم أول سيدة توجّه عنايتها الفائقة نحو العلم والمعرفة، وهي ابنة مؤسس الامبراطورية المغولية ظهير الدين محمد بابر، فكانت الأميرة ضليعة بمعرفة مكنون اللغة الفارسية واللغة التركية، ولديها موهبة في قرض الشعر ونظمه[٣٠]، وهي التي ألّفت كتاباً هاماً من كتب التراجم والتاريخ اسمته "همايون نامة" وذلك على شرف الملك جلال الدين أكبر، إذ

وضّحت في هذا المؤلف الأحوال الاجتماعية والسياسية للعصر الذي عاشت فيه، كما احتوى على مادة تاريخية غنية، علماً بأنّ اهتمامها في الأدب كان واسعاً وشاملاً، وكانت تعشق الكتب، ولهذا يروى أنّ من أكثر هواياتها جمع الكتب، لذا فقد امتلكت مكتبة خاصة بها[٣١].

أمّا الابنة الثانية للملك بابر، فهي الأميرة "قل رخ بيكم" كانت هي الأخرى ذواقة للشعر، ونظمت العديد من الأبيات الشعرية[٣٢]، وهناك سيدة أخرى تميّزت بابداعاتها الأدبية، تلك هي "سليمة سلطان بيكم" ابنة أخت الملك همايون، وعقب وفاة زوجها بيرم خان، تزوج بها الملك أكبر، فكانت متمكنة من ناصية اللغة الفارسية، وكانت لها مآثر غنية في مضمار الأدب[٣٣]، وهي من السيدات اللواتي أُغرمن بجمع الكتب وتأسيس مكتبات خاصة[٣٤]. وإنّ ابنة عبد الرحيم خان خانان والتي تدعى بـ جان بيكم" كانت على معرفة واسعة بفنون الأدب، مبدعة مجيدة، حتى روي أنّها كتبت تفسيراً للقرآن الكريم، وحصلت مقابل ذلك على جائزة مقدارها خمسون ألف دينار من قبل الملك أكبر[٣٥]، واشتهرت برعايتها ودعمها للحركة الثقافية، والقائمين عليها[٣٦].

أمّا الملكة نورجهان زوجة الامبراطور جهانكير، فهي من أميز النساء وأكثرهن رعاية واهتماماً للعلوم والثقافة في هذا العصر، إذ كانت واسعة المعرفة والثقافة، لا سيّما ضلوعها في اللغتين الفارسية والعربية، إلاّ أنها أُغرمت بالشعر الفارسي وقرضت ونظمت الأشعار بالفارسية[٣٧] وامتلكت مكتبة كبيرة احتوت على كتب ومخطوطات غنية[٣٨]، أضف إلى ذلك، أنّ الملكة المغولية كانت تحيط نفسها بحاشية من الأديبات والشاعرات[٣٩].

والملكة ممتاز محل زوجة الامبراطور شاهجهان، هي الأخرى من النساء الذّواقات للأدب، ومعرفتها العميقة باللغة الفارسية وآدابها جعلها امرأة متميزة في حقل الثقافة والمعرفة، لذا فقد نظمت أشعاراً كثيرة في هذه اللغة[٤٠] وكانت تطلع على مراسلات زوجها[٤١] وأحاطت نفسها بالنساء المثقفات، فكان منهن السيدة "فان

سيدارا ميزرا (Vansidhara Misra) إحدى الشاعرات الهنديات الشهيرات وهي من أكثر النساء تفضيلاً لدى ممتاز محل[٤٢]، أمّا ناظرة الملكة ممتاز محل والتي تدعى "ست النساء" كانت بارعة بالعلم والمعرفة، ولديها دراية جيدة باللغة الفارسية، وعلى قدر عال في معرفة العلوم الدينية الإسلامية، وبناء على وفرة العلم لديها، عُيِّنت مربية ومرشدة ومعلمة للأميرة "جهانارابيكم"[٤٣]، في حين كانت ست النساء شاعرة مجيدة[٤٤].

أمّا الأميرة جهانارابيكم الابنة الكبرى لشاهجهان، كانت على مستوى علمي رفيع، وقد قام على تدريسها وتعليمها علوم الدين والآداب الشيخ ناظر[٤٥]، وهي كبيرة الشبه بشقيقها داراً شيكوه، حيث انضمت إلى مدرسة التصوف، وكتبت في ذلك رسائل عديدة[٤٦]، وقرضت الشعر بالفارسية، وكتبت كلمات قصيرة إحياءً لذكراها، وهذه الكلمات كانت بسيطة ومتواضعة[٤٧]، في عام ١٦٧١م ألفت كتاب "مؤنس الأرواح"، وهو ترجمة لحياة الشيخ معين الدين تشتي (Chislti) واتباعه وتلاميذه[٤٨]، وشجعت المثقفين من الرجال على الإبداع وكان ذلك من خلال تخصيص جوائز مالية قيمة لهم[٤٩]، وألف الشيخ مير محمد علي ماهر، كتاباً اسماه "المثنوي" تخليداً وتمجيداً للأميرة المغولية جهانارا بيكم لرعايتها ودعمها للعلوم والآداب[٥٠].

والأميرة "زيب النساء بيكم" ابنة الامبراطور محي الدين اورانك زيب الكبرى، من أبرز أديبات ومثقفات نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر للميلاد، وضعها والدها تحت إشراف السيدة حافظة مريم، وهي سيدة على مستوى ثقافي رفيع، وكذلك تحت إشراف الشيخ "مولاسيد أشرف زماني"، أحد كبار الشعراء في اللغة الفارسية، ونتيجة لاتصال الأميرة زيب النساء بهم، أصبحت مؤهلة أدبياً وجعلها قادرة على نظم الشعر وتفسير آيات القرآن[٥١]، ومن العلماء الذين سعوا إلى رعايتها وتشجيعها في تحصيل المعارف والآداب، العالم الشهير "شاه رستم غازي"، اذ اصبحت عالمة بتفسير الآيات القرآنية، ولذلك قدم لها والدها جائزة قيمة

وفاءً لها على ذلك التحصيل العلمي، وبلغت قيمة الجائزة، ثلاثين ألف قطعة ذهبية[٥٢]، إضافة إلى معرفتها بالأدب والتفسير، فكانت على دراية بعلوم الرياضيات والفلك[٥٣]، وضليعة في اللغتين الفارسية والعربية، وهي ماهرة أيضاً بفنون الخط العربي، فكتبت، الشيكاست، والنستعليق والنسخ بجودة متناهية[٥٤]، وحظيت بترحيب وتقدير والدها عندما أخذت تكتب الرسائل الجيدة[٥٥]، وأنّ جزءاً كبيراً من وقتها خصّص لتحصيل الآداب والثقافة، حتى احتشد -في ذلك العصر- في بلاطها أشهر العلماء والشعراء وعيّن ميرزا خليل، أحد مشاهير العلماء في هذا العصر لخدمتها، ومن الشعراء الذين خدموا الأميرة المغولية، الشاعر ناظر علي صاحب والشاعر سامش ولي الله، وتشاندربهان (chanderbhan) والشاعر براهمن، والشاعر بهاراز (Bahraaz)[٥٦]، وبنت الأميرة مكتبة غنية، وأسّست قسماً خاصاً بالترجمة، حيث ترجمت معظم الكتب العلمية والأدبية القديمة، وتحت إصرارها تم نقل تفسير القرآن للشيخ الإمام فخر الدين الرازي من العربية إلى الفارسية، حيث قام بهذه الترجمة، مولانا شيخ الدين الأردبيلي بأمرٍ منها، ووضع عنواناً جديداً لهذا التفسير، وسمّاه "زيب التفاسير" تيمناً باسمها[٥٧]*، وهناك أعمال أدبية علمية كثيرة تعزى للأميرة زيب النساء، فثمة "زيب المنشآت"، وهو عبارة عن كتاب يحوي جميع رسائلها[٥٨]، وهناك آخر ينسب إليها سمي "ديوان مخفي"[٥٩]، بينما أعمالها الأدبية الفنية جعلها تحتل اسماً مشهوراً وسط علماء المعرفة والآداب والعلوم[٦٠].

ولأ المرأة الملكية في بلاط المغول أظهرت رغبتها واهتمامها الكبير في الآداب والثقافة، فقد سعين إلى تطويرها من خلال تأسيس وإنشاء معاهد علمية خاصة، وتوفير مرتبات مالية مجزية لتشجيع عملية التعليم وتطويرها، فزوجة الامبراطور همايون، "بيكه بيكم"، أنشأت معهداً على مقربة من ضريح زوجها[٦١]، والسيدة مهام انكا ممرضة ومربية الملك أكبر، أبدت استعدادات كبيرة لمنح عملية التعليم خدمات عظيمة، فانفقت الأموال الطائلة، وأسّست مدرسة في مدينة دلهي، وألحق بها مسجدٌ كبيرٌ، سمي "بخير المنازل"[٦٢]، ونجد الأميرة جهانارابيكم توسّس مدرسة

في مدينة اكرا (Agra) وتلحق بها مسجداً، سمي "جامع مسجد"[٦٣].

لم تكن عملية التعليم والاهتمام بها مقتصرة على الملكات في عاصمة الامبراطورية المغولية، بل أبدت المرأة في مقاطعات وأقاليم أخرى نفس الاهتمام والرغبة في تطوير العلوم، فالسيدة "بيبي راضي (Bibi Razi) زوجة "محمد شاه" حاكم جانيور، أسّست معهداً هناك، وأجزلت العطاء للمدرّسين والتلاميذ[٦٤].

٤- الأعمال الفنية

اتّجهت اهتمامات سيدات ونساء الأسرة المغولية الحاكمة نحو العديد من النشاطات الفنية، حتى قضت المرأة أكثر أوقات فراغها في ممارسة تلك النشاطات، كالرسم، وأعمال الديكور، والرقص، والموسيقى، إلى ما هنالك من أعمال تجذب رغبة المرأة إليها.

---

* من أعظم نساء البلاط المغولي أدباً وعلماً ومعرفة للقرآن الكريم وتفسيره هي الأميرة زيب النساء بيكم ابنة الامبراطور محي الدين محمد أورانك زيب، كان أبوها قد وضعها تحت رعاية وإرشاد السيدة مريم أم عناية الله الكشميري حافظة القرآن الكريم، ومكثت زيب النساء عندها تدرس علوم القرآن وتحفظ سوره وآياته حتى حفظته جميعه عن ظهر قلب، ولذلك منحها الملك أورانك زيب ثلاثين ألف دينار ذهبي كجائزة، وتدرّجت في تحصيل العلوم والآداب حتى اتقنت معظمها واتقنت الكتابة بخطوط اللغة العربية من نسخ وتعليق وشفيعة وغير ذلك، ثم قرأت الكتب المدرسية على الشيخ أحمد بن سعيد الحنفي وعلى غيره من العلماء، وكانت شاعرة مفوهة ساحرة، تقرض الشعر العربي والفارسي، واجتمع عندها من العلماء والشعراء جمع غفير مالم يجتمع عند أحد، حتى عين الملك لها ميرزا خليل أحد علماء الهند المشهورين في عصره لخدمتها، (الحسني الندوي، نزهة الخواطر، جـ٦ ص٩٢، ١٤٠، ١٤١).

(Basham, The Wounder that was India, P. 448).

وجمعت في مكتبتها نفائس المخطوطات، وأسست قسماً للترجمة وقد ترجمت في هذا القسم العديد من الكتب العلمية القديمة، ومن أهم ما أمرت بترجمته "تفسير الفخر الرازي، نقله بأمرها من العربية إلى الفارسية الشيخ صفي الدين الأربيلي، وقد أطلق على هذه الترجمة اسم "زيب التفاسير" تيمناً باسم الأميرة، كما لها ديوان شعر بالفارسية .(Mathir -i- Alamgin, P. 322)

نزهة الخواطر، جـ٦، ص١٤١،١٤١ المترجم.

أ- الرسم

كانت فنون الرسم من أكثر الفنون تسلية لنساء القصر المغولي، ومن الصعوبة بمكان القول، إنّ المرأة داخل الحريم المغولي قد أنجزت أعمالاً فنية بارزة في هذا المجال، لكن هناك بعض الشواهد والآثار تثبت انغماسهن في فن الرسم(٦٥)، فقد شاركت الملكة نورجهان زوجها بفاعلية ونشاط في اتّخاذ الرسم وسيلة من وسائل الراحة والتسلية، و بدت ماهرة ومحترفة لهذا النوع من الفنون(٦٦)، ورغم ذلك، لا يوجد عملٌ فنيٌ واحدٌ صنع أو صمم على يديها، وفي غياب المعلومات التاريخية حول هذه المسألة، فمن العسير الكشف عن البواعث والميكانيكية العامة التي سلكتها سيدات القصر المغولي.

ب- أعمال الديكور

كذلك اهتمت المرأة في عصر المغول بفنون الديكور والزينة، ووفقاً لما جاءت به الأميرة قلب الدين بيكم، فإنّ تنظيم الشوارع وتزيينها كان بإشراف وإدارة زوجة الامبراطور بابر الملكة (مهام عاتقة) غالباً (٦٧).

ولأن القصور والحدائق من الأماكن المحببة لدى السيدة المغولية، فقد بذلن الجهد في تزيين وزخرفة هذه الأماكن المميزة، من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من أجواء الجمال والأبّهة(٦٨)، والملكة نورجهان بيكم هي الأخرى أبدت اهتماماً كبيراً تجاه أعمال الديكور والزينة، فصمّمت أنواعاً عديدة من السجاد، والقماش المقصب (Brocade) والألبسة، إلى غير ذلك(٦٩)، وقدّمت طرقاً ونماذج أخرى جديدة للديكور والزينة(٧٠)، فتطريزها وأعمالها في التخريم يعود إلى حسّها الرفيع ونوقها العظيم في هذا المضمار.

جـ- فن الطبخ

اقتصرت مهام الطبخ وإعداد الأطعمة والأشربة على الموظفين الرسميين الذين تم تعيينهم في قصر الحريم المغولي، أمّا اهتمام المرأة المغولية في الطهي والطبخ فقد

كان من الأعمال التي يندر حصولها، إلاّ في بعض المناسبات الخاصة والنادرة جداً.

والملكة نورجهان كانت تحضّر الطعام في بعض الأوقات، فقد كتبت في رسالتها، "رسالة الصحابية" إنّها بنفسها كانت تحضروتضع الطعام، كالخضار والخبز وأنواع مختلفة من الأطعمة وترسلها إلى الشيخ "حضرت ميان مير"[٧١] وهناك شاهد آخر على ممارسة الملكات لهذا الفن، فزوجة اورانك زيب، الملكة "اديبورى محل"، ووفقاً لما رواه الرّحالة الفرنسي مانوشي (manucci)، فإنّها حضّرت طعاماً على البخار ودعت اورانك زيب إلى جناحها الخاص[٧٢].

د- الرقص

لم يحظ فن الرقص بتقدير واحترام المجتمع، وبسبب ذلك، لا نجد معلومات كافية من خلال المصادر التاريخية المعاصرة المتوفرة لدينا حول قيام واهتمام السيدات الراقيات بهذا النوع من الفنون، وهكذا اقتصرت مهنة الرقص على الطبقات الدنيا في المجتمع.

وعلى العموم، فقد انحصرت تأدية فنون الرقص والغناء على التجمعات الشعبية وظهرت في مناسبات عديدة، كالزواج، وأعياد الميلاد، ومناسبات أخرى وأحياناً كانت بعض الملكات يؤدين الرقص بأنفسهن للتسلية واللهوفقط[٧٣]، في حين أصدر الامبراطور اورانك زيب أوامراً بتحريم ومنع الرقص والغناء في بلاطه، لكنه سمح به في قصره؛ لتسلية ملكاته وبناته[٧٤].

كانت هناك طبقات وفئات محدودة من النساء اللواتي مارسن الرقص كمهنة[٧٥] فليس لديهن من مهنة أو أعمال سوى تأدية الرقص والغناء للتكسب[٧٦]، فكنَّ يمارسن الرقص في المناسبات والاحتفالات، فقد كتب الرّحالة بيترمندي (Peter Mundy) الذي زار الهند سنة ١٦٢٨م:-

"إنّ هناك راقصات مومسات، منهن، لالني (Lalni) وهراكن (Harkin)، وكانتشان، ودوم، حيث ينتسبن لطبقات اجتماعية مختلفة، ويستخدمن إيقاعات

موسيقية مختلفة، وأكثر ممارساتهن للرقص والغناء في الأعياد الدينية المقدسة[٧٧] بينما قال عنهنّ الرّحالة بيرنير (Bernier) بأنّهن راقصات محترفات[٧٨].

أمّا طبيعة وهيئة ممارسة الرقص والغناء فكانت على النحو التالي:

يوجد أربع فتيات جميلات يتقدمن الرقص ويتحركن حركات خفيفة لطيفة وأربع فتيات يقمن بتأدية الغناء، بينما هناك أربع آخريات يحملن الآلات الموسيقية، وهي السميال، واثنتان يعزفن على آلة موسيقية تسمى بخاواج، واثنتان آخريات يعزفن على الأبانج (Upang)، في حين كانت سيدة أخرى تحمل الربابة والڤينا والبيانترا، إلى جانب الأنوار والإضاءات التي تنتشر في ساحة الحفل، وكانت هناك امرأتان يحملن المصابيح ويقفن إلى جانب الراقصات[٧٩].

هـ- الموسيقى

كان لبعض سيدات قصر الحريم المغولي اهتمام كبيرٌ في الموسيقى، وبعضهن مغنيات ماهرات، كراتناوالي (Ratnawali) زوجة بوران مال (Purran Mal)، التي كانت تغني غناءً هندياً جميلاً[٨٠]، واشتهرت الملكة مان سنك ببراعتها في العزف على الموسيقى[٨١]، وهناك السيدة ميراباي (Meera Bai) كانت مغنية مشهورة[٨٢]، ويروى أنّ الملكة نورجهان والأميرة زيب النساء مارسن الغناء بشكل جيد، وأنّ نورجهان ألّفت الأغاني الكثيرة[٨٣]، وشبيهاً بالرقص، فقد مورس الغناء في العديد من المناسبات كأعياد الميلاد والزواج إلى غير ذلك، وقد طغت ممارسة الغناء في هذه المناسبات على الرقص[٨٤]، بشكل تطوعي إلا أنّ بعض النساء اتّخذت من الغناء مهنة رسمية، فقد عزا المؤرخ الشهير ابو الفضل طبقة وفئة المغنيات من النساء إلى التسمية "سيزداة تالي (Sezdaah Tali) كطبقة أكثر تميزاً في هذا الفن، بينما عرفت المرأة التي تغني ثلاثة عشرَ زوجاً أو خطيباً باسم "تالا"[٨٥].

٥- حفلات الولائم

كانت رتابة الحياة المألوفة لدى سيدات قصر الحريم المغولي تقطع وتشوش بسبب كثرة الزائرين والضيوف الذين يؤمون القصر، والذين اعتادوا على ملاقات الملكات والأميرات بالحفاوة والتكريم، وجرت العادة عند الملكات والأميرات المغوليات أنْ يزرن زوجات النبلاء في قصورهن ونساء النبلاء يبادلنهن الزيارة إلى القصور الامبراطورية[٨٦]، وكنَّ يحتفلن بالمطاعم والمشارب الحلوة المسمّاة "شربات"، وأوراق التنبول (betel-leaves) التي كانت مفضلة لدى السيدات الارستقراطيات في المجتمع الهندي[٨٧].

أبدى عدد من النساء ابتهاجاً وفرحاً إزاء أعداد الولائم والمأدبات، فثمة مصادر معاصرة توضح ذلك، والتي أشارت الى ما يحيط المرأة من مسرات في مناسبات الولائم، فـ (مهام بيكم) والدة الامبراطور همايون، أقامت وليمة عظيمة عندما اعتلى ولدها عرش الامبراطورية المغولية في الهند سنة ١٥٣٠م، وكان تنظيمها لهذه الحفلة مدهشاً، إذ أمرت كافة الطبقات العليا والجيش بالإشراف على زخرفة وتزيين القصور، وجعلت قصرها من أكثر القصور جمالاً وبهاءً، إذ زينت القصر الملكي بالوسائد والمخدات الذهبية، حيث تدلت في ردهات القصر، وتحت إشرافها، أقيمت خيمٌ كثيرة على شكل السرادقات الأوروبية، وقامت بتسييجها بالذهب والمجوهرات، بينما يتساقط رذاذ ماء الورود (مطر خفيف)، وتنتشر الشمعدانات بداخلها، فمع كل هذه التجهيزات التي سعت إلى توفيرها الملكة، فقد أقامت وليمة غاية في العظمة والأبّهة والخيلاء[٨٨].

وفي عام ١٥٣٢-١٥٣٣م (٩٣٨هـ) اقترحت السيدة المغولية خازندا بيكم، عمّة الامبراطور همايون، الاحتفال بمناسبة زواج هندال (Hindal) وعملت الولائم في هذه المناسبة، وكان يصادف مناسبة عيد الصوفية الباطنية[٨٩]، (خازندا بيكم) هي أول سيدة تنظم حفلاً ولائمياً بمناسبة عيد الباطنية (الصوفية) (mystic-feast)[٩٠]، وأحتفل بهذه المناسبة كان في غاية الروعة والجمال، وخلال الاحتفال كانت تتدلى

المذهبات واللؤلؤ، وتنتشر العربات الذهبية والفضية[٩١].

وفي عام ١٥٤١م، وأثناء تواجد الملك همايون في مدينة بات(Pat) قامت الملكة دلداربيكم إحدى زوجات الملك بابر، بتنظيم حفلة كبيرة، دفعت بجميع سيدات القصر المغولي للحظور والمشاركة[٩٢]، وكذلك زوجت همايون بالسيدة حميدة بانوبيكم في عام ١٥٤١م، وعملت حفل زفاف فخمة لهمايون وعروسة الجميلة[٩٣].

كانت السيدة مهام انكا (maham Anga) مربية الملك جلال الدين أكبر شغوفة بإقامة الولائم والحفلات، ففي عام ١٥٦١م، نظمت حفلاً عظيماً بمناسبة زواج ولدها[٩٤]، وفي ذات العام رتبت احتفالاً كبيراً حضرة عدد من النساء[٩٥]

أمّا الولائم التي كانت تقام في مناسبة وزن الامبراطور القمري والشمسي في يوم ولادته، كانت في الأغلب في بيوت والدات الملوك[٩٦]، وفي عهد الملك جهانكير، أقامت زوجته الملكة نورجهان عدداً من الولائم والاحتفالات، في العام ١٦١٧م دعت إلى وليمة عظيمة في أحد بيوتها، وسط بركة كبيرة[٩٧]، وفي نفس العام، احتفلت بالانتصارات التي حققها الأمير (خُرم) في مقاطعة ميوار (mewar)، وأقامت وليمة كبيرة[٩٨]، وبعدما أتمت بناء بيتها وحديقتها عام ١٦٢٠م في منطقة نورساري (Nur-Sari)، نظّمت حفلة كبيرة احتوت على وليمة مميزة[٩٩]، وأهدت جهانكير مجوهرات نادرة ثمينة.

وفي عام ١٦٢١م، عندما غادر جهانكير إلى حديقة نور افشان ومعه عددٌ من النساء، و تعود ملكية الحديقة للملكة نورجهان، أقامت حفلة كبيرة على شرف الامبراطور[١٠٠]، ويوم تشافى جهانكير من مرض ألم به، أقيمت حفلة بمناسبة عيد ميلاد الملك القمري، ووُزن الملك في هذه المناسبة، وأمرت نورجهان وكلاءها باقامة الاحتفالات والولائم[١٠١]، واهتمت بنفسها في هذه المناسبة أكثر من بقية المناسبات، وقدمت الهدايا والأموال في نهاية الحفل، وقد بلغت تكاليف هذا الاحتفال مائتي ألف روبية عدا الهدايا.

وبعد الفترة التي برزت فيها نشاطات نورجهان الاجتماعية، بدا اهتمام المرأة

الملكية في قصر المغول بإقامة الولائم والاحتفالات يتناقص تدريجياً، ولم يظهرْ أي شكل من أشكال النشاطات الاجتماعية لسيدات البلاط المغولي، إلاّ في مناسبة واحدة، هي وفاة الأمير داراشيكوه سنة ١٦٥٨م، إذ نظّمت الأميرة روشانارابيكم، شقيقته الصغرى، حفلاً ووليمة كبيرة[١٠٢]، والمصادر التي أشارت إلى مثل هذه الاحتفالات هي نادرة على وجه الخصوص.

كما أظهرت السيدات النبيلات اهتماماً بتحضير الولائم والمأدبات، فزوجة جعفر خان نظمت وليمة للملك اورانك زيب في عام ١٦٦٥م [١٠٣]، ولم تقتصر عمل المرأة على تنظيم الولائم وإقامة الاحتفالات فحسب، بل كنّ يشاركن بنشاط كبير في هذه الاحتفالات، وجعلن ذلك جزءاً من سلوكهن الاجتماعي ونمطاً من أنماط الحياة الاجتماعية في عصر المغول، ونلاحظ أنّ عيد الصوفية (الباطنية)، وزواج هندال، مناسبتان حضرها جمع غفير من النساء من شتى الفئات[١٠٤]، ويوم دعت الأميرة دالدار بيكم إلى حفلة عام ١٥٤١م، حضرتها كافة نساء البلاط المغولي[١٠٥].

وكان من اهتمام المرأة في هذا العصر، حضور الولائم المقامة في مناسبات ولادة الأمراء والأميرات، وأعياد الميلاد، والختان (Circumcis) والزواج[١٠٦]، فعندما عادت حميدة بانوبيكم من مدينة قندهار في أفغانستان سنة ١٥٤٦م، أقامت حفلاً كبيراً بمناسبة ختان الأمير أكبر، حضرته معظم الملكات والأميرات [١٠٧]، ويوم زواج الأمير شهريار، أُقيمت وليمة النكاح في منزل اعتماد الدولة في الوقت الذي حضرت معظم نساء القصر مع الملك جهانكير[١٠٨].

٥- الأعياد والمناسبات

من النشاطات الاجتماعية التي شاركت بها سيدات القصر الملكي المغولي الاحتفال بالأعياد، لا سيّما عيد النيروز، فإلى جانب مشاركة الملكات ونساء البلاط، شاركت بنات ونساء النبلاء في هذه المناسبة، وكن يجلبن التحف الثمينة وبعض الأعمال الفنية الرائعة، ويقمن محلات خاصة لبيع كل هذه الاشياء، ويقوم الامبراطور

بصحبة الأمراء والأميرات لابتياع ما يختارونه من السلع المعروضة، علماً بأنّ معظم هؤلاء النساء كنّ يشاركن باحتفالات الأعياد، وهنّ يرقصن ويغنين، وكان يستغرق الاحتفال بين أربعة إلى خمسة أيام، هذا ما أشار اليه معظم الرّحالة الأجانب الذين زاروا امبراطورية المغول في هذه الفترة(١٠٩)، وروي بأن سوقاً خاصاً قد أقيم للاحتفالات سمي "مينا بزار" (Mina-Bazar) الذي أُنشئ أيام الملك جلال الدين أكبر واستمر حتى عصر الملك شاهجهان، ولم تتطرق المصادر التاريخية إلى مثل هذه الممارسات بعد ذلك.

وعيد النيروز (السنة الجديدة) من أكثر الأعياد أهمية واحتفاءً وخيلاء وكبرياء عند ملوك المغول، وهذا العيد قد أخذ من النساء اهتماماً بالغاً، واعتادت الملكات والأميرات على حضوره كل عام، وخصص لهن أماكن مميزة وقريبة من موقع الاحتفال، لمشاهدة كل مراسيم الاحتفال(١١٠) ومن ثم تأتي رئيسة سيدات القصر مقدّمة التهاني للملكات والأميرات، إذ يرحبن بها أجمل ترحيب، ويغادرن محملات بالهدايا الثمينة وعرفت هذه الهدايا باسم "كتشري" (Kichri)، وهي خليط من الذهب والفضة والأحجار الكريمة النادرة(١١١).

٦- الاستجمامات الخارجية.

أ- الصيد.

لم يغب عن ذهن نساء البلاط المغولي الاهتمام بوسائل الراحة والاستجمام والتمتع خارج القصر، فلدينا وقائع تاريخية في عهد المغول، تشير إلى رغبة المرأة الكبير في رحلات الصيد، فقد شاركن الملوك في حملات صيد عديدة سمّيت بـ"شيكار" (Shikar)، لأشباع رغباتهن دون مخاطرة، فقد خصصوا أماكن لإدخال الحيوانات، قربهنّ، حيث تقوم النساء باقتناصها، وفي إحدى المناسبات في مقاطعة الكجرات وبحضور سيدات البلاط المغولي، تمَّ قتل ١٥٥ حيواناً(١١٢)، وفي مناسبة أخرى، وعندما توجه الملك جهانكير سنة ١٦١١ للصيد في منطقة "سومناكار"

(Somnagar)، التحق به كثير من نساء القصر، وقام بتوزيع أعداد كبيرة من بقر الوحش على النساء لذبحها[١١٣].

وظهرت الملكة نورجهان أكثر سيدة تتقن فن الرمي وعلى معرفة ودراية كبيرتين بضروب الصيد، ففي عام ١٦١٦م، اصطادت عصفوراً جميلاً زاهي الألوان وهو طائر، ويسمّى بـ "قريشا" (Qrisha)[١١٤]، وفي عام ١٦١٧، وأثناء توجّه الملك جهانكير للصيد بصحبة النساء، تمّ تحديد أربعة نمور للصيد، حيث قامت نورجهان بعدما أذن لها جهانكير بقتلها جميعاً[١١٥]، وامتلاء جهانكير غبطة وسروراً لأنها نجحت في قتلها، ومنحها هدية قيمة، عبارة عن زوجين من الأساور اليدوية، ومبلغاً من المال ـ ألف قطعة أشرفية (ذهبية) ـ وفي إحدى المناسبات الأخرى أبلغه الصيادون عن وصول بعض النمور، فطلب الامبراطور منهم محاصرتها والإحاطة بها، لأن الملك قد أخذ على نفسه نذراً بأن لايمش الحيوانات وأن لا يقتلها، ود نورجهان لقنصها، فقامت نورجهان ورمت النمور وقتلتها[١١٦].

كانت هواية الصيد من الهوايات العسيرة والشاقة على سيدات البلاط المغولي، والنساء عموماً، بحيث لم تلق منهن ذلك الاهتمام الكبير، باستثناء بعض نشاطات الملكة نورجهان التي تعوّدت أنْ ترافق زوجها في رحلات الصيد وغيرها، بالإضافة إلى ذلك، فقد مارست المرأة هوايات أخرى، كصيد الأسماك رفقة الخصيان[١١٧].

ب- الحملاتُ العسكريّةُ

تَميّز العصر المغولي بخصوصيّة إشراك واصطحاب المرأة إلى ميادين القتال وحضور المعارك، ويبدو أنّ ذلك تقليداً قديماً ورثه أباطرة المغول في الهند عن أجدادهم القدماء، وظلّوا محتفظين بهذه التقاليد في زمانهم، إذ رافقت المرأة المواكب الملكية في الحملات العسكرية[١١٨]، وقد لاحظ الرّحالة الأوروبي(كاريري Careri) الذي زار الهند سنة ١٦٩٥ ملازمة المرأة للملوكِ والأمراءِ[١١٩]، وكتب مانوشي كذلك

أنّ أميرات وسيدات البلاط المغولي يتحرّكن في مؤخرة الجيش يوم الزحف[١٢٠]، أمّا في العام ١٥٢٦م، عندما ذهب الملك بابر إلى دلبور (Dholpur) وبرفقته مهام بيكم وقلب الدين بيكم[١٢١] وحينما أرسل هندال ضد شير خان حوالي عام ١٥٣٤م، كان يصطحب معه المغوليات: دلداربيكم، وكلتشيرابيكم وزوجات عددٍ من الأمراء[١٢٢]، وأثناء الزحف نجح في القضاء على بعض قوات العدو، وهو حريص كل الحرص على حماية النساء اللواتي برفقته، وأمرهن بالتّحرك تجاه مدينة لاهور، وفي سنة ١٥٣٩م، عندما كان الملك همايون يصارع ويقاتل قوات شيرخان في موقعة تشانسا (Chansa)، تعرّضت الحريم المغولي إلى خسائر فادحة، وقُتلت بعض السيّدات المرافقات للملك في أرض المعركة[١٢٣]. كذلك اصطحب الملك همايون السيدة المغولية حميدة بانوبيكم معه عندما غادر لإخضاع مالديو (Maldeo) سنة ١٥٤٢[١٢٤]، وفي عام ١٥٧٤م، عندما ذهب الملك أكبر في حملة عسكرية تجاه الشرق، رافقه عدد من النساء[١٢٥]، وعند تحريكه حملة عسكرية نحو الدكن جنوب الهند سنة ١٥٩٩م، اصطحب معه عدداً كبيراً من النساء[١٢٦].

هذا التقليد الذي مارسه أباطرة المغول في إفساح المجال أمام المرأة للمشاركة في الحملات العسكرية ظل شائعاً حتى العصور المتأخرة، وقد سلك المغول مسلكاً خاصاً بالنساء في حالة اصطحابهن مع الحملات العسكرية، فأغلب النساء ركبن الفيلة، التي تحيط بها حراسات مشددة[١٢٧]، ويوم الزحف، وبعد العرض الذي يقدمه الفرسان، يأتي الامبراطور، ثم الملكات، والأميرات والحريم، تحملهن الفيلة التي وُضِعَ عليها خشبية غطّت النساء (هوادج) وقطع من القماش تمنع الناس في الخارج من رؤيتهن، وهنَّ قادرات على رؤية الآخرين، وألحقت الملكات بسيدات يركبن الخيول ويرتدين العباءات الفضفاضة الكبيرة[١٢٨].

جـ- النُّزه والرّحلاتُ القصيرةُ

نظّمت المرأة في قصر الحريم المغولي رحلات استجمامية قصيرة لغايات التنزه والاستمتاع، وارتدن المواطن التي تستحق المشاهدة، وطفن في الحدائق

والمنتزهات والعمارات إلى غير ذلك.

ونلاحظ في عهد الملك ظهير الدين محمد بابر، أنّه قرّر بعد وفاة ولده ألوار (Alwar) الذي صُعِق الجميع بوفاته وساد الحزن والآسى والكآبة، خاصة الأميرة دلداربيكم، قرر اصطحابها إلى رحلة استجمامية إلى دلبور لتغيير الأجواء الحزينة[١٢٩]، وفي عهد الامبراطور همايون، أمّت العديد من النساء الرواج الذي أقيم على التلال، ليقضين ليلتهن بالتمتع باطراف الحديقة مع الامبراطور[١٣٠]، وفي بعض المناسبات، قامت المرأة بزيارة الأماكن الجميلة، لا سيّما شلالات المياه عند منطقة "فرز" (والتي تقع ما بين لامغان وبلخ في أفغانستان) وذلك في الساعات الباكرة من الصباح[١٣١] وكثيراً ما كان يقوم همايون بارتياد حدائق البرتقال الجميلة، وذات مرّة عام ١٥٥٠م رافقت عددٌ من السيدات أمثال: بيكا بيكم، وماه تشوتشال بيكم وحميدة بانوبيكم وغيرهن من سيدات القصر الأخريات[١٣٢].

أمّا في عهد الامبراطور جلال الدين أكبر فقد رافقت المرأة المغولية الامبراطور إلى الأماكن الجذّابة، ففي عام ١٥٨١م، وأثناء عودة الملك أكبر من مدينة كابول، قام بزيارة حديقة "باغ صفا" وبرفقته عدد من نساء القصر[١٣٣]، أمّا عصر جهانكير، فقد حفل بالشواهد والأمثلة على مشاركة المرأة بهذه الزيارات والرحلات القصيرة، وفي سنة ١٦٠٧م، نلاحظ أنّ حريم القصر المغولي رافقن الملك أكبر في زيارته إلى مدينة كابول، وأُقيم احتفالٌ بهيجٌ في حديقة شهرارا (Shahrara)[١٣٤]، وأقيم احتفال آخر سنة ١٦١٥م على ضفاف نهر آنا سكر (Ana Sagar)، وأمر جهانكير حينها بإضاءة التلال بالمصابيح، حيث يتواجد عدد كبير من النساء[١٣٥]، وفي العام ١٦١٧م ركب جهانكير مع نساء القصر، وطاف بهنّ وهو يشاهد ويراقب البلاط والعمائر في "شكرتانك" في مقاطعة ماندو (mandu)[١٣٦]، وسنة ١٦٢١م، قام الامبراطور برحلة مع نساء البلاط إلى "نورافشان" وهي إحدى الحدائق التي تمتلكها نورجهان، وهناك أقامت لهم الملكة حفلاً غنائياً راقصاً[١٣٧].

ويوم تعافى الامبراطور محي الدين اورانك زيب من مرض ألمّ به سنة

١٦٦٤م، قام بزيارة لمقاطعة كشمير ومدينة لاهور، ورافقته في رحلته الأميرة "روشانارا بيكم"[١٣٨]، على أنّ الاهتمام بالزيارات الترويحية والرحلات الاستجمامية استمرت حتى العصور المتأخرة لعصر المغول، وعندما دعت روشان الدولة إلى حفلة ووليمة، جاءت نواب قدسية ومعها عدد من النساء لمشاهدة الحفل الذي أُقيم في حديقة "لاهدري دروازه" وأنّ نساء النبلاء، كزوجة اعتماد الدولة، وقمر الدين خان، ونصرت خان، شاهدن الحفلة واستمتعن ايّما استمتاع داخل الحديقة[١٣٩].

د- الحج وزيارة الأماكن المقدّسة.

علاوة على عناية المرأة بالنزه والرحلات الاستجمامية، فقد أبدت رغبة واضحة تجاه زيارة الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة المنورة، أو حتى زيارة أضرحة الأولياء والشيوخ، ولذلك سعت المرأة المغولية إلى وضع خطط لرحلات طويلة ومكلفة كثيراً، وتشير المصادر الأولية إلى مثل هذه الزيارات البعيدة، وتحديداً عندما حصلت السيدة "سلطانام (زوجة نظام الدين علي، حاكم پارلاس) على إذن من الملك همايون يسمح لها بزيارة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة المنورة، يرافقها السيدة قل برق بيكم[١٤٠]، وإنّ الملكة "بيكه بيكم" زوجة همايون، الشهيرة باسم حاجي بيكم، وصلت حاجة إلى مكة والمدينة، في حين أشرف الملك على هذه الزيارات ومنحها رعاية وتسهيلات كبيرة جداً[١٤١]، وفي العام ١٥٧٥م، أشرف الملك أكبر على رحلة الحج التي قامت بها قلب الدين بيكم، يرافقها عدد من نساء القصر والنبيلات[١٤٢]، أمّا النساء اللواتي رافقن قلب الدكن بيكم، فهنّ: سليمة سلطان بيكم، حاجي بيكم، فلزار بيكم ابنة كمران خان، وسلطان بيكم زوجة أشكارى خان، وكلثوم خانوم الابنة الكبرى لقلب الدين بيكم، وجلنار آغا زوجة الملك بابر، والسيدة بيبي شاهي[١٤٣].

ولقد سادت في مجتمع الهند الإسلامي - أيام حكم المغول - ظاهرة زيارة أضرحة الأولياء والعلماء والمشايخ، وكانت أكثر انتشاراً وسط النساء، إذ حرصن أشد الحرص على تأدية مثل هذه الزيارات - أحياناً مع الملوك وأحياناً مع الأمراء - أو وحدهن، فيوم غادر الملك جلال الدين أكبر مشياً على الأقدام بزيارة لضريح "خواجه

معين الدين" في اجمير، كان برفقته عدد من النساء اللواتي شاركنه في هذه الزيارة المباركة[١٤٤]، وبعدما عادت قلب الدين بيكم ومَنْ معها منَ النساء من رحلة الحج إلى مكة والمدينة المنورة، قامت بزيارة لضريح الشيخ معين الدين[١٤٥] للتّبرك به، وفي سنة ١٦٠٧م في عهد الملك جهانكير، قامت رقية سلطان بيكم ابنة الامير هندال، بزيارة إلى ضريح والدها الواقع في مدينة كابول[١٤٦]، وقد رافق الملك الكثير من نساء قصر الحريم المغولي أثناء زيارته لضريح الملك همايون، وضريح الملك جلال الدين أكبر، وضريح الشيخ نظام الدين تشتي، وذلك سنة ١٦١٩م[١٤٧]. أمّا جهانارا بيكم وبعد شفائها من حريق أصاب جسدها سنة ١٦٤٤م، توجّهت بزيارة إلى ضريح الشيخ خواجه معين الدين تشتي في مدينة أجمير[١٤٨].

٦- طبيعة الرحلات والسفر

تمتعت ملكات وأميرات وسيدات قصر الحريم بضروب مختلفة من وسائط ووسائل السفر والرحلات، فاستخدمت المحفّات المصنوعة من القماش والتي يحملها ثمانية رجال على أكتافهم، هذه المحفّة مغطاة بالنسيج الصوفي المتين، وفي حالة استخدام المحفّة لامرأة ثرية، كانت الأقمشة تصنع من المخمل المطرز[١٤٩]، وبعض النساء كن يسافرن بوساطة ما يعرف بـ "تشاودولس (Chaudoulis)"[١٥٠]، وهو عبارة عن صندوق محكم يحمل على أكتاف رجلين على الأقل[١٥١]، وكان هذا الصندوق مزركشاً ومزخرفاً مغطى بالشباك الحريرية[١٥٢]، أمّا المحفّات الرحبة الواسعة فتتدلى بين جملين أو فيلين وتسمّى بـ "خاجواه" (Khajwah)[١٥٣] فكان استخدامها على نطاق واسع بوساطة النساء.

أمّا في فصل الصيف فقد استخدم الخُصّ، ومركبات ذات نوعية خاصة، على يد الأميرات المغوليات عند زيارتهن لمنازل النبلاء، وتدفع من قبل نساء متخصصات بهذا الغرض[١٥٤]، وكان لهذه المركبة عجلات، ومكان يتسع لشخص واحد فقط، وقد تحولت النساء عن استخدام المحفّات إلى استخدام المراكب الخاصة ذات العجلات، حيث يحملن إلى أيّ مكان يرغبن الذهاب إليه.

كما واعتادت المرأة في عصر المغول على ركوب الفيلة كوسيلة آمنة ومريحة للسفر(١٥٥)، ولقد زيّنت هذه الفيلة بالمناظر الخلاّبة ووُضِعَ عليها الهودج الجميل حيث تركب المرأة(١٥٦). وكذلك استعملت الحافلات (على النمط الإنجليزي) كوسائط لنقل السيدات من مكان إلى آخر(١٥٧) وعقب وفاة جهانكير، أصبحت ظاهرة استخدام تلك الحافلات عملاً دارجاً وشائعاً، كذلك، استخدمت الفيلة والجمال والبغال وبعض الحيوانات الأخرى كوسائط نقل في عصر أباطرة المغول، لا سيّما نقل الحريم المغولي(١٥٨)، وخلال سفر المرأة، خصص لمرافقتهن الخصيان، وحرّاس من النساء، وأحد الموظفين النبلاء (١٥٩).

أمّا خلال القرن السابع عشر الميلادي فقد ازدادت نسبة حاشية الملكات والأميرات المغوليات، ممّا جعل الاقتراب منهن أمراً في غاية الصعوبة، حتى سائس الفيل فرض عليه تغطية رأسه بقماش خشن(١٦٠)، وأكّد ذلك الرّحالة الفرنسي بيرنير (Bernier) الذي كتب يقول: "كنّ في موضع يتعذّر على الرجال مشاهدتهن"(١٦١) أمّا الخصيان والعساكر فكانوا يبعدون أيّ شخص يعترض مسير الموكب، وهذا عُمل به لدى الجيش المغولي، حيث تعرف الحركات الغريبة التي تحدث عادة حول حافلات الملكات والأميرات(١٦٢).

وعن مشهد الأبهة والعظمة التي تحيط حريم البلاط المغولي، فيوضحها الرحالة مانوشي وبيرنير بوصف جميل، فيروي مانوشي:

"عندما تغادر الملكة (البيكم) قصرها متوجّهة إلى البلاط الملكي، كانت تتقدم بأبّهة وخيلاء عظيمة، يرافقها نفرق من سلاح الفرسان والمشاة والخصي، يحيطون بها بشكل محكم، يدفعون الناس الذين يسيرون امام الموكب، وهم يصرخون بأعلى أصواتهم، ويدافعون بعنف دونما تقدير أو اعتبار لأحد، ونفس الشيء يحصل للنسوة التي يختلط دماؤهن بدماء المغول"(١٦٣). وفي موقع آخر يشير الرحالة مانوشي إلى أنّ حركة النساء كانت بطيئة بينما يقوم مجموعة من الرجال برش الماء على جوانب الطرقات لإزالة الغبار، في الوقت الذي وضعت الأميرات بمحفّات يعلوها القماش

الثمين أو شبك من الذهب، المنقوشة أحياناً بالأحجار الكريمة أو الزجاج الأبيض الناصع[١٦٤].

أمّا الرّحالة بيرنير فقد دوّن في رحلته إلى الهند، أنّ روشانارابيكم ركبت فيلاً جميلاً يتوهج نوراً وضياءً من الذهب والألوان الزرقاء السماوية التي نُقشت عليه، يتبعه خمسة أو ستة فيلة محمولة بالنساء تسير على محاذاة من فيل الملكة، بينما فيل الملكة محاط بمجموعات نسائية من الخدم والحشم، أغلبهن من التتاريات والكشميريات، يركبن الخيول والى جانبهن يسير الخصيان على الخيول، بينما المشاة يحملون عصي الخيزران يتقدمون الأميرات، ومن مهام الجناحين الأيمن والأيسر إخلاء الطريق أمام حركة الموكب، يمنعون الناس من الاقتراب من موكب الملكة بكلّ عنف وقوة، وإلى جانب بطانة روشانارا بيكم تظهر نساء صاحبات سلطة داخل البلاط، وتبدو عليهن أبهة وعظمة الأميرات، بحيث كن يمشين ثلاثاً ورابعتهن الأميرة وهكذا، حتي تمر خمس عشرة أو ست عشرة سيدة بعظمة وجلال[١٦٥]، كذلك كانت زوجات النبلاء يتحركن بنفس الهيئة التي تمارسها الأميرات، بجلال ووقار، ومثال ذلك زوجة جعفر خان[١٦٦].

هوامش الفصل السادس

1- Kaumudi, P. 43.

2- Stuart, Gardense of the great mughals, P. 220.

3- Kaumudi, P. 42.

4- Stchoukine, Art of Bikaner, PP. 174-175.

5- Manucci, Vol. I, P. 219.

6- Bihari Satsai, Dohas, PP. 358-359.

7- Kaumndy, PP. 26-27.

8- Sarkar, Studies, P. 82.

9- Kanmudi, PP. 26-27.

10- Dinyon, The Court Painters of grand mughals, Vol. VII, P. 18.

11- Manucci, Vol. II, P. 341.

12- Kaumudi, P.55.

13- Jahanar, by Yazdaui, Journal of the grand Historical Society, Vol. II, P. 163 (1912).

14- Risala-i-Sahibya of Jahanara Begam, Aligarh Historical Society, Vol. II, (1912), P. 163.

15- B. Hasrat, Dara Shikoh-Life and works, PP. 82-83.

16- Ibid

17- Ibid, P. 84

18- M. A., P. 318

19- Ibid, P. 323.

20- Zubdatunnisa, another daughter of Auragzeb employed herself in adoring the Creater and thus gaining boundless reward. M. A., P. 323.

21- S. K. Banerji, Some of the women Relations of Baber, (Indian Culture, Vol. IV, 1937), P. 53.

22- Manucci, Vol. II, P. 331.

23- G. H. N. (Bev.), P. 121.

24- Monserrate, P. 203.

25- Law, P. 203;Jafar, P. 190.

26- Sarkar, Studies, P. 301.

27- Ibid.
28- Manucci, Vol. II, P. 331.
29- Sarkar, op-cit, P. 301.
30- Bazam, P. 436.
31- G. H. N. (Bev.), P. 76.
32- Bazam, P. 439.
33- Beni Prasad, Afew Aspects of Education and literature under the great mughals, vol. X, 1923), P. 48.
34- Bazam, P. 440.
35- P. N. Chopra, Society and culture in mughal Age, P. 124.
36- Bazam, P. 44.
37- Beni-prasad, op-cit, P. 48
38- P. N. Ojha, Some Aspect of Northern Indian Social Life, P. 132.
39- Bazam, P. 443.
40- Law, P. 202, Jafar, P. 195.
41- J. B. Chudhury, muslim patronage to sanskrit Learning, Vol. I, P.77.
42- Ahkam-i-Alamgiri, P. 151-173.
43- Sarkar, Studies, P. 22.
44- Lahori, II, P. 629.
45- mirat-ul-Istila, by Anand Mukhalis, F.122.
46- Law, PP. 203-204.
47- Bazam, P. 448.
48- Law, P. 203.
49- M. A. Ansari, The court life of the mughals, P. 119.
50- Ibid.
51- H. s. Ahmad, Zebunnisa Begam and Diwani-makhfi, (J. B. O. R. S. vol. XIII, 1927) P. 42.
52- M. A., P. 322; Sarkar, P. 79.
53- magan lal, Diwan of Zebunnisa, P.8.
54- M. A, P. 322; Law, P. 204.
55- Ansari, op-cit, P. 119.
56- magam lal, op-cit, P.9.
57- M. A., P. 322; Yusuf Husain, Educational System in Medieval India, (Islamic Culture, Vol. XXX, 1956), P. 121.

58- H. S. Ahmad, op-cit, P. 42.
59- Sarkar, Studies, P. 80.
60- Kaumudi, P. 56.
61- Banerji, Humayan Badshah, Vol. II, P. 317.
62- A. N. (Bev.) Vol. II, P. 313.
63- Ysuf Husain, op-cit, P. 177.
64- Law, P. 101; Jafar, P. 128.
65- Kaumudi, P. 58.
66- Stchoukine, Plate VII.
67- G. H. N. (Bev.), P. 114.
68- Ibid. PP. 179-180.
69- Ain, Vol. I, P. 510.
70- Ibid.
71- Risala-i-Sahibiya of Jahanara Begam.
72- Manucci, vol. III, PP. 259.
73- Ibid, II, P. 335.
74- Ain, Vol. II, P. 335.
75- Thevenot, P. 71.
76- Peter mundy, Vol. II. P. 216.
77- Bernier, P. 273.
78- Ain, VOl. III, P. 273, جميعها الآت موسيقية مشهورة في الهند
79- Abbas Khan, Tarikh-i-sher Shahi (E. and D.) vol. IV, P. 402.
80- Umesh doshi, Bhartiya Sangeet Ka Itihas, P. 204.
81- Ibid
82- Ibid, PP. 264-334
83- Boston, Catalogue of Indian Collections in the museum of fine Arts, Plates, III, P. 174.
84- Ain, III, PP. 271-272.
85- Tavernier, Vol. I, P. 392.
86- Kaumudi, P. 42.
87- G. H. N. (Bev.), PP. 113-114.
88- Ibid, PP. 117-118.
89- Ibid, PP. 118-124.

90- G. H.N. (Bev.) PP. 126-127.

91-Jauhar, Tazkirat-ul-wagiat, P. 30.

92- Ibid, 31.

93- A. N. (Bev.) vol. II, PP. 204-205.

94- Ibid, II, P. 221.

95- Ibid, II, P. 558.

96- Tuzuk (R. and. B.), Vol. I, PP. 385-386.

97- Ibid, P. 397.

98- Ibid, P. 192.

99-Ibid, PP. 199-200.

100- Mauncci, I, P. 163.

101- Tuzuk (R.+B.), II, P. 359

102- Tavernier, Vol. I, P. 389.

103- G. H. N. (Bev.), PP. 118-124.

104- Jauhar, op-cit, P. 30

105- manucci, II, PP. 343-344.

106- G. H. N. (Bev.) PP. 179-180.

107- Tuzuk, Vol. II, P. 202.

108-Peter mundy, Vol. II, P. 238. Manucci, Vol. I. P. 195; Bernier, P. 272

109- Monserrate, PP. 175-176; Delaet, PP-100-101 Coryat, Early Travels, P. 278.

110- Tabgat, Vol.II, PP. 559-560.

111- Tuzuk, Vol. I,PP. 129-130.

112- Ibid, PP-203-204.

113- Ibid, P. 348.

114- Slirazi, Fath nama-i-Nurjahani Begam, PP. 31-32.

115- Tuzuk, Vol. II, P. 105.

116- K. Kan, P.99.

117- W. Irvine, The Army of the Indian mughals, It's organization and Admimistration,PP. 200-204.

118- Careri, P. 184.

119- Manucci, Vol. II, P. 74.

120- G. H. N. (Bev.), P. 102.

121- Ibid, P. 143.

122- Ibid, PP. 136-137
123- Ibid, P. 154.
124- A. N. (Bev.) vol. III, PP. 116-122.
125- Ibid, P. 114.
126- Irvine, Op-cit, P. 200.
127- Ibid, PP-204-205.
128- G. H. N, PP. 103-104.
129- Ibid, P. 188.
130- Ibid,P. 190.
131- Ibid, P. 191.
132- Ibid, PP. 195-197.
133-A. N. (Bev.) Vol. III,P. 543.
134-Tuzuk, Vol. I, P. 107
135- Ibid, P. 298.
136-Ibid, P. 384.
137- Bernier, P. 351.
138- Ashub, Vol. I, FF. 51-52.
139- G. H. N., P. 169.
140- A. N. Vol. II, PP, 366-367.
141- Tabgat, Vol. II, P. 472.
142- Ibid
143- A. N., II, PP. 476-478.
144- Badauni, Vol. II, P. 320.
145- Tuzuk, Vol, I, P. 110.
146- Ibid, II, PP. 101, 109.
147- Amal-i-saleh, Vol. II,P. 422.
148- Bernier, P. 372.
149- Ibid, 371.
150- Manucci, II, PP. 72-73.
151-Peter mundy, Vol. II, P. 191.
152- Tavernier, Vol. I, PP. 392-93.
153- Bernier, PP. 373-374.
154- Ibid, P. 372.

155- Voyage to surat by Ovington, P. 191.
156-monserrate, P. 79.
157- Manucci, Vol. PP. 72-73.
158- Bernier, P. 373.
159- Ibid, 374.
160- Manucci, Vol. I, P. 220.
161- Ibid, P. 230.
162- Bernier,PP. 372-373.
163- Manucci, Vol, I, P. 220.
164- Manucci, Vol. I, P. 221.
165- Bernier, P. 373.
166- Manucci, Vol. I, P. 222.

الفصل السابع

بعض مظاهر النشاط الاجتماعي والثقافي لسيدات البلاط الملكي-٢

الفصل السابع

بعض مظاهر النشاط الاجتماعي والثقافي لسيدات البلاط الملكي-٢

١- الأعمال الخيريّة

أبدت غالبية سيدات البلاط المغولي، لا سيّما اولئك اللواتي اتّصفن بالخلق القويم والإحسان وعمل الخير، رغبة كبيرة تجاه الأعمال الخيرية في المجتمع الهندي، وجعلت المرأة ممارسة هذه الاعمال جزءاً هاماً من وظيفتها التي تأخذ الطابع الإنساني غير الرسمي، فبعدما دُفِنَ الملك بابر سنة ١٥٣٠م، أقيم حفلٌ تأبينيٌّ قدّمت خلاله زوجته الملكة مهام بيكم اعطيات ومنحاً كثيرة[١]، وهناك سيدة أخرى مارست الأعمال الخيرية هي "جي بيكم" زوجة الملك همايون، فأثناء ،سيرها إلى مكة والمدينة لتأدية مناسك الحج، وزّعت المنح والهبات على المواطنين من سكان المدن والقرى التي تمر بها[٢]، وخلال فترة الرُّمْلة (Widowhood) التي عاشتها هذه السيدة المغولية، تفرغت فيها لعمل الخير وتقديم الإحسان للناس المحتاجين وظلت توزع الهبات والأعطيات، وخصصت خمسة آلاف فقير تولّت إعطاءهم صدقات ثابتة مستمرة[٣]، ويوم عادت قُلب الدين بيكم من الحج سنة ١٦٨٥م، وزّعت على الناس أموالاً كثيرة[٤].

أمّا أعمال الملكة نورجهان الخيرية فكانت غير محدودة، إذ ساعدت البنات في

زواجـهن، وذلك بتـقـديم المهـور والأمـوال لهن[٥]، وجـمـعت في قـصـرهـا عـدداً من الفتيات، وزوجتهن جميعاً للجند الذين يعيشون في بلاطها، كما خصصت ثلاث آلاف روبية كصدقات للفقراء[٦]، والملكة ممتاز محل، هي الأخرى امرأة فاضلة ومحسنة، وكثيراً ما كانت تضع بين يدي الامبراطور الحالات المحتاجة والفقيرة[٧]، ووفقاً لاهتمامتها في هذا المضمار، واصلت عملها حثيثاً في سبيل المنح والأموال للفقراء، ووفقاً لتوصياتها حصل عدد من هؤلاء الفقراء على مساعدات مالية من الدولة، وممن حصل على دعم المغول وعونهم، السيد حكيم ركن كائي، اذ حصل على مبلغ (٢٤) ألف روبية، وذلك بسبب وصاية الملكة به[٨]، وبأمرها حصلت عدد من الفتيات على مهورهن لأغراض الزواج[٩]، ونلاحظ أنّ ناظرة الامبراطورة ست النساء كانت تساعدها في تنظيم المؤن والمعونة الخيرية على المحتاجين.

أمّا ابنة الملك شاهجهان الكبرى، جهانارا بيكم، كانت سيدة ورعة تقية، ومحبة للناس خيّرة، ففي إحدى المناسبات، وعندما تشافى الملك شاهجهان من مرض ألم به، قامت بتوزيع خمسين الف روبية هندية على الفقراء والمحتاجين بمساعدة عدد من نساء الحريم الملكي[١٠]، وبعد وفاة الامبراطور وزعت الفي قطعة ذهبية على الفقراء[١١].

وكذلك الأميرة زينت النساء بيكم، ابنة الامبراطور محي الدين اورانك زيب، كانت امرأة راعية للخير وداعمة للفضائل وحب الناس، واستعاد العديد من المحرومين الفقراء حياتهم وانسانيتهم من خلال سخائها وبذلها لأعمال الخير[١٢]، وأقامت أماكن مخصصة لأغراض مساعدة المسافرين والرحالة الأجانب[١٣].

هذه المواقف الإنسانية في تقديم الخير والأموال والهبات التي عملت بها سيدات البلاط المغولي، بدأت مع تأسيس الامبراطورية المغولية في الهند، وظلت متواصلة منتشرة وسط نساء القصر المغوليات حتى العهود المتأخرة من فترة الحكم المغولي، ولم تقف الأعمال الخيرية عند الملوك والأميرات والأمراء المغول فحسب، بل توجّه قطاع كبير من النبلاء مع نسائهم نحو الأعمال الخيرية والإنسانية مانحين

الفقراء والمحتاجين الهبات المالية الكثيرة[١٤].

٢- إنشاء ومراقبة المباني.

خلال العهد المغولي للهند، بدا اهتمام المرأة المغولية إزاء تشييد المباني والإشراف عليها، وأول سيدة تبدي رغبة كبيرة في أعمال البناء والعمارة هي "حجي بيكم" زوجة الامبراطور همايون، فعقب وفاة زوجها أشرفت على بناء ضريح خاص بالملك، وقامت أيضاً بتشييد عمائر خاصة سميت بـ "عرب ساري" خصصت للرحالة والتجار العرب[١٥]، إلى جانب ذلك أمرت ببناء بيت ملكي وحديقة على طريق مدينة اكرا وطريق مدينة بايانا (Bayana)[١٦].

ثم جاءت الملكة سليمة سلطان بيكم زوجة الملك جلال أكبر لتظهر رعايتها الفائقة للبناء، ودفعها هذا الاهتمام إلى بناء ضريح خاص بها، حيث دفنت في هذا الضريح الذي يقع في حديقة مندكار (Mandakar)[١٧]، وكذلك أمرت والدة جهانكير، مريم الزمان، ببناء بئرٍ مدرّجة، ويُعد من الأبنية المتطورة في ذلك العصر، إذ بلغت تكلفته حوالي، عشرين ألف روبية هندية[١٨] وهناك الملكة نورجهان، التي كانت شغوفة بمشاريع البناء في حياتها، فقد بنى وكيلها بيتاً وحديقة لها في منطقة نور سراي، وعقب إتمام البناء، دعت إلى مأدبة عظيمة، احتفاءً بهذه المناسبة[١٩]، وأيضاً، بنى موظفوها سراي (قصر) في سكندر آباد لها[٢٠]، وفي عهد الملك جهانكير سنة ١٦١٩م، ظهرت امرأة أخرى تدعى آغا آغايان وكانت بخدمة الملكة نورجهان، بنت سراي في مدينة دلهي[٢١]. أمّا برهنار بانوبيكم ابنة الملك شاهجهان، فقد دفنت في ضريح، يروى أنّ بنّاءً بناه تحت إشرافها[٢٢]. وذكر أنّ الملكة جهانارابيكم كانت سيدة مغرمة بالبناء، فقد بُني سوق (بازار) في مدينة لاهور بناء على طلبها، وقد عُرف هذا السوق بسوق "تشوك سراى (Chowk Sarai)"[٢٣]، وبنت مسجداً في مدينة اكرا من أموالها الخاصة ، في حين كان الامبراطور شاهجهان من أباطرة المغول المغرمين بتشييد المباني، فبنى مسجداً مماثلاً لمسجد جهانارا بيكم من نفقته الخاصة، وسمح لها باتمام المسجد[٢٤] كما بنت جهانارابيكم ديراً

خاصاً،[٢٥] وفي مدينة "اتشول" (Achchol) وهي من إقطاعات الملكة الخاصة، شيّدت بيتاً لها[٢٦] وبنت في إقليم كشمير بيتاً خاصاً للفقراء والمحتاجين، وقد كلّف هذا البناء عشرين ألف روبية[٢٧] كما بنت بيتاً متنقلاً (على عجلات)، وحديقة جميلة، ومستودعاً في مدينة دلهي[٢٨]، في الوقت الذي لم يسمح لأحد، سوى لعظماء المغول والتجار الفرس المكوث في بيت بيكم صاحب[٢٩]، ونقف عند سيدة- أخرى كان لها اهتمام بارز في حقل البناء وتشييد العمائر، هي الأميرة زينت النساء بيكم ابنة الملك اورانك زيب، التي أمرت ببناء أكثر من أربعة عشر بيتاً[٣٠] ودفنت في مسجد "زينت المساجد" في مدينة دلهي، الذي بني على نفقتها الخاصة[٣١].

٣- الحدائق

لم يكن الاهتمام بإنشاء الحدائق والمتنزهات من أعمال الرجال داخل الأسرة المغولية الحاكمة، بل انعكس هذا الاهتمام على قطاع النساء، ومن النسوة التي اشتهرت بعشقها وغرامها في بناء الحدائق، الملكة "بيكه بيكم" جدة الملك جلال الدين أكبر، والملكة "مريم مكاني" جدة الملك جهانكير، والسيدة "شهر بانوبيكم" ابنة ميرزا ابو السعيد، عمّة الامبراطور ظهير الدين بابر[٣٢]، أمّا مريم الزمان والدة الملك جهانيكر، فقد بنت حديقة رائعة الجمال في مدينة جاسوت (Jasut)[٣٣]، بكلفة مالية تقدّر بعشرين ألف روبية، ونلاحظ أيضا اهتمام الملكة نورجهان في تخطيط وتزيين الحدائق[٣٤]، فحديقتها الشهيرة بـ"شاه دارا" بنيت على مقربة من مدينة لاهور[٣٥]، وبنى وكيلها حديقة جميلة لها في نور سراي[٣٦]، أمّا آغا آغايان فقد بنت حديقة لها في مدينة دلهي[٣٧].

وامتلكت جهانارابيكم حدائق كثيرة، وواحدة من هذه الحدائق تقع في امبلا (Ambala)[٣٨]، وأخرى في مدينة سورات[٣٩]، ويروى إنّها ورثت أو أُهديت بعض الحدائق الجميلة لها، وبعد وفاة "ممتاز محل" اهدى لها حديقة جهانارا باغ[٤٠] ومنحها والدها، حديقة شاهاراباغ[٤١] وامتلكت حديقة باتشول، حيث ملئت بالأشجار والقنوات الكثيرة[٤٢]، وشيدت ثلاث حدائق فخمة في مقاطعة كشمير،

عائشة آباد باغ، ونورافشان باغ، وصفى باغ[٤٣].

وبنت روشانارا بيكم حديقة على مقربة من مدينة دلهي، واشتهرت هذه الحديقة باسمها[٤٤]، وبنت زوجة الامبراطور اورانك زيب، بيبي أكبر ابادي، حدائق مماثلة في كشمير ولاهور، عرفت باسم "شاليمار" (Shalimar)[٤٥] والتي استغرق بناؤها أربع سنوات بكلفة مالية تقدر بـ مائتي ألف روبية، وكذلك لم تتوانَ الأميرة زيب النساء عن تشييد وتزيين الحدائق[٤٦].

٤- الزواج

لعبت المرأة دوراً هاماً في تنظيم حفلات الزواج وما يترتب عليها من تبعات اجتماعية ومالية، وقد برز التأثير واضحاً في عهد الامبراطور بابر، مؤسس الدولة المغولية في الهند، إذ كانت شقيقته "خازنداربيكم"، وخالته وزوجته "مهام بيكم"، في غاية الحبور والسرور في تنظيمهن للزواج، وتدخلهن المباشر في ترتيب شؤون الأسر الجديدة، وهذا يظهر يوم وقع الملك بابر طريح الفراش مريضاً، طلب موافقة زوجته وخالته لتزويج ابنته" قل رانج" باحسان تيمور سلطان، وابنته" قل تشهرا" بـ "تكتا بوغا سلطان"، وبناء على موافقتهن أُقيمت مراسم الزواج[٤٧].

أمّا والدة الامبراطور همايون، الملكة "مهام انكا" فقد تشوّقت أشد الشوق لرؤية ولدها وهو متزوج، فعيّنت الوقت الذي ترى فيه فتاة حسناء جميلة، لتستقدمها إلى قصرها وتستخدمها، وذلك بهدف تزويجها لابنها، أمّا السيدة "مايواجان" التي تعمل في بلاط "قُلب الدين بيكم" تمنتها، مهام بيكم، زوجة لولدها همايون[٤٨]، وهناك سيدة مغولية أخرى، هي "دلداربيكم" زوجة الملك بابر، كان لها اهتمام في التدخل بقضايا الزواج، إذ يوم أعلن همايون عن رغبته في الزواج من "حميده بانوبيكم" ابنة الأمير "ميربابا دوست"، أشار على "دلدار" بهذا الزواج، في حين أبدى القائد هندال معارضته لهذا الزواج، محتجاً ان الفتاة شققته له، فغضب لهذا الموقف الملك همايون، وسعت دلدار بيكم إلى تحقيق هذه الأمنية فواصلت مباحثاتها

ومفاوضاتها مدة أربعين يوماً مع حميدة بانو التي أظهرت رفضها بداية الأمر، ثم اقنعتها الملكة المغولية ووافقت، وتم الزواج في سنة ١٥٤١[٤٩].

أمّا في عهد الملك جلال الدين أكبر، فقد ظهر اهتمام "مهام انكا" الكبير في مسائل الزواج، فخطبت سليمه سلطان بيكم للأمير بيرم خان في أيام الملك همايون، ووافق أكبر على هذا الزواج، مع أنّ معظم نساء القصر لا سيما السيدة "بيكة بيكم" والسيدة "مهام انكا" أبدين نشاطاً عظيماً في تطوير وسائل الزواج[٥٠]، وقررت مهام انكا زواج ابنها الأكبر أدهم خان على ابنة باغي بيكم[٥١].

كما مارست جهانارابيكم نشاطاً بارزاً في تنظيم زواج ابنائها وأشقائها، وهي التي احتلت مكانة والدتها الراحلة "ممتاز محل"، وعملت كل ما هو ضروري لاستعدادات الزواج، وتحملت تبعات زواج الأمير دارا شيكوه الذي لم يحصل أيام الملكة ممتاز محل، التي قامت في حياتها ببعض الترتيبات، إذ جمعت كل الهدايا التي تحتوي على المجوهرات والألبسة وهدايا ثمينة أخرى، ورتّبتها في مكان خاص[٥٢]، وساعدها في ترتيب هذه الهدايا "ست النساء"[٥٣]، وقد عاين الامبراطور كلّ الهدايا هو ونبلاؤه ويرافقه في هذه الأثناء سفير بلخ الذي وقف منبهراً لمحتوياتها وتنظيمها البارع[٥٤]، ومن جانب العروس، "عفت جهان بانوبيكم" فقد عملت استعدادات كبيرة قدمت المجوهرات النفيسة كهدية بهذه المناسبة[٥٥]، كما قامت "جهانارابيكم" في ترتيب زواج "اورانك زيب"[٥٦] والأمير شجاع[٥٧]، وفي عام ١٦٧٣م، ويوم زواج الأميرة "زبدة النساء بيكم" ابنة الملك اورانك زيب، بـ(سبهر شوكوه) (الابن الأصغر للأمير دارا شيكوه)، نظمت جهانارابيكم ترتيبات حفل الزواج ترتيباً بارعاً، وقد شاركت جوهرارا بيكم" ابنة شاهجهان، وحميدة بانوبيكم في هذا الترتيب[٥٨]، أمّا الاحتفالات بزواج معز الدين سنة ١٦٨٤م، خضعت لإشراف وإدارة زينت النساء بيكم ابنة اورانك زيب[٥٩].

أمّا حفلات زواج الأمير سليم[٦٠] والأمير مراد[٦١] والأمير شكر النساء بيكم[٦٢]، جميعها أُقيمت في قصر مريم مكاني والدة الامبراطور جلال الدين أكبر،

وكذلك زواج جهانكير[٦٢] والأمير برويز[٦٣] والأميرة "لادلي بيكم"[٦٥] الذي احتفل بهم في قصر مريم الزمان والدة جهانكير، أمّا احتفالات زواج "جهانزيب بيكم" ابنة الأمير دارا شيكوه، أُقيمت في بيت "جهانارابيكم" سنة ١٦٦٨.[٦٦].

٥- الهدايا

كانت معظم النساء في البلاط المغولي يستقبلن الهدايا الثمينة والنادرة سواء من أباطرة المغول أو الأمراء أو النبلاء، وفي المقابل كانت المرأة المغولية تقدم الهدايا للملوك والأمراء في مختلف المناسبات، كاعتلاء العرش وعيد الميلاد الملكي، ووزن الملوك أنفسهم[٦٧].

ففي عام ١٥٢٦م، وعقب الانتصار الكبير الذي حققه الملك بابر على قوات إبراهيم لودي الأفغاني في موقعة "پاني پات" الشهيرة، قام بإرسال هدايا ضخمة للأمراء والأميرات ومن تربطه بعلاقات طيبة من حريم القصر[٦٨]، أمّا في عهد الملك همايون، خصوصاً في أوقات أعياد الصوفية، كانت توزع الهدايا الذهبية الفضية على الملكات والأميرات[٦٩]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد أمر الامبراطور كلَّ مَنْ ينتسب إلى البلاط المغولي بإحضار الهدايا، وامتثل الجميع لهذه الأوامر[٧٠]، وجرت العادة عند الملك جلال الدين أكبر أنْ يقوم بتوزيع الهدايا القيمة على نسائه وبناته وأميرات البلاط،وذلك في مناسبة عيد النيروز، ومن النساء اللواتي حصلن على هدايا في هذه المناسبة، مريم مكاني، وقُلب الدين بيكم، وأميرات أخريات[٧١]، كما قام الامبراطور بزيارة محل إقامة والدته، حيث أحضر النبلاء والقادة الهدايا الثمينة للملكة الأم[٧٢].

وتشير المصادر التاريخية وبمناسبة زواج الامير خُرم ١٦١٢م، أمر بتوزيع الهدايا والأعطيات على سائر الملكات والأميرات[٧٣]، وفي عام ١٦١٧م، قدم هدية لنورجهان تقدر بمائتي ألف روبية، وستين الفاً وزعت على بقية النساء[٧٤]، وفي سنة ١٦١٤م أهدى الملك جهانكير قطعاً لؤلؤية لإحسان بيكم والدة نورجهان، حيث ابتكرت

عطراً جميلاً سُمّي بـ "عطر جهانكيري"[٧٥]، وأقام اعتماد الدولة سنة ١٦١٩م، حفلاً ملوكياً قدم خلاله هدايا لجهانكير وأمر بتوزيع ما قيمته مائة ألف روبية من المجوهرات والتحف والثياب للملكات والأميرات[٧٦]، وسنة ١٦٢٢م، أحضر أحد التجار الأتراك لؤلؤتين كبيرتين، فاشترتهما نورجهان بيكم من التاجر بمبلغ ستين ألف روبية وأهدتها للامبرطور جهانكير[٧٧].

وأيام شاهجهان، وعندما جاءت "شكر النساء بيكم" خالة شاهجهان) من أكبر آباد لتهنئة الملك على الانتصار الذي حققه في مدينة بلخ، أهدت حجراً كريماًله، تبلغ قيمته أربعمائة ألف روبية، ورد جهانكر هذا الجميل بهدية مقدارها مائة ألف روبية[٧٨] واعتادت الملكة ممتاز محل على تقديم الهدايا لزوجها شاهجهان[٧٩]، ولم تتوانَ الأميرة جهانارا بيكم عن تقديم الهدايا الثمينة للامبراطور[٨٠] ففي مناسبة "وزن الملك" اهدته لؤلؤة ثمينة جداً[٨١] ووزعت الذهب والفضة على الحضور[٨٢].

وحينما اعتلى الملك اورانك زيب عرش الامبراطورية، أرسلت السيدة بيكم صاحب يشاركها عدد من نساء القصر، هدية للامبراطور، تحتوي على مجوهرات وأحجار كريمة نادرة[٨٣]، وبعد حفل تتويجه (Coronation) قدم من جانبه هدايا جزلة للملكات والأميرات المغوليات[٨٤]، وفي مناسبة توزين الملك w) (eighing Cermony أرسلت سيدات القصر هدايا له ذات قيمة مالية ومعنوية عالية[٨٥]، وعندما جاء ملك كاشغر المطرود عبد الله خان" إلى مدينة دلهي سنة ١٦٦٨م، استقبلته جهانارابيكم بالهدايا والتحف الثمينة، بلغت قيمتها حوالي عشرين ألف روبية، قدمتها الأميرة جهانارا لملك كاشغر بأمر من الامبراطور[٨٦]، وهناك العديد من نساء قصر الحريم المغولي من أهديت المجوهرات والأموال من قبل أباطرة العرش المغولي، مثل "برهتار بانوبيكم" و"جوهرارابيكم"[٨٧] وهن بنات الملك شاهجهان، وهناك عفتارا، وقيتبارابيكم بنات الأمير محمد اعظم[٨٨]، وظلت هذه التقاليد سائدة حتى عصور المغول المتأخرة.

٦- هدايا الرحالة الأجانب

من أجل الوصول إلى أفئدة الملوك واستحواذ ودّهم وكرمهم، طفق الرحالة الأجانب الوافدون إلى أرض الهند، يحضرون الهدايا الغالية الثمن إلى بعض سيدات قصر الحريم المغولي، ففي عام ١٦٠٨م، أهدى الرحالة وليم هوكنز (William Hawkins) مجوهرات نادرة للأميرة شكور النساء شقيقة الملك جهانكير، وكذلك لزوجته نورجهان بيكم[٨٩]، وقدم الرحالة كوريات (Coryat) الذي زار الهند سنة ١٦١٢، هدية للملك جهانكير، وهي عبارة عن صفارة ذهبية (Gold Wistle)، وقام جهانكير بإهدائها إلى زوجته[٩٠]. وسار على خطاهم الرّحالة توماس رو (Thomas Roe) الذي منح الملكة نورجهان عدداً من الهدايا الثمينة، من ذلك: معطف انجليزي، ومرايا وألعاب وغير ذلك[٩١]، أمّا الرحالة تافرنير (Tavernier) الذي ساح في أرض الهند سنة ١٦٤٠م، فقد أعطى الامبراطور هدايا كثيرة، وأعطى شقيقه الامبراطور جهانارابيكم هدايا ثمينة[٩٢]، ووصل إليها هدايا من البريطانيين على شكل زيوت نباتية وثياب ومرايا وعربات ... الخ[٩٣].

٧- الألبسة

استحوذ اللباس على اهتمام وذوق نساء البلاط المغولي، سواء الملكات أو النبيلات، ولقد حرصت كافة نساء القصر على الظهور بمظهر جميل وجذاب عندما يجتمعن بالملوك أو النبلاء، وذلك لإثارة الانتباه لهن، وإبراز مفاتنهنّ وجمالهنّ، ولذلك كانت الملكة أو النبيلة، تلبس أجمل وأغلى اللباس، حتى تبدو عليها الأناقة والأبهة والجاذبية.

أمّا المواد التي استخدمت في صناعة وحياكة الملابس النسائية، فغالباً ما تكون مصنوعة من الحرير الناعم أو الموصلين (نسيج قطني رقيق)، لذا فقد كان الموصلين المصنوع في "مالوا" من أكثر النسيج طلباً واقتناءً، حتى التجار أمروا لإرسال هذه الملبوسات إلى قصر الحريم المغولي فقط أو لزوجات النبلاء، وأحياناً كانت هذه الملابس تختلط بالخيوط الذهبية، وثياب متنوعة نسجت بحلي ذهبية

صغيرة[٩٤]، ومعظم الملابس المتداولة بين النساء الملكيات والنبيلات كانت مطرزة بالذهب والفضة، وزركشتها أضفت جمالاً وروعة على النساء، في الوقت الذي تفوح منها روائح وردية عطرة غاية في الجاذبية[٩٥]، واذا ما لبست الملكة أو الأميرة أو النبيلة ثوباً مرة، فلا تعود إلى لبسه ثانية[٩٦]، أمّا وجه الاختلاف بين لباس الملكات والأميرات والنبيلات من جهة، ونساء الطبقة الوسطى من جهة أخرى، فيمكن في النوعية والسعر لا في الشكل والتصميم.

وربما نفترض اثناء فترة الحكم المغولي، لا سيّما في عهد الملك بابر وهمايون، اعتادت نساء المغول داخل قصر الحريم الامبراطوري على الاستمرار في لبس الثياب المحببة لهن والتي تتلائم وتتوافق مع مناطق أصولهن، كملابس الفرس وخراسان، في حين لبست المرأة الملكية لباساً داخلياً فضفاضاً، وغطين الأجزاء العلوية من أجسادهن بقمصان خاصة مميزة. وثمة ثياب على شكل حرف (V) مكونة، إذ كانت تستخدم بشكل طبيعي بين سائر النساء، بالإضافة إلى ذلك، فقد لبست المرأة ثوباً علوياً سمي بـ "ياليك" (Yaleek)، وكان لباساً شائعاً، بحيث له أزرة من المقدمة، ورقبة طويلة، وأكمام، كاملة أو قصيرة، وهناك ألبسة أخرى استخدمت على نطاق واسع بين النساء، عرفت بـ "بستان" و"الباق" و"بانتش"، والطرحة (Tarhat)[٩٩].

وأثناء هذا الوقت، بقيت حركة موضة الملابس بتقدم مستمر، وأنّ المواطنات الهنديات أفتتن بالنساء المسلمات ذوات المكانة العالية، ويظهر بداية التطور على نوعية وشكل اللباس عند النساء المغوليات من بداية عهد الملك همايون، وبينما كانت زوجات الملك همايون وأميراته يرتدين لباساً على النمط التركي، كن في نفس الوقت يلبسن على رؤوسهن حسب التقليد الهندي، فأرخين شعورهن، وأحيانا وضعن ضفائر تتدلى خلف الظهر[١٠٠]، وفي نهاية عهد الامبراطور همايون، بدأت المرأة التركية تتخذ من الحلي زينة لها، إذ كانت هذه العادة تمارس عند النساء الهنديات.

أمّا لباس وغطاء الرأس عند نساء المغول المعروف بـ "تاج كولا" (Taj-Kulah) فكان اللباس المفضل لدى ملكات وأميرات البلاط المغولي حتى القرن

الخامس عشر الميلادي، بعدها، بدأ يفقد أهميته تدريجياً[١٠١]، وفي عهد الملك همايون استخدمت المرأة قلنسوة تدعى "طاقي" (Taqi) التي انتشرت بين الفتيات المتزوجات، وكانت ممنوعة على غير المتزوجات، بينما يتدلى خمارٌ على الرقبة ومقدمة الصدر يدعى قصبة (Qasaba)[١٠٢] في حين وضعت النساء ذوات الرتب العالية ريشاً على القلنسوة[١٠٣]، وهذا النوع من أغطية الرأس فقد قيمته وأهميته لدى نساء المغول قبل وفاة الملك أكبر، واقتصر استخدامها على خادمات القصر والحارسات من النساء، وأن بعض النساء ارتدت قبعات مزركشة باللؤلؤ والريش، وكان ذلك امتيازٌ منحه الامبراطور لنخبة من النساء[١٠٤] ويتميز عصر الملك أكبر بأنه من أكثر العصور الذي تطورت فيه عادات النساء المتعلقة غالباً باللباس، وهذا التطور جاء بسبب ما تبنته المرأة الراجبوتية التي دخلت إلى قصر الحريم بكل نشاط، ولأن الملك كان يتمتع بعقلية منفتحة ومتحررة،فقد سمح النساء بلباس ما يرغبن من الثياب، هذا التوجه الذي أبداه ملك المغول، كان علامة تحول في تطوير صناعة الثياب والتفنن بتصاميمها.

أمّا اللباس الرئيسي عند النساء الراجبوتيات فكان لباس ضيق مجسم للبدن، يكون بكُم كامل أو بنصف كمُ، وثمة معلومات تاريخية غزيرة في الأدب الهندي تمتدح وتطري استعمالات مثل هذه الملابس الجميلة[١٠٥]، كما واحتوى لباس المرأة المسلمة على سراويل ضيقة، وكانت السراويل تصنع في الأغلب من خيوط الذهب، وبأشكال جميلة مليئة بالأزهار أو بأشكال هندسية رائعة الجمال[١٠٦].

وفي عصر الملكة نورجهان حدث تطور كبير على طبيعة وشكل الملابس النسائية،و حدثت ثورة في أدب الملابس، إذ صممت العديد من الثياب الجديدة، وغالباً ما تتكون من قماش مقصب أو مطرز، وأشهر الثياب ما يدعى "نور محلى" وهو لباس صمم للعرائس (العريس والعروس)[١٠٧]، كما صنعت ملابس من جلود الفيلة[١٠٨]، عرفت باسم "لباس امرأة جامو" حيث انتشرت بشكل واسع في هذا العصر، إذ تحتوي على قرطة (قميص) مشدود يعلو الرقبة، وذات أردان ضيقة، مزينة

بالكشكش والريش يوضع في مقدمة الصدر، أمّا الجزء السفلي، فكانت المرأة تلبس سروالاً ضيقاً، مصنوع من الحرير المزركش بالورود والمناظر الجميلة[١٠٩]، كذلك، استخدم قماش خفيف ورقيق كخمار للنساء، أمّا الفتيات اللواتي يمارسن الرقص فكن يلبسن نفس اللباس، مع اختلاف طفيف، حيث القمصان طويلة ومصنوعة من الموصلين الناعم.

استمرت طبيعة الألبسة والثياب في عهد الملك شاهجهان على نفس النمط الذي كانت عليه في السابق، أمّا في عهد اورانك زيب، فقيل أنّ الأميرة "زيب النساء" طوّرت ثياباً جديدة، أطلق عليها اسم انكيا قرطة [١١٠]، وكانت النساء تلبس أحذية بغير كعب (Heel-Less) يسمى بابوج (Paposh)، مصنوعة بأشكال وألوان مختلفة[١١١]، وأحياناً كانت تُزَخْرَف وتزركش بالورود والذهب[١١٢].

٨- التزيّن (التبرج)

أعقب اهتمام المرأة المغولية الكبير في مضمار الألبسة والأقمشة والثياب اهتمام زائد ورغبة جامحة بوسائل الزينة والتبرج فقد حازت هذه الوسائل على محبة ورغبة الملكات والأميرات والنبيلات في بلاط المغول، وهناك ما يقارب ست عشرة وسيلة من وسائل الزينة، كالحمام واللباس، واستخدام المجوهرات ومستحضرات التجميل[١١٣]، وقد وضح ذلك بعناية المؤرخ الشهير أبو الفضل الناكوري وأعطى صورة جلية حول زينة المرأة في كتابه آين أكبري [١١٤]، من بينها ، الحمامات، واستخدام المراهم والدهون، ولباس الثياب الجميلة، والزخارف والحلي، والحناء وورق التنبول.

ولقد درجت العادة عند نساء هذا العهد أن يستخدمن المراهم الخاصة ووضعها على أجسادهن قبل أخذالحمام، أمّا بعد انتهائها من الاستحمام تضع دهونات يشتم منها الروائح الحلوة العذبة، وتضع ثياباً على جسدها تفوح بالروائح الزكيّة[١١٥]، واستخدمت زيوتاً خاصة وضعت على الشعر المتعرج والمتموج[١١٦]،

في حين قامت النساء الهنديات بتقسيم شعرهن إلى مجموعة أقسام ويلف كل قسم على شكل ضفيرة تحيط بالرأس وغالباً كانت المرأة تصنع من شعرها طبقات، كل طبقة تعلو الأخرى، في الوقت الذي أطلقت فيه الفتيات منذ سن الثانية عشر وما بعدها العنان لشعرهن بالنمو[١١٧]. بينما كان شعر النساء المسلمات يتدلى على جوانبهن ويربط به الحرير[١١٨]، كما استخدمت المرأة الورد والحلي والمجوهرات وسيلة من وسائل الزينة والجمال[١١٩] وصنعت المرأة من الأصباغ القرمزية (Vermilion) زينة لشعرها[١٢٠]، ومزجت الحناء ووضعته على شعرها[١٢١] واستخدمت القطارات لغسل العيون[١٢٢]، حتى حواجب العيون استخدم لها قطارات خاصة، واستخدم بعضهن بودرة خاصة لتنظيف الأسنان[١٢٣]، لكي يحافظن على نظارة أسنانهن وشفاههن، وامتلاك نفس عذب استخدمن ورق التنبول[١٢٤]، وصبغت النساء ايديهن وارجلهن بالحناء المعروف "بالمهندي"[١٢٥].

٩- الحلي والزخارف (Ornaments)

كبقية العصور الأخرى التي تعاقبت على حكم الهند، فإنّ عصر المغول تمثّل بظاهرة الاهتمامات النسائية في مجال الزخارف والحلي والمجوهرات، اذ أبدين زينتهن وجاذبيتهن باستخدامهن للحلي والزخارف كوسيلة هامة تفضي إلى الجمال، ولذلك فقد توفر من هذه الوسائل ما يزيد على اثني عشر نوعاً من الحلي، استخدمتها من رأ سها حتى أخمص قدميها، وكانت تعرف بالأسماء التالية:- "نوپور" (Nupur)، "كنكن" (Kinkin)، "وكالاڤا" (Kalava)، و"انقوتهي" (Anguthi)، و"كانكان" (Kankan)، و"انكاد" (Angad)، و"هار" (Har)، و"كانثاشري" (Kanthashri)، و"بيسار" (Besar)، و"خوت" (Khut)، و"تيكا" (Tika)، و"شيشبهول" (Shishpul)[١٢٦]، أمّا أبو الفضل مؤرخ البلاط المغولي أيام الملك أكبر فقد عدد أبرز وأشهر أنواع الحلي المستخدمة في زمانه، وذلك في كتابه "آين أكبري"، فجاءت على النحو التالي:-

"شيشفول" (Shishphul)، و"مانك" (Mang)، و"كوت بلدر" (Kut Bildar)،

و"سيكرا" (Sekra)، و"بندولي" (Binduli)، و"خونتيلا" (Khuutila)، و"كارنبهول" (Karnphul). و"دورباتش (Dur Bachch)، و"بيبال باتي" (Pipal Patti)، و"كاتي مخلا" (Kati mekhla)، و"انوات" (Anwat)[١٢٧].

امّا شيشبهول فكان من الحلي الذي يتوج الرأس[١٢٨]، وأطلق عليه اسم "راخاري" في اقليم الراجبوت، والتي بدت كالقطيفة البارزة، كهيئة الجرس المجوّف، وإنّ أجزاء من الشعر كانت تزين "بالمانك"، وهناك حلي أخرى تدعى "كوت بلدر"[١٢٩]، تلبس في مقدمة الرأس وتحتوي على لؤلؤة في غاية الجمال[١٣٠] وعرفت في إقليم الراجبوت باسم تيكا.

كما استخدمت المرأة في هذا العصر عدداً من الحلي لجمال الأذنين، وعرفت حلي الأذن باسم "كارنفول"، وهي على شكل الورد، و"بيبال باني" على هيئة الهلال، و"موريهانوار" على هيئة الطاووس، وهناك أنواع أخرى من الحلي استخدمت للأذن[١٣١]، وقد أكد معظم الرحالة الأجانب على الاستخدامات الشائعة لحلي الأذن وسط نساء الهند[١٣٢]، كما لبست المرأة حلياً في الأنف، فقد ثقبت الأنوف ووضع فيها الخواتم والحلقات الجميلة[١٣٣].

وجرت العادة عند نساء هذا العصر أن يلبسن الحلي حول أعناقهن وقد روى الرحالة تيري (Terry) أنّ النساء كن يزخرفن أعناقهن بمجوهرات كثيرة مختلفة وكذلك معاصمهن فـ (قل باند) (Gulub and) ربط بأحكام حول العنق، ويحتوي على خمس أوست وردات ذهبية صنعت من الحرير، وهناك سلاسل، منها ما يسمى بـ "هار" (Har)، و"هانسا" (Hansa)، و"كانتها" (Kantha)[١٣٥].

ولبست المرأة الحلي والمجوهرات حول الأذرع كعلامة للفأل الحسن، ومن الحلي ما كانت تلبس بالمرفق، حيث كانت بعرض ((انش)، مرصعة ومطعمة بالمجوهرات، كاللؤلؤ مثلاً، وهناك حلي تسمى تودا" (Toda) توضع فوق الأذرع، ونوع آخر من حلي الزينة عبارة عن أسورة تلبس في المعصم[١٣٦].

حتى أصابع اليد كانت تزخرف وتزين بالخواتم، ففي الإبهام الأيمن لبست

خواتم من المرايا، يحيط بها العديد من الآلىء[١٣٧]، ولبست المرأة حزاماً مزخرفاً حول خصرها، يتدلى حول أطرافه أجراس صغيرة، صُنعت من الذهب المرصع والمزركش[١٣٨] وقد استخدمت الخلاخيل على نطاق واسع، وقد لبسته المرأة بقدمها، حيث يُصدر أصواتاً وأنغاماً ملفته للنظر، وكذلك، كانت النساء تزين وتزركش اللعب الصغيرة للأطفال[١٣٩] على وجميع هذه الحلي صنعت من الذهب والفضة، وكانت تطعم بالمجوهرات والأحجار الكريمة، أمّا الفقيرات من النساء اللواتي لم يقدرن على امتلاك الذهب والفضة، فكن يتخذن من بذور النباتات والصدفات والورود زينة لهن[١٤٠]، وأحيانا اتّخذن من النحاس الأصفر وسائل للزينة والزخرفة[١٤١].

أمّا نساء القصر المغولي فقد كنّ مغرمات في عرض ما يمتلكنه من مجوهرات وحلي على سائر النساء الأخريات[١٤٢]، كما كانت المغولية تمتلك أنواعاً عديدة من الأحجار الكريمة النادرة، وثلاثة أو اربعة حبال من الآلىء تتدلى من العنق حتى أسفل البطن، وقد روى الرحالة مانوشي (Manucci) أنّ منهن مَنْ تمتلك مجوهرات كبيرة، وياقوت، وزمرد (Emerald) وست أو ثماني مجوهرات[١٤٣].

هوامش الفصل السابع

1- G. H. N. (Bev.), P. III.
2- A. N. (Bev.), Vol. II, P. 484.
3- Monserrate,P. 96.
4- Ibid, P. 295.
5- Beni-Prasad, op-cit, P. 185.
6- Maasir Alamgiri, Vol. II, P. 107.
7- Sarkar, Studies, PP. II-12.
8- Qazwini, op-cit, Vol. II, F. 277.
9- Sarkar, PP. 11-12.
10- Qazwini, Vol. III, P. 572.
11- Manucci, Vol. III, P. 126.
12- M. A., P. 323.
13- Norris, P. 236.
14- Ashub, Vol. I. P 36
15- Banerji, Humayan Badshah, Vol. II, P. 317.
16- Thevenot, P. 57
17- Tuzuk, (R. and B.) Vol. I, P. 233.
18- Ibid,II, P. 64.
19- Peter Mundy, VOl. II, P. 78.
20- Pelsaert, P.4.
21- Tuzuk, Vol. II, P. III.
22- M. A., P. 90.
23- Amal-i-Saleh, III, P. 47.
24- Lahori, Op-cit, Vol. I, P. 252.
25- Ibid, III, P. 469.
26- Ibid, I, P. 51.
27- K. Khan, Vol. I, P. 706.
28- Tavernier, Vol. I, P. 49.

29- Manucci, Vol. I, P. 221.
30- Norris, P. 236.
31- Sarkar, Vol. I, P. 70.
32- Tuzuk, Vo. I, PP. 106-107.
33- Ibid, Vol, II, P. 64.
34- Stuart, Gardens of the great Mughals.
35- Peter mundy, Vol. II, P. 214.
36- Tuzuk,II, P. 192.
37- Ibid, P. III.
38- Qazwini, Vol. III, P. 584.
39- Thevenot, P. 35.
40- Lahori, VOl. II, P. 99.
41- Ibid, II, P. 587
42- Ibid, P. 428.
43- Ibid, I, P. 27.
44- Stuart, op-cit, P. 108.
45- Ibid, P. 103.
46- Ibid, P. 134.
47- G. H. N., P. 107.
48- Ibid, P. 112.
49- Badauni, Vol. I, P-560.
50- Akbar nama, Vol. II, PP. 97-98.
51- Ibid, PP. 204-205
52- Qazwini, vol. III, F. 498.
53- Ibid, 499.
54- Ibid, 500.
55- Ibid, FF. 491-500.
56- Ibid, F. 507.
57- Lahori, I, P. 77.

58- M. A, P. 77.
59- Ibid, P. 152.
60- Akbar Nama, II,PP. 969-970.
61- Ibid, P. 791.
62- Ibid, PP. 990-1059.
63- TUzuk, I, PP. 144-145.
64- Ibid, P. 81.
65- Ibid, II, P. 202
66- Ibid.
67- Sarkar, Vol. III,P. 64.
68- Thevenot, P. 67.
69- G. H. N, PP. 94-96.
70- Ibid, PP. 125-126
71- Ibid, P. 129.
72- Tabgat, Vol. II, Pp. 559-560.
73- De Laet, P. 101.
74- Tuzuk, I, PP. 224-225.
75- Ibid, P. 401
76- Ibid, P. 271.
77- Ibid, Vol. II, P. 80.
78- Ibid, P. 237.
79- K. Khan, I, P. 646.
80- Qazwini, Vol. II, P. 354.
81- Amal-i- Saleh, vol. III. P. 199.
82- Lahori, Vol. II, P. 351.
83- M. A., P. 191.
84- Ibid, P. 14.
85- Ibid, P, 46.
86- Ibid, P. 46.

87- Ibid, P. 36.

88- Ibid, P. 306.

89- Hawkins, Early Travels, P. 94.

90- Coryat, Early Travels, P. 67.

91- Embassy of Sir Thomas Roe to the court of the great mughls, Vol. II, PP. 324, 384-427.

92- Tavernier, Vol. I, P. 141.

93- English Factory records (1651-1654), PP. 11-12.

94- Pietra Della Valle, Vol. I, P. 44.

95- Lahori, Vol. II, PP. 363-364.

96- Manucci, Vol. II,P. 341.

97- Kaumudi, P. 98.

98- Ibid, P. 98.

99- It was asort of cloack made of Camels hair and was lung from the Shoulder, Catalogue of Indian Collection, Plates, III,V.

100- Kaumudi, P. 96.

101- Ibid.

102-G. H. N. P. 138.

103-Kaumudi, P. 96.

104-Manucci, Vol. II, P. 339

105-Sursagar, Port,I, P. 622.

106-Indian Costume,P. 141.

107-K. Khan, Vol, I, P. 269.

108- Kaumudi, P. 100.

109-Pietra Della Valle, Vol. I. P. 44.

110-Magan Lal, Dewan of Zebbunnisa, P.14.

111-Thevenot, P. 37

112-Kaumudi, P.101.

113-Padmavat of Jayasi, PP. 287-288.

114-Ain, Vol. III, P. 312.

115-Manucci, III, P. 40.

116- Ibid, III, P. 40.

117-Ibid, P. 40.

118-Terry, Early Travels, P. 309; De Laet, P. 81.

119- Fryer, Vol. II,P. 117.

120-Suragar, Part, I, P. 205.

121-Ibid, I, P. 265.

122-Ibid, P. 265.

123-Magan Lal-op-cit, P.14.

124-Suagar, I, P. 993.

125-Manucci, Vol, II. P. 341.

126-Padmavat, by Jayasi PP. 287-290.

127- Ain, III, PP. 312-314

128-Ibid, P. 312.

129-Ibid, P. 312.

130-Manucci, II, P. 339-340.

131-Ain, III, PP. 312-314.

132-Terry, P. 309; Thevenot, P. 53; Pitra Della Valla, I, P. 45 Forbes, I, P. 74.

133-De Laet, P. 81

134-Tery, P. 309; Manucci, I, P. 40.

135-M. A., P. 119.

136-Pietra Della Valle, I, P. 45.

137-Manucci, II, P. 340.

138-Ain,III,P. 314.

139-Hamilton, Vol. I, P. 164.

140-Manucci, Vol. II,PP. 339-340.

141-Ibid

142-Ain,III, P. 314.

الفصل الثامن

وضع المرأة من الطبقة الوسطى والدنيا في المجتمع

الفصل الثامن

وضع المرأة من الطبقة الوسطى والدنيا في المجتمع

لقد تعرض وضع المرأة في المجتمع الهندي (الهندوسي) إلى متغيرات اجتماعية واقتصادية كثيرة، وذلك بسبب سيطرة الحكم الإسلا مي الجديد الذي فرض على مجتمعات الهند أنماطاً اجتماعية وسلوكية جديدة، وكان وضع المرأة الهندوسية الأمثل هو ما كانت تتمتع به قبل مجيء المسلمين إلى بلاد الهند، الذي تلاشى تدريجياً في عهد الاتراك، وبينما احتفظت المرأة بعاداتها وتقاليدها القديمة وتمسكت بها بكل تقدير وتقديس[١]، وكان بعض الناس ينظر إليها باحتقار ودونية، وبقيت رهن الاتهامات والشجب من قبل المجتمع[٢].

تشربت الفتاة في الأسرة الهندوسية التعاليم الخاصة بدينها وتقاليدها التي تحث على تقديم الاحترام والإجلال لكل أعضاء الأسرة، من الصغر وحتى سن متقدمة، ولقد فرضت عليها التعاليم الدينية عبادة زوجها كما يعبد الاله[٣]، وانبثق عن مثل هذه الاعتقادات صدق خالص تجاه الزوج، والقيام والسهر على خدمته حتى في أكثر الأيام محنة وضنكاً (Adversity)[٤]، كما ينبغي عليها الالتزام المطلق بتقديم الطاعة والولاء لزوجها لكي تساهم في توفير الحياة الهانئة السعيدة للأسرة[٥].

شكّلت الأحوال والأجواء الداخلية للأسرة أهم حقول العمل والنشاط بالنسبة

للمرأة الهندية، فكان عليها أنْ تقوم بكافّة أعمال ومتطلبات البيت[٦]، فكانت تستيقظ في الصباح الباكر وتباشر بطحن الذرة، من ثمّ تحضّر الطعام وتقدمه لأسرتها[٧]، وكانت تنتشل المياه من الآبار[٨] وتبلط الأرض بالجص، وتكنس المنزل، وفي أوقات فراغها تنسج وتحيك الثياب[٩]، وهكذا، انصب معظم وقتها على خدمة الأسرة ورعاية شؤونها الداخلية بشكل اعتيادي.

١- المهور (Dowry)

أضحت مسألة الزواج للفتيات الهنديات معضلة كبرى وأزمة مقلقة بسبب العادات السائدة في ارتفاع المهور ونفقات الزواج، التي تعطى من قبل أهل الفتاة يوم زفافها، وعادة ما كانت تحتوي هذه المهور على الهدايا والمجوهرات والحلي، والأثاث المنزلي، والفيلة، والبغال والخيول، وبعض الأشياء الثمينة الأخرى، كانت تلك تقاليد قديمة لكنها أصبحت سارية وجادّة في المجتمع، علماً بأنّ هذه العادات شائعة وسط العائلات الغنية اكثر من الأسر المتوسطة والفقيرة[١٠]، أمّا طبيعة المهر فيختلف باختلاف الأوضاع الاقتصادية لأهالي الفتيات، وقد كشف عددٌ من الرّحالة الاجانب عن ممارسة المجتمع الهندي لهذه العادات والتقاليد في الهند[١١].

وجرت العادة أنْ يأخذ العريس المهر من أهل الفتاة، وثمة روايات تشير إلى أنّ أهل وأقارب الفتاة (العروس) كانوا يأخذون المهور، وكانت هذه العادة تنتشر غالباً وسط الطبقات الاجتماعية المتدنية، في الأقاليم التي تعرف هذه الأيام بـ "اتربرادش وبهار (Bihar)، اتبعت هذه العادة عند العريس الذي يرغب الزواج بفتاة صغيرة في العمر، وبيّنت بعض المصادر عن حالة بيع العرائس[١٢]، وقد برز من مساوئ نظام المهور هذا إنّه انطوى على شدة وجدّية كبيرة في إقليم البنغال[١٣]، وظهرت بعض العادات الغريبة في المجتمع، إذ كانت الأخت الصغرى للعروس تعطى كجزء من مهر العريس[١٤].

٢- زواج الأطفال

كـذلك بـرزت في المجـتـمـع الـهندي في عـصـر دولة المغـول ظاهرة زواج الأطفال، وغالباً ما كانت الفتاة تتزوج قبل سن البلوغ[١٥] وقد وقعت المجتمعات الإسلامية والهندوسية ضحية شرور هذه العادات، وفي العوائل الهندوسية زوجت الفتاة حتى قبل ان تقدر على الكلام والنطق[١٦]، بينما عند المسلمين، كانت الفتاة تزوج على الأغلب في سن مبكرة[١٧].

٣- ولادة الأطفال

من المظاهر الجديرة بالملاحظة ما اوضحته كتب الرّحالة الأجانب إلى بلاد الهند، حول ولادة الأطفال وما يتبعها من أمور، وكانت المرأة تباشر أعمالها اليومية الاعتيادية بعد ولادتها بيوم واحد فقط، وإذا وضعت المرأة طفلها في حالة السفر، أو برحلة من الرحلات، ينبغي عليها ركوب الخيل حاملة طفلها في اليوم التالي[١٨]، كان هذا واقع حياة العائلات الفقيرة في المجتمع.

٤- الساتي (عادة حرق النساء وهن احياء) (Sati)

تمثلت الكارثة العظمى في حياة المرأة الهندوسية بوفاة زوجها وهي على قيد الحياة، وبخلاف المسلمين، فان زوج الأيامى (الأرامل) لم يكن مسموحاً به وسط المجتمع الهندوسي، باستثناء الطبقات الدنيا من المجتمع[١٩]، إذ ترتب على المرأة الهندوسية الأرملة أنْ تحرق نفسها وهي حية مع جثة زوجها الميت، أو أنْ تعيش حياة

حقيرة ذليلة، وتبقى محطاً تحقير وامتهان لجميع أفراد أسرتها[٢٠]، حتى المجتمع ينظر إلى المرأة التي لا تنصاع إلى التعاليم، نظرة دونية[٢١]، فمنعن من إطالة شعورهن، وحرّم عليهن اتّخاذ الزينة والمجوهرات ومنعن من لبس الثياب الجميلة[٢٢]، فالرُّمْلة (Widowhood)هو عقاب عن الآثام والخطايا السابقة في الحياة[٢٣]، وكانت ممارسة طقوس الساتي طواعية من العادات القديمة قدم المجتمع الهندوسي[٢٤] وبقيت تتأصل في المجتمع لتصبح شعيرة دينية واجبة على الجميع، وهذه العادات تأتي خلافاً لرغبات النساء، فالواجب يقتضي منهن التسليم للأمر الديني المفروض[٢٥]*.

وغالباً كانت تمارس هذه الطقوس وسط النساء البرهميات، ومن ينتسبن إلى طبقة الأكشترية (المحاربون) والمجتمعات البانية (Bania)، فمعظم مَنْ زار الهند من الرّحالة الأجانب في فترة الحكم المغولي، ذكروا أنّ النساء كن يحرقن أنفسهن مع جثث أزواجهن[٢٦] وقلة من النساء امتنعن عن تأدية هذه الطقوس الدينية[٢٧]، ولاحظوا أنّ عدداً كبيراً من الأرامل الهنديات رفضن إحراق أنفسهن[٢٨].

وهناك عادة كبيرة الشبه بالساتي، أُطلق عليها اسم "جوهر" (Jauhar) وهي من الشعائر الدينية السائدة في المجتمع الهندي، لا سيّما وسط عوائل قبائل الراجبوت الهندية، فعندما تتراءى الهزيمة لزعيم الراجبوت وجنوده في أرض المعركة، فانهم يقدمون على قتل نسائهم وأطفالهم، أو ربطهم جميعاً وقذفهم في النار، وبعدها

---

* أكد المؤرخ البيروني أن عادة حرق النساء (الساتي) إنما كانت تنتشر في الأغلب بين طبقة الأكشترية (المحاربون) وعوائل الملوك والأمراء الهنود، إذ تحرق المرأة نفسها في جميع الأحوال شاءت ذلك المرأة أم أبت، البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة، ص ٤٦٩، (المترجم)، وقد شاهد الرحالة ابن بطوطة احتفال الهنود بهذه المناسبة وأبدى امتعاضه وصدمته النفسية الشديدة، والرحالة الفرنسي بيرنير (Bernier) الذي قال إنني شاهدت العديد من هذه المهرجانات المأساوية بحيث لم أتمكن من رؤيتها مطلقاً، ويقول أبو الفضل مؤرخ الملك جلال الدين أكبر، إنّ النساء الحوامل اللائي يفقدن أزواجهن لسن مطالبات بإحراق أنفسهن حتى يتسنى لهن وضع حملهن، وإن صادف المرأة موت زوجها وهي معه في حالة السفر، فعلى نسائه إحراق أنفسهن مع جثته بالإضافة إلى المتاع. المترجم.

يذهبون للقتال حتى الموت[٢٩].

ولقد حاول بعض أباطرة المغول منع وإلغاء هذه العادة التي تناقض الشعور الإنساني، وتزدري قدسية الانسان، فقد روت المصادر التاريخية أنّ الملك جلال الدين أكبر أصدر فرماناً (مرسوماً) يمنع إجبار المرأة عن تأدية طقوس الساتي بالقوة[٣٠]، وأبدى الملك جهانكير حزماً وصرامة كبيرين إزاء ممارسة هذه العادة، فأصدر أوامره بتحريم عادة (الساتي) وفرض قيوداً شديدة على مَنْ تثبت إدانته، وكان يستحيل ممارسة عادة الساتي إلاّ بإذن رسمي من الملك، خصوصاً إذا كانت الأرملة فتاة صغيرة[٣١]، وفي عام ١٦٦٣م، أصدر الامبراطور محي الدين اورانك زيب مرسوماً يحضر فيه عادة حرق النساء وهن أحياء[٣٢] وأظهرت قوانين الدولة صرامة وحزماً لمنع انتشار هذه العادة، وخصوصاً منع النساء الحوامل من حَرْقِ أنفسهن، وأحياناً سمح القانون للأرامل اللواتي لا يملكن أطفالاً أن يمارسن هذه الشعيرة[٣٣]، وعلى الرغم من كل المحاولات المتشددة التي سعى إلى تحقيقها أباطرة المغول تجاه عادة "الساتي" وهي الحد من انتشارها ومنعها تماماً إنْ أمكن ذلك، لكنّ هذه المحاولات لم تمنع انتشار هذه العادة نهائياً، وظل المجتمع الهندوسي يمارسها حتى في العصور المتأخرة من عهد المغول.

٥- الخمار (Parda)

كان الخمار أو غطاء الرأس والوجه من التقاليد الأكثر شيوعاً وانتشاراً وسط النساء المسلمات، ولم يكن الحجاب من العادات الاجتماعية لدى النساء الهندوسيات[٣٤]، وكان لباس الحجاب يمارس بشكل صارم وسط المجتمعات الإسلامية، ومع مجيء الأتراك المسلمين أرض الهند، فقد مورست هذه العادة عند النساء الهندوسيات، كإجراء وقائي لحماية أعراضهن وشرفهن، لا سيّما وبلادهن تخضع لحكم سياسي جديد وغريب عن المنطقة، "تتوفر لدينا مصادر تاريخية عديدة توضح استخدامات الحجاب، خصوصاً في الرحلات التي كتبها الأجانب[٣٥]، إذ اقتصر العمل بالحجاب على الأغنياء والطبقات العليا في المجتمع[٣٦] أمّا النساء

الفقيرات، لا سيّما في الأرياف، كنّ يعملن في الحقول والزراعة، وهذا حال بينهن وبين استخدام الحجاب بشكل دائم[٣٧].

٦- الحقوق المدنيّة التي تمتعت بها المرأة (Property Rights)

تمتعت بعض النساء الهندوسيات بامتلاك حقوقهن المدنية، وبحرية التصرف بالملكية الخاصة بها، فامتلكت القرى والأراضي، وكان لهن حق في الميراث، والبيع والشراء، وتوزيع ممتلكاتهن والتصرف بها بحرية تامة[٣٨]، وهناك سيدة تدعى "سبهانو" (Sabhanu)، وهي شقيقة أحد رجالات مهان سنك، باعت إحدى قراها حوالي سنة ١٦٨١[٣٩]، وسيدة أخرى تدعى "بهيكان" (Bahikan) كانت ملاكة لقريتين، "بايدورا" (Baidaura)، و"بايدوري" (Baidauri) وذلك في سنة ١٦٧٢م[٤٠]، معظم المصادر المعاصرة وتشير إلى تمتع المرأة الهندوسية بحقوق الملكية[٤١].

وخلال هذا العهد صدرت عدة مراسيم (فرمانات) تعزز وتقوّي دور المرأة في حق امتلاك الأراضي والحدائق والمباني وغيرها من الممتلكات، فلقد باع عناية الله وكيل على شرف زوجته بيبي باخي (Bibi Bakhi) عدداً من الأراضي للسيد ميرغلام حيدر[٤٢]، وكذلك باعت السيدة بيبي ساخي أراضي تقدر قيمتها بمائتي ألف روبية، وقد دونت نسخة البيع باسمها، وكتبها الشيخ عبد الرزاق[٤٣].

في موقع آخر حصلت المرأة على منح وأعطيات وهبات، على شكل أراضٍ بغرض توفير سبل الحياة والمعاش لهن[٤٤]، وإنّ سبعين قطعة أرض حددت معالمها وحدودها بوساطة وحدة القياس "الهي يارده" (Ilahi Yard)، وذلك في مقاطعة كول، ومنحت جميعها للسيدة الخاتون كمدد معاشي لها، ولقد حدث ذلك في بداية عهد الملك اورانك زيب[٤٥]، كما ومنحت السيدة "مهام"خمس واربعون قطعة أرض في نفس المقاطعة[٤٦]، وأعطيت السيدة "بيبي" ثماني عشرة قطعة من الأرض سنة ١٧٣٩[٤٧]، وفي عهد الامبراطور "فروخ سيار" أعطى سيدة تدعى "عائشة" خمساً وثمانين قطعة أرض في مقاطعة "كول" (Kol)[٤٨]، وأعطيت السيدة "شاه بيبي"

قطعتا أرض في مقاطعة (جلالي)[٤٩]، وبين ايدينا العديد من المصادر التي تعطينا معلوماتٍ هامة حول المراسيم (الفرمانات) التي يصدرها ملوك المغول بالسماح للنساء في امتلاك الأرض كمصدر من مصادر العيش وحق من حقوق الملكية[٥٠].

٧- الدين (Religion)

سيطرت المشاعر الدينية على حياة جميع النساء في بلاد الهند في عصر دولة المغول، وما قبله وما بعده، سواء أكانت المرأة هندوسية أم مسلمة، في الوقت الذي احتفظت فيه معظم النساء الهندوسيات بمواسم صوم مختلفة، وحافظت على زيارة المعابد المقدّسة، وقرأت الكتب المقدسة، بينما كانت المرأة المسلمة ترتل القرآن، وتؤدي الصلوات الخمس (نماز)، وتصوم شهر رمضان، وفي كلا المجتمعين، الهندوسي والإسلامي، فقد احتفلت المرأة بالأعياد الدينية بكل حماس وتعصب ديني.

وهناك بعض النساء اللواتي آثرن على أنفسهن الانغماس كلية في التعبد والتدين، لتصبح منهن المتصوفات والقديسات (Saint)، ومن بين اولئك القديسات المتصوفات، السيدة بيبي فاطمة "سايمان" (Siman)، شقيقة الشيخ فريد الدين، والسيدة "بيبي ناوني" (Nauni)، وكانت في السابق تتاجر بالتبغ، قد بلغت مرتبة عالية من التصوف[٥٢]، أمّا السيدة "ماتا سنداري" (Mata Sundari)، فقد عاشت في قصر الحريم لدى زعيم طائفة السيك (السيخ) كورو كوبند سنك، وأرست قواعد وسلوك تصوف خاصة، مما حفزّ عدد من أتباع طائفة السيك للانضمام إلى ديرها[٥٣]*، وظهر في مصادر تلك الفترة التاريخية بعض النساء اللواتي انتهجن سلوك الزهد والتقشف والتنسك، وأصبح منهن الناسكات[٥٤].

٨- التعليم

أمّا فيما يتعلق بتعليم المرأة العامة، والفتيات اللواتي يُحْسَبنَ على الطبقات العائلية الوسطى، فلم تحض بقدر وافر من التعليم، فبعضهن ذهبنَ إلى المدرسة، أو التحقن ببيوت خاصة تخضع لإشراف امرأة متعلمة[٥٥]، وأحياناً كان الآباء

يمارسـون التعليم مـعهن، ويقـومـوا بدور المعلم لهن(٥٦)، أمّا فـتيـات الطبـقة الفقـيرة فـهاجرن إلـى الجهل والأمية، باسـتثناء بعضـهن، وهذا نادر الحصـول، وأحياناً كـان الشـيوخ (المُلاّ) يقـومـون على تدريسـهن وتربيتـهن في المسـاجـد(٥٧)، وعند الهندوس تذهب الفـتـاة إلى مـعبـدها(٥٨)، ويغلب على مـوضـوعـات الدراسـة والتـعليم مـا يتـعلق بالعلوم المنزليـة، كـأعـمـال الحـيـاكـة والنسـيج والتطريز والطبخ وأعـمـال البـيت الأخرى(٥٩).

وعمـومـاً، لم يكن التـعليم منتشـراً وسط نسـاء الطبـقات العامـة، فلم تكن لهن مـدارس منتظمـة ومستقلة، ويبـدو أنّ الفتيات كانت تدرس مع الفتيـان بشكل مـختلط، علماً بان هذه الحالة مشكوك فيها، لأن ظاهرتي الحجاب وصرامة القوانين في هذا الاتجـاه كانتـا سـائدتين في ذ لك العصـر(٦٠)، عـلاوة على ذلك، كـان زواج الفتـاة في سن مبكرة يمثل العقبة الكبرى التي عرقلت مسيرة التعليم بين النسـاء(٦١).

---

* أسـست ديانة السـيك (Sikh) على يد المصلح الديني الهندوسي كـورو بابا ناناك (Guru Baba Nanak) ١٤٦٩-١٥٣٩م، وقد اعتمد في دعوته على أسس ومبادئ كثيرة من أهمـها، إن ديانته الجديدة اعتمدت على أصول وأسس الديانتين الإسلامية والهندوسية، وقد نشأت هذه الديانة في شمال الهند، وتحديداً في إقليم البنجاب (Cunningham, History of the sikh, PP. 35-379 and Maculiffe, the sikh Religion, Vol. I, P1.

تركـز نشـاط ديانة طائفـة السـيك في إقليم البنجـاب، وقـد جـاءت نشـأة هذه الديانة مع ولادة امبـراطورية المغـول في الهند، خلفـه من بعده الزعيم أنكاد (Angad) ١٥٣٩م-١٥٥٢م، ثم الزعيم أمر داس (Amardas) ١٥٥٢-١٥٧٤م، حيث أصبح الزعيم الروحي الأعظم لهـذه الطائفة، وجاء بعده الزعيم رام داس (Ramdas) ١٥٧٤م-١٥٨١م، الذي منحـه الامبراطور جلال الدين أكبر سنة ١٥٧٧م منطقة أمرتسار (Amritsar) حيث أقيم معبد السيك الذهبي، ثم جاء أرجان (Arjan) ١٥٨١م-١٦٠٦م، ثم هاركوبند (Hargobind) ١٦٠٦م-١٦٤٥م،

(Khazan Singh, History and Philosophy of the Sikhs, Vol. I, P. 139)المترجم.

٩- الأعمال الادبية

في عهد امبراطورية المغول في الهند نقف أمام تاريخ غامض ومجهول حول تعليم المرأة العامة في المجتمع، ومع ذ لك نجد عدداً من النساء اللواتي حرصن كل الحرص على الاهتمام بالنشاطات الأدبية، فلم يكن الأدب من إلهام وتأثير شعراء ذلك العصر فحسب، بل سعت المرأة إلى المبادرة في إثراء الآداب المعاصرة بأعمالهن الخاصة المتميزة.

وبتمعن عميق للآداب الهندوسية المعاصرة لعهد أباطرة المغول، نقف على إسهامات أدبية غنية للمرأة، سواء من حيث الأدب النوعي أو الأدب الكمي ولإثبات ذلك، نستطيع تقسيم الأديبات الهنديات في عصر المغول إلى ثلاثة أقسام هامة:-

القسم الأول:- اولئك اللواتي خضعن لنفوذ ومؤثرات حركة بهاكتي (Bhakti Movement)، ونظمت الشعر وفقاً لمعتقدات راما (Rama) وكرشنا (Krishna).

القسم الثاني:-اولئك اللواتي سيطرت عليهن تعاليم "ريتي كافيا" المعاصرة، (Contemporary Retti Kavya) المكرسة لخدمة علم البيان وفنون النثر (Rhetorics) وعلم نظم الشعر (Prosody)، وطبيعة جمال المرأة.

القسم الثالث:-اولئك النسوة اللواتي نظمن وألّفنَ الأشعار في موضوعات متنوعة ومختلفة.

على أيّة حال، فمعظم الأديبات والشاعرات كن يستوحين إلهامهن وأفكارهن الأدبية من صلب الدين، وما يرتبط بوثوق الاعتقاد بالآلهة.

أولاً:-الشاعرات القديسات (Saint Poetsses)

إنّ مظاهر النيركوم (Nirgum) في التقوى والإخلاص سيطرت على مشاعر وسلوك العديد من الشاعرات والأديبات، وإنّ الأتباع والتلاميذ الذين يتمسكون بهذه السلوكيات هم أهم شيء لدى المربي والمعلم (Guru) في طائفة السيك (السيخ)،

وكان معظم القديسين والقديسات الشهيرين محطاً إطرائهم ومدائحهم دائماً وبالإضافة إلى العلماء والمثقفين الكبار، فقد تفوق الجميع في الابتعاد عن المؤثرات العاطفية والشعورية، ونهجوا في كتابة أشعارهم على كتابة المواعظ.

ولقد أظهرت المصادر التاريخية إحدى الشاعرات القديسات تدعى السيدة "اندرا ماتي" (Indra mati)، زوجة "بران نات"(Pran Nath) الذي تألق نجمه وإبداعه الادبي في القرن السادس عشر، فألف الكثير سنة ١٥٤٩[٦٢]

وفي عهد الامبراطور جلال الدين أكبر برز عدد من الشاعرات القديسات كالسيدة "كانكا" (Ganga)، والسيدة "جامونا" (Jamuna)، وهن من مريدات "هت جاي" (Hit Ji)، الذي حاز شهرة كبيرة في هذا العصر، وهو من أتباع مدرسة "كالماشي ديڤي" (Kalmashi Devi) ومدرسة "راني رار داهري" (Rani Rar Dhari)، ومدرسة "ناڤلا ديڤي" (Navla Devi)[٦٣]،والمعلومات التي تتحدث عن حياتهن وأعمالهن ليست متوفرة في المصادر التاريخية التي نعتمد عليها في هذه الدراسة.

استمر التمسك بهذه التقاليد والعادات، وتألقت طائفة من النساء في القرن الثامن عشر الميلادي، ومن بينهنّ نذكر السيدة "دايا باي" (Daya Bai) مريدة القديس "تشاران داس" (Charan Das)، التي ألفت ونظمت أشعارها حوالي منتصف القرن الثامن عشر، ومن أهم أعمالها المتوفرة اليوم هي، "دايا بوده" (Daya Bodh)، و"ڤينايا مالكه" (Vinaia Malkah)[٦٤]، وهناك السيدة "سهاجوبابي "التي عاصرت "دايا باي"، وهي من أتباع القديس تشاران داس أيضاً، ومن أهم وأشهر اعمالها يعرف بـ"سهاج براكاش" (Sahay Prakash) حيث كتبت عن سيرة المربين والقديسين ومختلف القديسات[٦٥]

ثانيا:- شاعرات مدرسة كرشنا (Poetesses of Krishna School)

هناك تياران هامان شكّلا المفاهيم الدينية التي تنطلق منها تعاليم مدرسة كرشنا، التيار الاول: مدرسة كرشنا، والتيار الثاني: مدرسة راماتا، بحيث كان الاله كرشنا من أكثر الالهة في الهند جذباً للنساء، فقد نذر العديد منهن أنفسهن لخدمة تعاليم كرشنا، والدعوة والتبشير لها في كل مكان، ومن هذه النساء من نظمت الشعر تمتدح الاله كرشنا وتعظّمه، أمّا السيدة ميراباي" (Mira Bai) التي ظهرت في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، تعتبر أهم واشهر شاعرة من بين كل الشاعرات اللواتي يمثلن هذين التيارين، وهي التي تزوجت بحاكم اديبور (Udaipur)[٦٦]، وتعد من أخلص النساء اللواتي نذرن أنفسهن لخدمة الدين وخدمة الإله كرشنا، ونظمت العديد من الأشعار في تعظيمة وتقديسة، وهناك عدد من أعمال ميرا باي الادبية لا زالت موجودة إلى يومنا[٦٧]، أمّا من حيث طبيعة أشعارها فكانت بسيطة وواضحة، ويغلب عليها اللحن والايقاع الموسيقي، أمّا اللغات التي ألفت بها تلك الشاعرات فكانت بلغة "راجستان"، وبراج (Braj) والكجرات.

وهناك شاعرة أخرى تتبع هذه المدرسة هي الشاعرة "باڤري صاحب" (Bavri Saheb) التي عاصرت عهد الملك جلال الدين أكبر، وهي من مريدي (أتباع) "بهاياناند" (Bhayanand)، ولكثرة عشقها بالاله، اشتهرت(بباڤري) أي المجنونة، نظمت عدداً من الأشعار، وكانت ضليعة باللغتين الهندية والأوردية[٦٨].

وثالث أهم شاعرة في مدرسة كرشنا، فهي السيدة "كانكابي" (Ganga Bai)، عاشت في ماهڤان (Mahvan) بالقرب من ماثورا (Mathura)، وهي من أتباع القديس "ڤيتال داس" (Vital Das)[٦٩]، ولم نعرف الكثير عن حياتها، وكتبت أعمالاً مستقلة عرفت بـ "كانكابي كي پاد"، ونجد من أعمالها الشعرية الشهيرة في مجموعات أعمال "پاشتي مرج" (Pushtimarg)، وهي مجموعة قام بجمعها عددٌ من رجالات الدين.

امّا السيدة "سون كوماري" (Son Kumari) التي تألقت في منتصف القرن

السادس عشر، فهي تتبع نفس الجماعة، فكانت اميرة على عائلة "أمبر" (Amber)، ولها أعمال أدبية مميزة[٧٠].

ويوجد واحدة من أبرز واعظم شاعرات هذا العصر هي السيدة "تاج" التي ألفت وكتبت في القرن السابع عشر، لكن تفاصيل حياتها غير متوفرة لدينا فيما نطالع من مصادر تاريخية، نعرف إنّها عاشت في إحدى القرى المعروفة باسم "كارولي" (Karoll)[٧١]، وهي من الشاعرات المسلمات، لكنها تميل إلى الاعتقاد بالإله كرشنا، نظمت العديد من الأشعار المتعلقة بمديح كرشنا، وقد احتلت مكانة كبيرة في الأدب والشعر الهنديين، بحيث تأتي من حيث الأهمية بعد الشاعرة الشهيرة " ميراباي"[٧٢].

وهكذا، ظهر في مدرسة الإله كرشنا العديد من الشاعرات المتفوقات والمتألقات، حيث تمحورت أشعارهن حول تقديس وتعظيم الإله كرشنا وما جاء به من تعاليم، ومن وجهة نظر الأدب فقد حققن نجاحاً كبيراً كالشاعرة ميراباي والشاعرة تاج، اللواتي حصلن على مراتب متقدمة وعالية في هذا المضمار.

ثالثاً:- شاعرات مدرسة الإله رامات (Ramat School)

الشعر والشعراء في مدرسة الإله رامات لم تحتل موقعاً هاماً ولا كافياً في المصادر التاريخية، فالمصادر تشير إلى وجود شاعرة واحدة فقط، وهذا دليل على أنّ فلسفة وعقيدة هذه المدرسة لم تكن شائعة في الأوساط الاجتماعية، كما هي حال مدرسة كرشنا التي منحت أتباعها ومريديها حرية فكرية مطلقة، بينما راما (Rama) كان وثنياً مؤلهاً، ولذلك فرض قيوداً صارمة على حرية الفكر والتعبير.

والشاعرة الوحيدة التي أشارت إليها المصادر التاريخية هي الشاعرة "مطهر علي" (Madhur) التي ألّفت اشعارها في النصف الأخير من القرن السادس عشر، عاشت في "اورتشه" (Orchcha)، في الوقت الذي كانت المملكة تحكم من قبل "مذكر على"[٧٣]، وكان نشاطها الأدبي ومؤلفاتها الشعرية غير متوفرة حالياً".

ونلاحظ، وخلال القرن السادس عشر، تألق الشاعرة الكبيرة المدعوة "تشاندرا ڤاتي" (Chandravati) ابنة الشاعر المشهور "بام سيداس" (Bam Sidas)، نظمت اشعاراً راماتية تمتدح فيها الإله راما[٧٤].

رابعاً:- شاعرات رتيي كاڤيا (Poetesses of Reeti Kavya)

خلال العهد المغولي تطور الشعر الهندي تطوراً واضحاً، وأضحى نزاعاً للتأكيد على تقنية شعرية منغمسة في كشف الجمال الجسماني للمرأة. واشتهر شعراء هذه المدرسة بشعراء "ريتي" (Reeti)، والتي استقطبت الكثير من النساء، كان من بين هؤلاء، السيدة "برڤين راي پاتور" (Parveen Rai Patur)، والسيدة "رپ ماتي" (Rup Mati)والسيدة "تين تارنج" (Teen Tarang)، والسيدة "رانجارجين" (Rangarjin)، ومعظمهن تألقن في النصف الأخير من القرن السادس عشر، والنصف الأول من القرن السابع عشر.

أمّا "برڤين" فكانت راقصة ومغنية، وهي مهنة مارستها يومياً من أجل الحصول على المال، لكنها طورت فنونها وأدبها في بلاط الراجا "اندراجت" (Indra Jeet) ملك اورتشا (Orchcha)الذي رعاها حق الرعاية، وكان عينه بارعاً في الموسيقى[٧٥]، ويذكر ان "برڤين" كانت تغني غناءً من تأليفها، وكانت أعمالها غير متوفرة، وإنّ ما توفر منه، كافٍ لبرهنة براعتها وتألقها في هذا الميدان[٧٦]، أمّا الشاعرة الثانية "رپ ماتي" فهي ابنة لعاهرة مدينة "سرانك پور" (Saraug Pur)، وقليلة هي المعلومات التي تتحدث عن حياتها[٧٧]، أمّا الشاعرة الثالثة التابعة لهذه المدرسة هي "تين تارنج" هي الأخرى، كرست اهتمامها الأدبي والشعري تحت رعاية الراجا مذكر شاه[٧٨].

وآخر شاعرة من أتباع هذه المدرسة هي "شيخ وانجارجين" ولدت من أسرة مسلمة، وتأثرت بنظام الطبقات الهندي (Caste system)[٧٩]، وكانت في صباها تعمل في صنع الثياب من أجل الارتزاق و المعاش، ويبدو إنّها كانت تتمتع بحرية

الوصول إلى بلاط المغول، وكثيراً ما كانت تزور بلاط الأمير معظم[٨٠]، وتزوجت فيما بعد بالأمير عالم، وطفق الاثنان، الزوج والزوجة يؤلفون الشعر، وقد امتزج شعرهم باللغتين العربية والفارسية[٨١]، وجمعت أشعارها في كتاب عرف بـ "عالم كيلي" (Keli)[٨٢].

خامساً: شاعرات متنوعات

بالإضافة إلى التيارات الشعرية السابقة والتي كانت تسيطر على الاتجاهات الأدبية والفنية، ظهر تيارٌ آخر يختلف اختلافاً كلياً من حيث المضامين وهو تيار الشاعرات اللواتي اهتممن بتأليف ونظم الأشعار ذات الموضوعات المختلفة، كالأخلاق، وأعمال المرأة، وطاعة الزوج، إلى غير ذلك، وأول شاعرة تشتهر في هذا النوع من الشعر هي الشاعرة "راتناڤالي" (Rantavali) زوجة القديس والشاعر الشهير "تلسي داس" (Tulsi Das)، إذ نظمت مقاطع شعرية مؤلفة من نوع الدوبيت (بتييه)[٨٣].

وهناك شاعرة أخرى تدعى "خاقانية" (Khaganiya)، تألقت في القرن السابع عشر، وهي فتاة قروية، ألّفت عدداً من الأحاجي والألغاز التي أصبحت شائعة ودارجة بين الناس[٨٤]، وشاعرة أخرى هي ابنة أخت القديس "كيشاڤاداس" (Keshava Das)، أمّا المعلومات التي تتحدث عن حياتها ضئيلة جداً، رغم إنّها أشهر شاعرة هندية في القرن الثامن عشر الميلادي، يقال إنّها اهتمت في نظم الأشعار المختلفة الأغراض[٨٥]، وأخيراً، هناك السيدة "كافي راني تشاوب" (Kavi Rani Chaub) اهتمت بنظم الشعر وتأليفه، عاشت في بلاط "بوده سنك" (Budh Singh)، ملك بندي (Bundi)، والعصر الذي اشتهرت فيه هو نهاية القرن السابع عشر الميلادي[٨٦].

وعلاوة على ما سبق من حديث عن الشاعرات النساء، فقد ظهرت سيدات شاعرات في مناطق راجستان أبدعن في نظم وقرض الشعر المختلف الأغراض، وان

هؤلاء جميعاً كنّ يخدمن في بلاط الحاكم راجستان، وعملن خادمات للملكة راجستان[٨٧]، من بين هؤلاء السيدة "تشابا دي راني" (Champa De Rani)، كانت متزوجة من شقيق ملك بيكانير (Bikaner)، المشهور بقرض الشعر ونظمة، وقد ساعدت زوجها على الإبداع في حقل الشعر، لكن أعمالها الشعرية غير متوفرة[٨٨] واشتهرت في نهاية القرن السادس عشر.

أمّا الشاعرة الأخرى تدعى "پادما تشاريني" (Padma Charini) تألقت في القرن السادس عشر، وتزوجت من "بهارت شانكار" (Baharat Shankar) وخدمت في بلاط ملك بيكانير (Bikaner) من أجل الحصول على الأموال[٩٠].

وتنتمي الشاعرة "كاك رتيشي جي" (Kak Recli Ji) إلى مجموعة (دينكال) تألقت في عهد الامبراطور شاهجهان[٩١]، أمّا الشاعرة "ناتهي" (Nathi)، التي كرّست حياتها في الدعوة إلى تعاليم فشنا نظمت الشعر، وتألقت في عهد الامبراطور اورانك زيب[٩٢].

لَمْ ترتقِ أعمال جميع النسوة الشاعرات الأدبية إلى المستوى المتطور في ذلك العصر[٩٣]، وعلى العموم، فإنّ الأعمال الأدبية التي قدمتها المرأة في مضمار الأدب الهندوسي هي جديرة بالاهتمام والتقدير، ففي تلك الظروف التي مرت بها المرأة الهندية، وهي ظروف صعبة، فمن العدل القول إنّها قدمت كل جهدها في التعرف على كل فرع من فروع الأدب، إلاّ في مدرسة "بريم مارجي" (Prem Maragi)التي لم تظهر فيها شاعرات إطلاقاً، وكان معظم ما أبدعته المرأة الهندية من أعمال فنية وأدبية (شعراً ونثراً وادباً) مجهولاً.

سادساً:- المرأة والدراسات السنسكريتية

في الواقع إنّ اهتمام المرأة تجاه دراسة اللغة والأدب السنسكريتي كان يمر في ظروف مختلفة وانحطاطية، ويبدو أنّ الدراسات السنسكريتيه محدودة النطاق، ومقتصرة على بعض الطبقات الاجتماعية، ولم تلق المرأة هنا، أيّ تشجيع نحو تعلم

السنسكريتيه وآدابها، وحتى في الأقاليم الجنوبية للهند، فإنّ اهتمام المرأة بالآداب السنسكريتية نجح نجاحاً محدوداً.

وتوجد أسباب أخرى حالت بين المرأة وبين الاهتمام بدراسة اللغة والأدب السنسكريتي، كبروز ظاهرة الاهتمام باللغات الاقليمية والمحلية والتي لاقت ترحيباً كبيراً وسط النساء، إذ حصلن على تسهيلات كبيرة لتعليم اللهجات لسهولتها من جهة، وسهولة التعبير بها أكثر من اللغة السنسكريتيه من جهة ثانية، أو محدودية التعليم الرسمي في حقل اللغة السنسكريتية شكّل عائقاً كبيراً حال دون تفوقهن وإبداعهن في هذه اللغة، وأخيراً، تأثير اللغة الفارسية الواسع النطاق إذ غدت هذه اللغة، لغة البلاط الرسمية، ولغة الفكر والعلم، وهذا ما أضعف من شأن السنسكريتيه ودورها الكبير في المجتمع.

وعلى الرغم من كل المعوقات التي اعترضت مسيرة اللغة السنسكريتية، فإنّ المصادر التاريخية تشير إلى شاعرة واحدة لمعت في ميدان اللغة السنسكريتية في عهد المغول، وهي السيدة "بريامافدا" (Priyamavda)، وهي ابنة "شيفارام" (Shiva Ram)، عاشت في منطقة فريدبور شرق مقاطعة البنغال سنة ١٦٠٠م، وقد ألّفت عملاً شهيراً سمي "شياما رهاسيا"، وإنّ معظم أعمالها ومنظوماتها الشعرية كانت في مديح وتقديس الإله كرشنا[٩٤].

١٠- اللباس

كان عموم لباس النساء وسط المجتمعات الإسلامية يحتوي على القميص والسروال[٩٥] وهيئة السروايل تختلف من امرأة إلى أخرى، فمنهن من لبست التنورة الفضفاضة[٩٦]، في حين كانت بعض السيدات الثريات يلبسن الشال الكشميري، وعند خروج المرأة خارج بيتها تغطي رأسها بالخمار[٩٧]. ولقد أوضح معظم الرحالة الأجانب الذين ساحوا في أرجاء الهند في فترة الحكم المغولي، طبيعة اللباس السائد بين نساء المسلمين[٩٨]، امّا المرأة الهندوسية، فكانت تلبس قميصاً

يلف صدرها ويعرف بـ (تشولي)[٩٩]، ثم لبست الساري[١٠٠]، وقد ورد ذكر الساري في معظم المصادر الأدبية الهندية[١٠١]. وأغلب النساء الهنديات كنّ معجبات باللباس الأحمر[١٠٢]، وحينما وصف الرحالة مانوشي لباس الفتيات الهنديات، كتب يقول:- إنّ معظم الفتيات الهنديات ولغاية سن التاسعة أو العاشرة يلبسن نفس لباس الفتيان، بعد هذا السن لبسن قطعة قماش بيضاء أو قماشاً مصنوعاً من القطن الأحمر مما جعلها شبيهة بالتنورة (Petticoat)، وأحياناً تكون قطعة قماش الساري مصبوغة من لونين، وإنّ نصف قطعة القماش ترمى على الأكتاف أو على الرأس في حالة تكون فيها المرأة بمواجهة الرجال، وعند ذهابهن للحقل أو البئر أو لتأدية أعمال بيتية يحتفظن بكل الساري حول الورك[١٠٣].

أمّا عادة المرأة البنغالية في استخدام هذا الثوب فمختلفة تقريباً، حيث تتخذ المرأة قماشاً جيداً لصناعة الساري (Sari)[١٠٤]، وبأشكال وألوان مختلفة، ويلبس معه تنورة على الصدر تسمى "كانتشوكي" (Kanchuki)[١٠٥]، والكانتشوكي كانت على ضربين، الأولى قصيرة تغطي (الثديان) فقط صدر المرأة الأثداء، أمّا الثانية فطويلة تصل إلى وسط المرأة (وركها) ويشد من الخلف بمطاط خاص لتثبيت الساري، وفي نفس الوقت كان هذا النوع من اللباس مزخرفاً بصورة جميلة، كما واستخدمت المرأة ملابس داخلية شبيهة بالتنورة[١٠٦].

أمّا اللباس الشائع الاستعمال وسط النساء الراجبوتيات فيعرف بـ "لاهانكا" (Lahanga) وتشولي (Chali)، والأول: ثوبٌ طويلٌ فضفاضٌ، امّا تشول فهو عبارة عن بلوزة لبست في الجزء العلوي من الجسم، واستخدمت المرأة ملحفة كبيرة لغطاء الرأس والجسم العلوي منه[١٠٧].

وفيما يتعلق بلباس المرأة من طائفة السيك (Sikh)، فقد لبست سروالاً يسمى "سوتهان" (Suthan)[١٠٨] وهو مصنوع من القطن الملون، ومعظم نساء هذه الطائفة لبسن الكرتة والصدرية (Waist Coat)[١٠٩]، كما استخدمت المرأة تشادر (ملحفة) تغطي الرأس والكتفين، وتكون ملونة في حالة صغر سن الفتاة، أو غير ملونة، وهي

مصنوعة من القماش الخشن (Coarse)، وهذا النوع من اللباس يكون صفيقاً في الشتاء، وخفيفاً في فصل الصيف، وأحياناً يكون مصبوغاً أو مزخرفاً بالورود الحريرية[110]، كانت المرأة في أغلب الأحيان من طائفة السيك تلبس الساري[111]، وكانت معظم الثياب المستخدمة يومياً تغزل وتنسج في البيت، وتكون متينة قوية[112]، وأكثر الأصباغ استخداماً فكانت النيلة الزرقاء (Indigo)، والورد الزعفراني: الأحمر والأصفر.

وحول طبيعة لباس المرأة في إقليم الكجرات، يذكر الرحالة دورات بربوسا (Durat Barbosa) الذي زار الهند في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي، إنّ لباس النساء طويلٌ كلباس الرجال، كما لبست المرأة صدرية حريرية لها أكمام ضيقة، ولها فتحة من الخلف، وهناك لباس آخر يسمّى تشادر (ملحفة) تنشرها النساء فوق أجسادهن كعباءة فضفاضة حينما يردن الخروج خارج البيت[113].

أمّا المرأة الكشيمرية فقد تميّزت بلباس أنثوي خاص[114]، يغطي جسدها من الرأس حتى أخمص القدمين، ومع ذلك لم يستخدمن السراويل الداخلية، أمّا الحزام فاستخدم من قبل الجنسين (الذكور والإناث)، كما لبست المرأة الهندوسية لباساً ملوناً، ويكون عادة أحمر داكناً (Maroon) أو أزرق، بينما يضعن حزاماً من القماش الأبيض في وسطهن[115]. أمّا المرأة الكشميرية المسلمة فلم تتّخذ من الحزام لباساً لها، ومعظم لباسهن غنيٌ بالزخرفات والنقوش[116].

إلى جانب ذلك، كانت المرأة تتّخذ عصابة للرأس، وتضع فوقها وشاحاً يسقط من رأسها على كتفيها حتى القدمين[117]، وقد سُمّي لباس الرأس عند المرأة المسلمة بالقصبة وعند الهندوسيات "تارانج" (Tarange)[118].

١١- الزخرفة Ornaments

الزخارف التي كانت تنتشر وتستخدم وسط عامة نساء المسلمين والهندوس هي نفسها التي استخدمت عند سيدة البلاط الملكي المغولي، إلاّ أن هناك اختلافاً

جوهرياً بين زخارف الملكات والنبيلات وبين عامة النساء، هذا الاختلاف تمثل بالنوعية والاسم فقط[١١٩]. وقد استعملت المرأة العادية الذهب، والفضة والأحجار الكريمة والمجوهرات والنحاس والزجاج والعاج والقصدير[١٢٠].

هوامش الفصل الثامن

1- Buhler, The law of manu, P. 85.

2- Kabir DAs, Bijak, P. 189.

3- Keshav, Ram Chandrika, Part, I, P. 134.

4- Ibid, P. 135.

5- Dadu Dayal, Dayel Ki Bani, P. 95.

6- Dubois, Hindu manners, Customs and Cermonies, P. 346.

7- Roe and fryer, Travels in the Seventeenth Century PP. 117-118.

8- Fitch, Early Travels, P. 19.

9- Upadhyaya, op-cit, P. 150.

10- Ain, VOl,. III, P. 339.

11- Manucci, Vol. III, p. 61

12- Ibid, III, P. 55, Manucci Says that it is not uncommon for ahusband to by his wife, in case after the cermony the groom refused, to marry the girl, he lost the money, and if the girl refused, her parents had to return double the amount.

13- T. C. Das Gupata, Aspects of Bengali Society, P. 4.

14- Ibid, P.3.

15- Ain, I, P. 277.

16- Manucci,III, PP. 54-59.

17- Careri, P. 248.

18- Terry, Early Travels, P. 309; Purchas, Vol. I, P. 31. Marshal, P. 328; Thevenot, PP. 66-118.

19- Badauni, VOl. II, P. 367; Careri, PP. 256-257. Says that the low classes hindus like milkman, gardners, washermen, fishermen, etc. allowed their widow to remarry.

20- manucci, Vol. III,P. 60.

21- Bernier, P. 314.

22- withington, Early Travels,P. 219.

23- Pietra Della Valle, P. 435.

24- Careri, P. 250.

25- Bernier, PP. 315-314.

٢٦- روى الرحالة وليم فيتش (William Fitch)الذي زار الهند ما بين عام ١٥٨٣-١٥٩١م عادات نساء الهند في ممارسة الساتي، فقال: عندما يموت الزوج تحرق زوجته معه في حال بقائها على قيد الحياة، واذا ما رفضت الانصياع وامتنعت عن ذلك، كان يحلق شعرها ولا يبقى لها أيّة نصيب من الميراث ويروى الرحالة دي لايت (De Laet)انه عندما يموت الزوج تقوم الأرملة وبمحض إرادتها بالقفز إلى المحرقة التي أعدّت لحرق جثة زوجها، (PP. 78-79) وقال الرحالة بلسرت (Pelsaert): عندما يموت الراجبوتي تسارع زوجته إلى حرق نفسها مع جثة زوجها وهي حية، وكان يقام هذا التقليد ثلاث مرات اسبوعياً في مدينة اكرا .(Agra, PP.78-79)

27- Della Vella Valle, P. 84.

٢٨- قال الرحالة بليسرت هناك المئات بل الألوف من النساء اللواتي رفضن التقييد بقوانين خطة الساتي .(P. 80)

29- Akbar nama (Bev.), Vol. II, P. 472; Tod, Annals and Autiquities of Rajasthan, vol. I, PP. 363, 381.

30- Badauni Says: if ahindu women Wished to be burnt with her husband, they shoud not prevent her, but she should not be forced against her will, vol. II, P. 388).

31- Withington, Early Travels,P. 219.

32- Manucci says, Aurangzeb issued an order that in all lands under the mughal control never again should the officals allow women to burnt, vol. II, P. 97.

33- Tavernier, Vol. II, PP. 210-216.

34- Fryer, P. 181; Delaet, P. 81.

35- De Laet, Vol. I, PP. 44-45; Tavernier, P. 181. Manucci, Vol. II, P.175;Thevenot, P. 53 Hamilton, Vol. I, P. 163; Fryer, VOl. II,PP. 117-118. Barbosa. Vol. II, p. 147.

36- Bernier, P. 413; Pietra Della Valle, P. 461. P.N.Chopra, society and Culture in Mugual Age.

37- De Laet, P.81.

38- Irfan, Habib,Agrarian system in mughal India, P. 55.

39- Ibid, P. 155.

40- Ibid.

41- Ibid

42- Farman No. 2 (1737 A. d) in the Azad Library Aligarah Muslim University, It is aseal Deed.

43- Farman No. 22.

44- Ain, Vol. I, PP. 198-199.
45- Farman No. 212.
46- Farman No. 213+220.
47- Farman No. 176 (1739 A.D)
48- Farman No. 195.
49- Farman No. 196.
50- FArman Nos. 198, 201, 205, 207, 209, 216, 221.
51- Chattarman Kayatha, Chahar Gulsan, F. 28.
52- Ibid, FF. 36-37.
53- Ibid,F. 150.
54- Herman Goet, The Art and Architecture of Bikaner state, P. 172.
55- Yusuf Hsain, THe Educational System in Medieval India, (Islamic Culture, Vol. XXX, 1956) P. 122.
56- Sarkar, Stndies, PP. 301-302.
57- Ibid, Jafar, P.8
58- P. N. Ojha, Some Aspects of Northen Indian social life, P. 110.
59- Manucci,Vol. III,P. 55.
60- Law, P. 200.
61- SArkar, Studis, P. 301.
62- Sinha, P. 93.
63- Sahitya Prakash by Rasel, P. 109.
64- Sinha, P. 67.
65- Ibid,PP. 51-52.
66- Sinha,P. 105.
67- Sinha, PP. 131-132.
68- Dwivedi, Hindi Sahitya, P. 140.
69- Sinha, P. 158.
70- Sinha, P. 158.
71- Sinha, P. 186.
72- Sinha,P. 192.
73- Sinha, P. 222.
74- T. C.Das Gupta, Aspects of Bengali Society, P. 20).
75- Sinha,PP. 239-340.

76- Sinha, PP. 240-241.
77- Sinha, P. 248.
78- Sinha, P. 252.
79- Sinha, P. 252
80- Sinha,P. 268.
81- Sinha, P. 268.
82- Sinha, P. 254.
83- Ibid, P. 280.
84- Ibid, P. 287.
85- Ibid, P. 288
86- Ibid, P. 289.
87- Ibid, P, 289.
88- Ibid, PP. 36-37.
89- Ibid,PP. 30-31.
90- Ibid, P. 31.
91- Sinha,P. 35.
92- Sinha,P. 34.
93- Ibid, P. 28.
94- M. Krishnamachari, History of classical Sanskrit Literature, P. 394.
95- Pietra Della Valle, P. 411.
96- Manucci,Vol. II,P. 341.
97- De Laet,P. 81; Terry,P. 309.

٩٨- كتب الرحالة هملتون الذي زار الهند من عام ١٦٨٨م إلى عام ١٧٢٣م، يقول عن ثياب النساء الهنديات، ان ملابس النساء مختلفة نوعاً ما عن لباس الرجال .(Vol. I, P. 163)

99- Ain,Vol. II,P. 343.

١٠٠- وصف بابر مؤسس امبراطورية المغول في الهند سنة ١٥٢٦م هيئة الساري الذي لبسته المرأة في الهند، بانه لباس يلف جسد المرأة، لا سيّما حول وسطها، وجزء منه يوضع فوق الرأس ,(B. Nama, (Bev.), I. P, ٥١٩) امّا الرحالة تافرنير فقال: إنّ لباس المرأة الهندية بسيط، فهو قطعة من القماش يعمل منها خمس أو ست لفات من ورك المرأة تعلو بعضها بعضاً (Vol, II,P , ٤٢).

101- Padmavat of Jayasi, P. 179. Biharsatsai,P. 43.

102- Manucci, vol. II, P. 341; Pietra Della Valle, I,P 45.

103-Ibid, II,P. 40.

104- T. C. Das Gupta, op-cit, PP. 46, 228-270.

105- Ibid, PP. 288-89.

106- Ibid, P. XXVII, Introduction.

107-Ojha, History of Rajputana, Vol,I, P. 19.

108-H. R. Gupta, History of the Sikhs, P. 291.

109-Ibid, P. 112.

110-Ibid, P. 291.

111-Ibid

112-Ibid

113-Book of Durate Barbosa, by mansel Dames Vol, I, PP. 113-114.

114-W. R. Lawerence, THe valley of Kashmir, P. 251.

115-Ibid, P. 252.

116-Ibid, P. 252.

117-Monhibul Hassan, Kashmir under the sultans, P. 229.

118-Lawernce, op-cit, P. 251.

119-T. C. Das Gupta, op-cit, pp 51-56.

120-Fitch, Early Travels, P. 13.

قائمة المصادر والمراجع

BIBLIOGRAPHY

1. PRIMARY SOURCES

(i) Persian

Abbas Khan Sarwani. *Tarik-i-Sher Shahi,* Tr, by Elliot and Dowson, Vol. IV.

Abdul Hamid Lahori. Padshah nama, Edited by Kabir Aldin Ahmad and Abdal Rahim. Cacuta, 1868.

Abul Qadir Badauni. Muntak-hab-ut-Tawarikh, Tr. Vol. I. by S. A. Ranking, Vol. II,By W. H. Lowe., Calcutta, 1884 and 1924.

A bul Fazl. Ain-i-Akbri, T. Vol. I, by H. Blochmann Vol.

II and III, by H. S Jarrett. Calcutta, 1873, 1942 and 1948.

_________ Akbar Nama. Tr. by H. Beveridge. Calcutta, 19.2.

Aqil Khan Razi. Waqiat-i-Alamgiri, Ed. by Maulana Haji Zafar Husain. Delhi, 1946.

Aurangzeb. Adub-i-ALamgiri. Abdus Salam Collection, Azad Library, Aligarh University.

_________Ruggat-i-ALamgiri, MS. Lytton Collection, Aligarh University, also Tr. by J. H. Bilimoria, Bombay.

Anand Ram mukhlis. Mirat-ul-Istila, MS. Transcribed by pt.

Thakur Das, Anjuman Tarakki, Aligarh, 1921.

Amir Khusru. Deval Rani Khizr Khan. Tr, by S.A. A. Rizvi in Khilji Kaleen Baharat, Aligarh, 1955.

Afif. Tarikh-i-Firoz Shahi, Tr. by S. A. A. Rizivi in Tughlaq Kaleen Bharat, Vol.II. Aligarh, 1956.

Babur, Babur Nama, Tr. by A. S. Beverid ge. London, 1922.

Bayazid Biyat, Tazkirah Humayn-wa-Akbar. Calcutta, 1941.

Barani, Ziauddin. Tarikh-i-Firoz-Shahi, Tr. by S. A. A. Rizvi in Klilji Kaleen Bharat. Aligarh, 1955.

Chittraman Kayath. Chahar Gulshan, MS., Azad Library, Aligarh University.

Ferishta Tr. by J. Briggs entitled History of the Rise of Mohammedan Power in India till the year a. D. 1612. London, 1829.

Gulbadan Begam Humaym Nama, Tr. by A. S. Beveridge. London, 1902.

Hamiduddin Bahadur. Ahkam-i-Alamgiri, Tr. by J. N. Sarkar Calcutta, 1912.

Ibn Batuta, Rihla, Tr, by S. A. A. Rizivi in Tughlaq Kaleen Bharat. Vol. II. Aligarh, 1956.

Isami. Futhuh-us-salatin, Tr, by S. A. A. Rizvi in Khilji Kaleen Bharat. Aligarh, 1955.

Jahangir. Tuzuk-i-Jahangiri, Tr. by Rogers and Beveridge. London, 1909. Hindi Tr. by Braj Ratan Das, Benares.

Jauhar. Tazkirat-ul-Waqiat, Tr. by Charles Stewart. London, 1832.

Kamgar Khan. Maasir-i-Jahangiri, tr. by Elliot and Dowson, Vol. VI.

Khafi Khan. Muntakhab-ul-Lubab. Calcutta, 1874.

Khwaja Nizamuddin Ahmad. Tabqat-i-Akbari, Tr. by B. De.

Calcutta, 1931. Elliot and Dowson, Vol. V.

Muatamid, Khan. Iqbal Nama-i-Jahangir, Calcutta, 1865. Tr. by Elliot and Dowson, Vol. VI.

Muhammad Qzim. alamgir Nama. Calcutta, 1866.

Muhammad Saleh Kambu, Amal-i-Saleh, Ed, by Ghulam Yazdani. Calcutta. 1939.

Muhammad Wris Badshah Nama, MS. (Transcription), History

Department, Aligarh Universty.

Minhaj-us-Siraj Tabqat-i-Nasiri, Tr. bt H. G. Raverty. Lodon, 1881.

Muhammad Hadi Tatimma-i-Waqiat-i-Jahangiri, Tr. by Elliot and Dowson, Vol. VI.

Mulla Kami Shirazi. Fath Nama-i-Nurjahan Begam, History Department,Aligarh University.

Munshi Ghulam Husain Taba Tabai. Siyar-ul-Mutaakhirin, History Department, Aligarh University.

Muhammad Bakhsh Asshub. Tarik-i-Shahadat-i-Farrukh Siyarwa-Julus-i-Muhammad Shahi Badshah. Rotograph, History Department, Aligarh University.

Muhammad Hadi Kamwar Khan. Tarikh-i-Salatin Chughtai, MS., History Department, Aligarh University.

Niamatullah. Makhzan-i-Afghana, Tr. by Nirod Bhushan Roy, Shantiniketn, 1958.

Nuruddin Faruqi. Jahandar Nama. Rotograph, History Department, Aligarh University.

Qazwini. Badshah Nama. Transcription, History Department, Aligarh Universty.

Saqi Mustaid Khan. Maasir-i-Alamgiri, Tr. by J. N. Sarkar. Calcutta, 1947.

Shah Nawaz Khan. Maasir-ul-Umara, Vols. I & II, Tr. by H.

Beveridge and Baini Prasad. Calcutta, 1911 and 1952.

(ii) Foreigin Travellers (الرحالة الاجانب)

Barbosa, D. The Book of Durate Barbosa. Marsel Longmerth Dames. Hak Society, London, Second Series, No. XLIV.

Bernier, F. Travels in the Mughal Empire (1656-68). Archibald Constables and Company, London.

Bowry, Thomas, Geographical Account of the Countries Round the Bay of Bengal (1669-79), Ed. by R.C. Temple. Hak Society, London, 1905.

De Laet, Joannes. The Empire of the Great Mogal, Tr. by J. S. Hoyland and S. N. Banerji. Bombay, 1928.

Foster, W. Early Travels in India (1583-1619). Oxford, 1921.

I. Ralph Fitch, 2. Withlliam Finch.

Hawkins, 5. William Finch.

________ Letters Received by the East India Company by Its Servants in the East. London, 1897.

________ English Factories in India (161-1664). Oxford, 1906. Forbes Oriental Memoirs.

Fryer, John. New Account of East Indies and persia, Ed. by W. Crooke, Hak. Society, London, 1912, Second Series, No. XX.

Hamilton, Alexander. Account of the East Indies. Edinburgh, M. D. CCXXVII.

John Marshall. In India (1668-1672), Ed. by Shafat Ahmad Khan Oxford, 1927.

Journal of John Jourdain (1608-17), Ed. by W. Foster, Hakluyt Society, Oxford, Second Series, No. XVI.

Manrique, F.S. Travels of Fray Sebastien Manrique (1629-1643), TR. by

Luard and Hosten. Hakuyt Society, Oxford.

Monserrate, S. F. The Commentary (1580-82), Tr. by J. S. Hoyland and by S. N. Banerji. Oxford, 1922.

Manucci, Niccla. Sroria Do Mogor (1653-1708), tr. by William Irvine. London, 1907.

Mundy, Peter. Travels of peter Mundy in India in Europe and Asia (1608-1667), Ed, by R. C. Temple, Vol. II, Hak. Society, 1914.

Norris. Norris Embassy to Aurangzeb (1699-1702) by Harihar DAs and S. C. Sarkar. Calcutta, 1959.

Ovington, J. Voyage to Surat in the year 1689. London, 1896.

Pelsaert, Francisco. Jahangir's India. (Remonstrantie of francisco Pelsaert), Tr. by W. H. Moreland and Geyl. Cambridge. 1925.

Pietra Della Vale. Travels of Pietra Della Valle in India, Tr. by G. Havers and Ed. by Edward Grey, Hak. Society, 1892.

Purchas, S. Purchas, His Pilgrims, Vols. II, III, IV. Glasgow. 1905.

Roe, Thomas. The Embassy of Sir Thomas Roe to the Court of the Great Mughal (161501619), Ed. by William Foster, Hak. Society, London, Second Series, No. J.

Ralph Fitch. England's pioneer to India and Burma, Ed. By J. Horton Rylay. London, 1899.

Stavorinus, J. S. Voyage to the East Indies,Tr. by Samuel Hull Wilcocke. London, 1798.

Tavernier, J. B. Travels in India, Tr, by V. Ball. London, 1899.

Thomas Roe and John Fryer. Travels in India in the Seventeenth Century. London, 1873.

Thevenot and Careri. Indian Travels of Thevenot and Careri, Ed. by S. N. sen. New Delhi, 1949.

(iii) Sanskrit (المصادر السنسكرتية)

Banabhatta. Harshocharit. Suranand Kunjan Pillai, sanskrit Series, No. 187.

Kalidas. Abhigyan Shakuntalam, Tikakar Guru Prasad Shastri. Benaras, Tritiya sanskaran, Samvat 2008 Vikram.

_________. Malvkagnimitra, Tr, by A. S. Krishna Rao. Madras, 1951.

Kautilya. Arthashastra, Tr. by R. Shamasatry. Bangalore. 1915.

(iv) Hindi (المصادر الهنديه)

Bihari. Bihari Satsai, Tikakar Vidya Bhaskar Shukla. Prayag, 1934.

Bhushan. Shivraj Bhushan, Tikakar Raj Narain Sharma, 1950.

Dadu, Dadu Dayal ki Bani. Nagri Pracharini Sabha, Banaras

Ghagh and Bhadri, Edited by Ram Naresh Tripathi. Allahabad, 1931.

Jayasi, padmavat, Tikakar Dr. Man Mohan Gautam. Also Vyakhykar Vasudev Saran Agrawal. Prathma Vritti, Jhansi, 2012 Samvat.

Keshav Das. Ram Chandrika, Tikakar Bhagwan Deen. allahabad, 2004,V. Samvat.

Kabir. Kabir Vachanamrita, Sampadak Munshi Ram Sharma.

Kabir Bijak, tikakar Vishwanath Singh. Bombay, Samvat 1961.

Mati Ram. Mati Ram Granthavali (Satsai), Sampadak Krishna Bibari Bajpai,Dwitiya sanskaran, Samvat 1991 Vikram.

Mira Bai, Sahjo Bai, Daya Bai. Belvedere Press, Allahabad, 1909.

Mira. Mira Bai Ki Shabdavali. Second Edition, Allahabad 1914.

Rahim, Rahinen Vllas, Sampadak Braj Ratan Das, Parivardhit SAskaran. Allahabad..

Senapati Kavltia Rotmakar,Sampadak Uma Shanker Shukla. Prayag, 1949.

Sur Das Sur Sogur. cllected by Jagannath Das Ratnakar, Edited by N. d. Bajpai, Pratham sanakaran. kashi, Samvat 2005 Vikram.

Sant Bani Sangrah, Belvedere Press, Allahabad, 1922.

Tulsi Das, Vlnay Patrika, Tikakar Viyogi Hari, Fifth Edition. Kashi, Sanvat 2005.

________, Ram Charit Manas, Tikakar Pandit Jwala Prasad Misra. Benarcs, 1933.

المصادر الثانوية

2.SECONDARY SOURCES.

(i) English

Altekar, A.L. Position of Women in Hindu Civilization. Benaras, 1938.

Aziz, Abdul, Arms and Jewellery of the Indian Mughals, Lahore.

Ashraf, K. M. Life and Condition of the people of Hindustan. Calcutta, 1935.

Banerji, S. K. Humayn Badshah. Vol. I,Oxford 1938. Vol. II Lucknow, 1941.

Beni Plasad. History of Jahangir. Allahabad, 1940.

Bikramjit Hasrat. Dara Shikoh-Life and Works. Shantiniketan, 1953.

Brown, P. Indian Painting Under the Mughals. Oxford, 1924.

Basham, A. L. The Wonder That Was India. London, 1954.

Buhler, G. The Laws of Manu. Oxford, 1886.

Book of Costumes. A Lady of Rank. London, 1847.

Binyon, L, The Court Painters of Grand Mughals. Ixford, 1921.

Coomaraswamy, A. K. Catalogue of the Indian Collections in the Moseum of fine Arts, Boston. Part VI, Mughal Painting Cambridge, 1930.

Chaudhari, J, B. Muslim Patronage to Sanskrit Learning, Part I,Second edition Calutta, 1954.

Chopra,P. N. Society and Culture in Mughal Age. Agra, 1955.

Das Gupta, T. C. Aspects of Bengali Society from old Bengali Literature. Calcutta, 1935.

Das Gupta & S. K.De. History of Sanskrit Literture. Calcutta, 1947.

DAS Gupta, J. N Bengal in the Sixteenth Century. Calcutta, 1974.

Dubeis, J.A. Hindu Manners Customs and Ceremonise, Tr. by H. K. Beauchmp. Oxford, 1894.

Duta, K. Studies in the History of Bengal Subah. Calcutta, 1936.

Elliot and Dowson. History of India as Told By Its Own Historians, Vols. III, IV, V,VI, VII. London, 1872-1877.

Elphinstone,M. S. The History of India, London, 1843.

Goetz,Herman. Art and Architecture of Bikaner State. Oxford 1950.

Gupta,Hari Ram. History of the Sikhs. Calcuta, 1939.

Ghurye,G. S. Indian Costume. Bombay, 1951.

Gahlot, J. C. History pf Rajputana. Jodhpur, 1998 Vikram Samvat.

Habib, Irfan, Agraian System in Mughal India. Bombay, 1963.

Habibulah,A. B. M. foundation of Muslim Rule in India. Lahore, 1945.

Haig, W. Cambridge History of India,vol. IV. Cambridge, 1937.

Howorth, H.H. History of the Mongols. London, 1927.

Ibn Hasan. The Central Structure of the Mughal Empire. Oxford, 1936.

Ishwari Prasad. The Life and Times of Humayun. Calctta, 1955.

_________. History of Qaraunah Turks in India. Allahabad, 1936.

Irvine, William. The Army of the Indian Mughals, its Organization and Administrtion. New Delhi, 1962.

_________, Later Mughals, Calcutta, 1922.

Jhaveri, K. M. Imperial Farmans. Printed by M.I. Desai, Bombay.

Jafar, S. M. Education in Muslim India. Lahore, 1936.

Krishnamachari, M. History of the Classical Sanskrit Literature. Madras, 1937.

Law, N. N. Promotion of Learning in India. London, 1916.

Lawrence, W.R. The Valley of Kashmir. Oxford, 1895.

Lal, K.S. History of the Khaljis. Allahabad, 1950.

Lal, Magan. Dewan of Zebunisa. London, 1913.

Mukerji,R. K. The Economic History of India, London.

Madhavand and Mazumdar, R. C. Great Women of India. Almora, 1953.

Mohibul Hasan. Kashmir Under the Sultans. Calcutta, 1959.

Mohammad Akbar. Punjab Under the Mughals. Lahore, 1948.

Moreland, W. H. From Akbar to Aurangzeb. London, 1923.

Mehta, N. D. Studies in Indian Paintings. Bombay, 1926.

Noer, Count of Von. The Emperor Akbar, Tr. by A.S. Beveridge. Calcutta, 1890.

List of Farmans, Manshurs and Nishans Addressed by the Imperial Mughals to the Princes of Rajasthan. Directorate of Archives, Government of Rajasthan, Bikaner.

Ojha, P. N. Some Aspects of Norhern Indian Social Life, Patna, 1961.

Pant,D. The Commercial Policy of the Mughals. Bombay, 1930.

Pandey, A. B. Early Medieval India. Allahabad, 1960.

Prabhu, P. N. Hindu Social Organisation, Third revised edition, Bombay.

Qanungo, K. R. Dara Shukoh, Second edition. Calcutta, 1925.

_________, Sher Shah. Calcutta, 1921.

Qureshi, I. H. Administration of the Sultans of Delhi, fourth revised edition, Karachi.

Ralph Fox. Genghis Khan. London, 1937.

Raychaudhary, T. K. Bengal Under Akbar and Jahangir. Calcutta, 1953.

Smith, V.A. Akbar the Great Mughal, second revised edition. Delhi, 1958.

Sarkar, J. N. Anecdotes of Aurangzeb and Historical Essays. Calcutta, 1917.

_________, History of Aurangzeb. Calcutta, 1912.

_________, Studies in Mughal India. CCalcutta, 1919.

_________, Shivaji and His Times, Fourth edition. Calcutta, 1948.

_________, India of Aurangzeb. Calcutta, 1911.

Sanders, J. H. Tamerlane or Tairmur the Great London, 1936.

Stewart, C.M. W. Gardens of the Great Mughals. London, 1913.

Saletore, R.N. Life in Gupta Age. Bombay, 1943.

Saksena, B. P. History of Shahjahan of Dihli. Allahabad, 1958.

SArdesai, G. S. New History of the Marathas, Vol. I. Bombay, 1946.

Shustry, A.M. A. Outlines of Islamic Culture. Banglore, 1950.

Satish Chandra.Parties and politics at the Mughal Court (1707 to 1779). Aligarh, 1959.

Steinbach, Lt. Col Panjab, Being a Brief Account, second edition London, 1846.

sharma,G.N. Mewar and the Muglal Emperors. Agra, 1954.

Stchoukine, Jvan La Peinture Indiannie A L'epogue Dis Gronds Mughals. Paris, 1929.

Tod, J. Annals and Antiquities of Rjasthan. Oxford 1920.

Tripathi, R.P.Some Aspects of Muslim Admistration. Allahabad, 1936.

__________, Rise and Fall of the Mughal Empire. Allahabad 1956.

Vladimirsov, B. Y. Chingis Khan, Tr by D.S. Mirsky. London, 1930.

Vaidya, C. V. History of Medieval India, 3 Vols. Poona, 1921.

Williams, L.f. Rushbrooks. An Empire Builder of the Sixteenth century. London, 1918.

Yusuf Husain. Glimpses of Medieval Indian Culture. Bombay, 1957.

(ii) Hindi (الهندية)

Bajpai, K. D. Bhartiya Vyapar Ka Itihas. Mathura, 1951.

Chatterji, G. S. Harshavardhan. Allhabad, 1950.

Das,Sri Krishna Lok Geet Me Samajik Vyavastha. Allahabad, 1956.

Joshi, Umesh. Bhartuya Sangeet Ka Itihas. Firozabad, 1957.

Moti Chandra. Bhartiya Vesh Bhusha. Prayag, Samvat 2007 Vikram.

Mukerji, R. K. Shri Harsh. Lahore, 1990 Samvat.

Ojha, G. H. Udaipur ka Itihas,Amjer.

__________, Madhyakleen Bhartiya Sanskriti. Allahbad, 1945. Pandey, Usha. Madhya Yugeen Hindi Sahitya Me Naree Bhavna, 1959.

Pareek, s. Rajasthani Lok Geet. Prayag, 1999 Vikram Samvat.

Sinha, Savitri. Modhya Kaleen Hindi Kavitriyan. Delhi, 1953.

Rasal. Sahitya Prakash, 1931.

Sngh, Kamal, Dhari,Musalamonoa ki Hindi Seva. Prayag, 1935.

Singh, Ram Iqbal (Rakesh). Maithili Lok t. Prayag, 1999 Vikram Samvat.

Singh, Durga Prasad. Bhojuri Loc Heet Me Karun Ras. Prayag, 2001 Vikram Samvat.

Stayendera, Brajlok Sahitya Ka Adhyayan. Agra, 1949.

Santram,anil. Kanauji Lok Geet, Lucknow.

Shyamal Das Veer Vinod. Udaipur, 1886

Upadhyaya, Krishna Das Bhojpuri Gram geet, Prayag.

(iii) Urdu (الاوردية)

Shahabuddin, Abdul Rahman. Bazm-i-Taimuria. Azamgarth, 1948.

(iv) Theses (رسائل الماجستير والدكتواره)

Ansari, M. A. Court Life of the Great Mughals (1556-1707) Allahabad University Library, 1948.

A wasthy, R. S. The Mughal Emperor Humaym. Allahabad University Library, 1940.

Kaumudi Studies in Mughal Paintiing. Allahabad University Library, 1940.

Mathur, A. P. Social Condition in the Sixteenth and Seventheenth Centuries, as Cleaned from the Contemporary Vernacular Litrerature Hindi. Allahabad University Library, 1946.

Parmu, R. K. History of Kashmir from Shahmir to ShahjahanAllahabaad University Library, 1947.

Raj Bahadur Lal India as Seen By the Foreigners in the sixteenth and seventeenth Centuries. Allahabad University Library, 1953.

Tripathi, C. B. Life and Times of Mirza Raja Jai Singh. Allahabad University Library, 1953.

(v) Journals (المجلات العلمية)

Islamic Culture, Hyderabad, vol. XI, 1937; Vol XXX, 1956.

Indian Culture. vol, IV, 1937-38.

Indian Historical Quarterly. vol.XVI,No, J, March, 1940.

Indian Histroical Records Commision. Vol, III,November, 1925; Vol. III, 1921; Vol. V, Janury, 1923.

Proceedings of Indian History Congress. 22nd- Session, 1959.

Journal of U.P. Historical Socitey. Vol. XVII,July, 1944.

Journal of Indian History. Vol. I. No. 17, 1938. Vol. 31, 1953.

Journal of Bihan and Orissa Resaqmd socitey. Vol. XIII, 1927.

Journal of the Asiatic Society, Bengal. Vol. 56. 1887, Vol. 67, 1888, Vol. VII, July, 1911.

Journal of the Punjab Historical Society, vol. II, 1912.

Medieval India Quarterly. Vol. III, Janury and April, 1958; Vol. IV, 1961.

الملاحق

الملحق الأول

مرسوم الملكة نورجهان[1]

Farmans Of Nurjahan

(FARMAN NO. I)*

Seal of Nurjahan -(in the form of couplet).

"By the light of the sun (or love) of Jahangir-and the divine grace the signet of Nurjahan has illuminated the world alike moon".

The chosen of the peers, worthy of favours, and obligation Kaja surat singh, hoping for the sublime favours, should know that a sum of money, according to the bonds, is due to Kishan Dass and Baroman his son, the treasurer of Her Majesty, and Keeps it (the sum) with his Sultan Rathore.

If so, as the aforesaid Rathore is in his (Surat Singh's) service he (Surat Singh) is ordered to pay off the said debts (which the said Rathore owes, according to the legal bonds, to the said Kishan Dass and Baroman), From his own estate, to their (Kishan Dass and Baroman's) peoples (relatives and to deduct the same from his (Rathore's) salary (Lit. substance money).

He should not disobey the orders and should regard it as his duty
D/10th Azar Elahi ... 12

December. 1617

مرسوم الملكة نورجهان(٢)

(FARMAN NO. II)

God is Great

Seal of Nurjahan

Ganga Bai, being hopeful for the exalted favours, should know, that it has just now reached our eminent notice, that the village of Oodey Singh son of Raja Dalpat Singh, being attacked, Haya and Mohan have been done to death, and their relatives been confined. An attestation (signed by a body of people), saeled by Hashim, the wearied messenger and Mohammed Nagi, has been delivered to (our) Court. Such matters are very bad and undesirable.

Therefore, she should, on being informed of the contents of this Majetic order, take them out of the confinement,send (them) to the Court, and should not hereafter. attempt to go near that village.

She should not evadethis order and should regard it her duty.

D/2nd Shahayur ... 14

August, 1619.

مرسوم الملكة نورجهان[٣]

(FARMAN NO. III)*

Jahangir

Nurjahan

Seal of Nurjahan-God is Great: With the light of the sun (or love) of Jahangir, the ruler of the world, the signet of Nurjahan Badshah become illuminated.

The Commissioner of Raja Surja Singh, the pick of his equals, should know, that whereas, an exalted mandate has been issued in his name, from the sublime Court, he should therefore, act in accordance with its contents, be too cautious and careful to evade it. He should be hoping for the royal favours and exalted condescensions in proportion to his service, devotion and sincerity.

He should not oppose or evade this order.

D/11th Aban ... 31.

October, 1626.

الملحق الثاني

النياشين التالية الصادرة بامر الملكة نورجهان والمحفوظة في ارشيف حكومة راجستان في بيكانير.

The following Nishans of Nurjahan are preserved in Rajas-than State Archives, Bikaner[1]

Year	Class of Correspon-dence	Name of the Writer	Name of addressee	subject
August 1622	Nishan Nurjahan	Empress	RajaJai Singh	Desiring him to send the money of the leas of Amer per Mohd. Hash'im.
November 1664	"	"	"	"Experssing pleasure on his (Raja's) dis-association with Mahabat Khan, desires him now to act according to the wishes of Khan-i-Jahan.
Novemeber" 1625	"	"	"	Desiring him to act according to the orders conveyed to him through Fidai Khan.
December 1625		"	"	Sending a Khilat per Khwaja Roz Bihan
October 1626		"	"	"Desiring the Raja to report every thing to the Royal Court and not to act against the Royal Court and not to act against the Royal Orders.

A Descriptive List of Farmans, Manshurs, and Nishans Addressed by the Imperial Mughals Princes of Rajasthan, P. 28.

الملحق الثالث

النياشين التالية الصادرة بامر الملكة جهانارابيكم

والمحفوظة في ارشيف حكومة راجستان في بيكانير.

Following Nishans of Jahanara Begam are preseved in Rajasthan State Archives, Bikaner.[2]

July 1640	Nishan	Princess Jahanara	Raja Jai Singh	Desiring the Maharaja to identify that Hem Singh is the real son of Raja Satra Sal and report it to Sultan Nisar Begam so that he may be rewarded with a Khilat and mansab.
Septem-ber 1651	"	· Begam Sahiba	"	Appreciating his services in in expelling the violators of peace from Kaman and Pahari and Populating them with the Rajputs, informs that a farman has been issued to him directing him to attend the Royal Court with a view to proceedon an expedition to Kandhar.
Undate	"	Begam Sahiba	"	Assuring him (Raja) of many Royal favours.

A Descriptive List of Farmans, Manshurs, and Nishans Addressed by the Imperial Mughals Princes of Rajasthan, P. 28.

الملحق الرابع

مرسوم حميده بانوبيكم

Farman of Hamideh Banu Began*

He is Great.

Hamideh Banu, daughter of ali Akbar.

Order of Hamideh Banu Begam.

May it be Known to the Krori and diligent officer and others of the Paraganah of Malaban in the Sarkar of the Great Seat (capital) of the Empire Agra, that according to the Farman of the exalted and the just (Emperor) the cows belonging to the indisputable prayer-offerer (well-wisher) Vithalesharai, wearer of the sacred thread (Brahmin) may graze, wherever they are and not a single indivtual out of the khalsa or Jagir (Land-holders) should molest them (from grazing). They must permit his cows to graze (wherever they are). The above-mentioned (Vilarlrai) should, therefore, remain easy at heart. It is incumbent (on all) that they must act according to the order and carry it out, and they should not act contrary to and against it (should not deviate from it). Written on the 10th day of Ramzan at Mubarak A. H. 989.

الملحق الخامس

مرسوم مريم الزماني والدة الامبراطور جهانكير

Farman of Maryam-uz-Zamani, the mother of Emperor Jahangir*

(TRANSLATION)

"God is Great.

Seal-Wali Nimat Begam, mother of the King Nuruddin Jahangir.

Unwan-The order of Maryam Zanani ... the asylum of dignity and Perfect wisdom ... chieftainship, worthy of kindness and beneficence ... should be expectant of favour and know that whereas Mudabbir Beg, one of the slaves and well-wishers of this court ..., has represented that the fiscal authorities have granted him a Jagir at the pargana of Chaupala in Sarkar Sambhal in lieu of his pay but its assets have not been realised by his agents and Suraj Mal Zamindar embezzles and usurps them. (It is hereby ordered) that on learning the contents of the farman of Her Exalted Highness, he should summon the ryot before him and making enquiry into the matter get all the dues, the present revenue, and arreas, Paid to the aforesaid Mudabbir Beg and he should not permit Suraj Mal to embezzle or usurp a single Fallus or Jital.(1) Considering this imperative, he should bring the order to execution and do nothing contrary to it ... on the date ... the month of tir of Ilahi year ..."

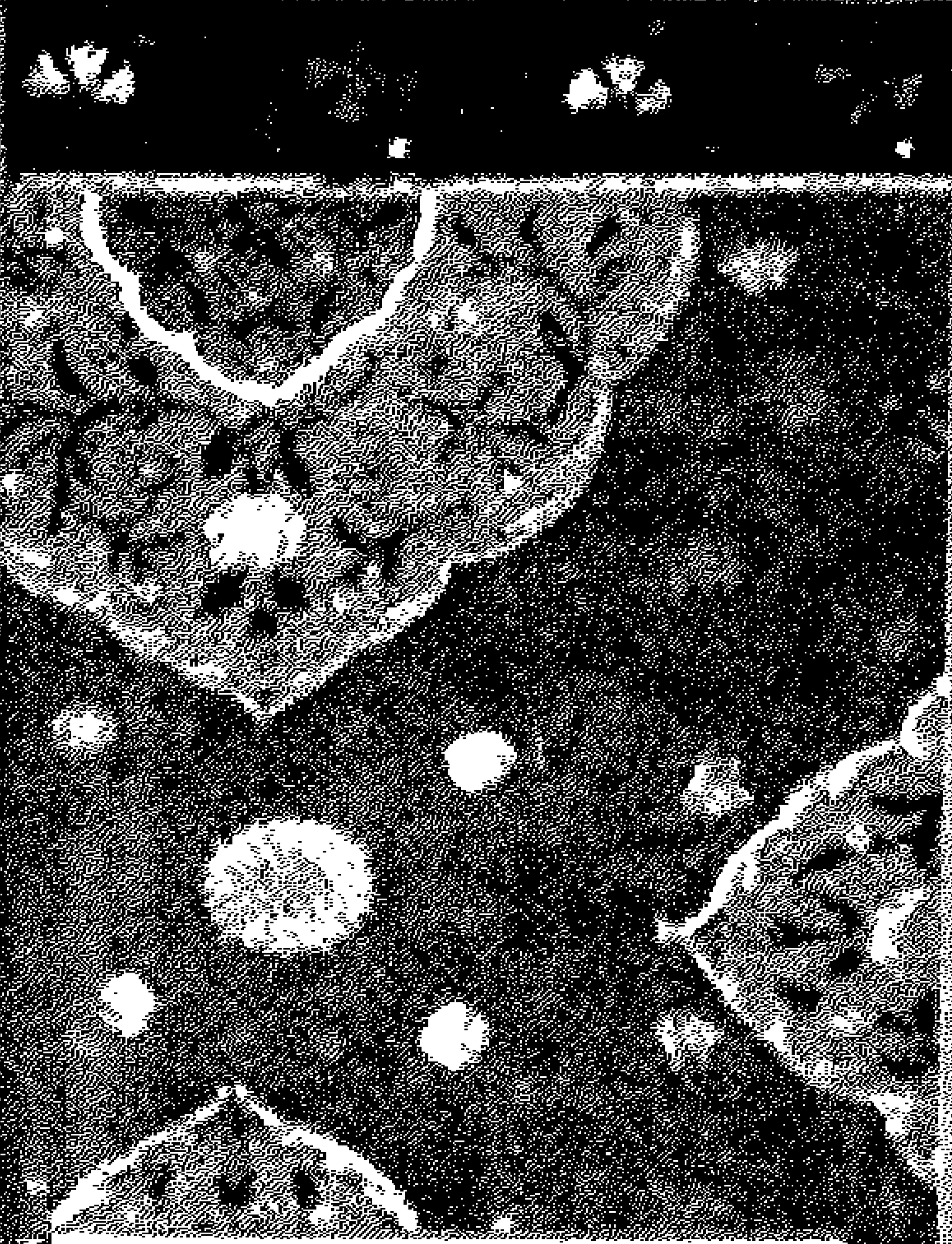
(الملحق السادس)

قائمة باسماء السيدات الراجبوتيات في قصر الحريم المغولي

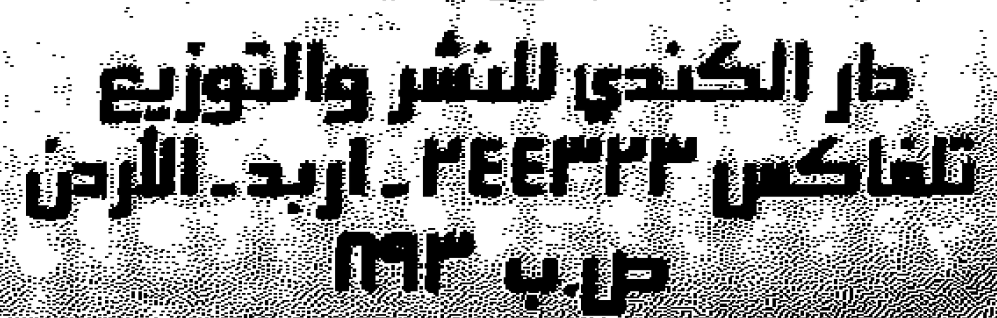
List of the Raiput Ladies in the Mughal Hareem

Name of the Lady	Relationship	Sources
1. Name not given	Daughter of Raja Bhar Mal and sister of Bhagwan Das. Married to Akbar in 1562 A. D.	Ain., Vol. I, p. 309
2. Bodi Bai, enjoyed the title of Maryam-uz-Zammi, Name not mentioned by any Muhammedan historian	Her relationship is subject to controversy	Ain., vol. I. P. 309
3. Man Bai, received title of Shah Begam	Daughter of Raja Bhagwan Das. Married to Jahangit in 1585 A. D.	Tuzuk (R. & B.), Vol. I, PP. 15,55-56;a.N. (Bev.), Vol. III. PP. 677-87; Tabqat Vol. II, P. 599; Badauni, Vol. II, P. 352.
4. Name not given	Daughter of Rai Rai Singh, son of Rai Kalyan Mal of Bikaner. Married to Jahangir, 1586 A. D	Not mentioned in Tuzuk; ain., Vol. I, P. 310, A. N., (Bev.), Vol. III, PP. 748-49; Tabqat, (E. & d.), Vol. V, P. 454.
5. Jagat Gosain or Jodh Bai. Name Mani Bai	Daughter of Udai Singh (Mota Raja) son of Raja Maldeo. Married to Jahangir in 1586 A. D.	Tuzuk (R. & B.), Vol. I, P. 19; Ain., Vol. I, P. 310; History of Rajputana, Vol. IV, Part I, (Jodhpur State) by G. H. Ojha, P. 358.
6. Karamsi	Daughter of Keshava Das Rathor.	Tuzuk (r. & B.), Vol. I, PP. 18-19;

	Married to Jahangir	Ain., Vol. I, P. 310.
7. Name not given.	Daughter of Jagat Singh, eldest son of Man Singh. Married to Jahangir	Tuzuk (R. & B.), Vol, I, PP. 144-45; Ain., Vol. I, P 310 Beni Prasad, P. 31.
8. Malik-i-Jahan	Daughter of Kalyan of Jaisalmere Married to Jahangir.	Beni Prasad, P. 26.
9.Name not given	Daughter of Ram Chand Bandilah. Married to Jahangir in 1609 A. D.	Tuzuk (R. & b.), Vol, I, P. 160. Beni Prasad, P. 26.
10. Man Bhawati Bai.	Sister of Raja Gaj Singh. Maried to Parwez in 1624 a. D.	Tuzuk (R. & B.), Vol. II, P. 295.
11. Anup Kunwar	Daughter of Rao Amar singh, sister's son of Raja Jai Sulaiman Shikoh.	History of Shah-Jahan of Dili by B. P. Saksena, P.
12. Name not given.	Daughter of Rup Singh Rathor Married to Bahadur. Shah in 1939 A. D.	Irvine, vol. I, PP. 141-42.
13. Name not given	Daughter of Ajit Singh. Married to Farrukh Siyar in 1714 A. D.	K. Jhan, P. 738; Maasir, Vol, I, P. 321.




مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية
اربد - الأردن - تلفاكس ٢٧٠١٠٠ ص. ب ١٢٨٤


دار الكندي للنشر والتوزيع
تلفاكس ٢٤٤٣٢٣ - اربد - الأردن
ص.ب ٦٩٣